الجزء السابع والثامن — المجلد السابع عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

تموز وآب سنة ١٩٤٢ — جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦١

طرائف فارس

كانت بلاد فارس عجيبة البلاد التي دخلها الإسلام وتغلغل في احشائها . ورتب بقوانينه جميع اوضاعها ، ذلك لأن بلاد فارس عرفت قبل أن يأتيها العرب فاتحين بالحكمة وسياسة الملك ، واشتهر ابناؤها بالنشاط والذكاء وحسن المأتى . ولا يستغرب الجهد الذي بدأ من فارس في كل الأدوار التي استولت فيها العرب عليها فالشعب الفارسي سلالة امة عظيمة حاكت مدنيتها يدها على توالي القرون وصبرت على الأيام وتطورت بتطور الدول فلما تأصل الإسلام فيها تأصلت فيها اللغة العربية والأدب العربي كما تأصلت تعاليم الدين وفقهه ، فكان فيهم العلماء والحكماء والشعراء والأدباء على ما كان في الأقطار الأخرى التي تعربت في كل منازعها كالشام ومصر مثلا .

وظلت اللغة العربية في الديار الفارسية نحو عشرة قرون لغة الدولة والعلم والدين وجاء فيها من جلة البلغاء من كانوا مفخرة العرب على الأيام ومنهم من كانوا من اصول عربية نزل اجدادهم في الفتح تلك البلاد الجميلة وما اندمجوا في الفارسية واحتفظوا بلغة آبائهم احتفاظهم بدينهم وعاداتهم واقتبسوا من الفارسية وعادات البلاد ما لم يؤثر كثيراً في خصائصهم الاولى . ومنهم من كانوا اعاجم باصولهم فلما اتقنوا العربية برزوا فيها كأبنائها وخدموها اجل خدمة بعقولهم وأعمالهم والسنتهم وقلوبهم وكم من بليغ عدّ عربياً محضاً وما هو الا فارسي تعرّب وشغف بالعرب ومدنيتهم واهتدى بالإسلام والقرآن .

امامي الآن كتاب مخطوط نادر اخذه المجمع العلمي العربي بدمشق بالتصوير

الشمسي اسمه طرائف الطرف واسم مؤلفه البارع الهروي وهو كتاب طريف في ذاته عالج موضوعاً طريفاً يصح أن يكون منه برهان آخر على ما ادعيناه في مقدمة هذا الكلام من ان الفرس أو علماؤهم وادباؤهم في عشرة قرون كانوا عرباً اكثر من العرب ·

جمع هذا المؤلف في ديوانه هذا الف بيت تصلح للمنادمة والمحاضرة وتستعمل في المجالس والمحافل وتوشح بها ادراج الرسائل واورد فيه ابياتاً لشعراء من أهل القرن الخامس والسادس كأبي الفرج بن هندو والأبيوردي والباخرزي وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري وابي سعد الهروي · وكان ابو سعد هذا من بلغاء خراسان وعقلائها ترجم له صاحب اليتيمة فقال انه كان في آخر عمره مرتبطاً بالحضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلمات الخطوب وكان متبحراً في النثر مقلاً من قول الشعر وهو القائل :

وكان الصديق يزور الصديـ ـق لشرب المدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديـ ـق لبث الهموم وشكوى الزمان

ولقد يلاحظ من يقرأ الشعر العربي الصادر عن خراسان وفارس والعراقين والشام والحجاز ومصر وافريقية والمغرب والاندلس ان الروح العربي المتجلي في الشعراء واحد وان الاقليمية قليلة في اشعارهم لأنهم كلهم يصدرون عن مورد واحد ويتدارسون شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية والاسلام ولذلك يستسيغ كل عربي على اختلاف الاصقاع والبقاع والازمان ما اشتهر من جيد كل شاعر ويولعون بانشاد شعر الافريقيين كما يتنافسون في انشاد شعر الآسياويين ويعدون من اهل بيتهم المعظم كل مجيد سواء كان فارسياً او خوزياً او خزرياً او تركياً او بربرياً او قبطياً · وعجيب تأثير هذه اللغة فيمن اقتبسوها وتبنوها ·

لولا ان المؤلف بدأ كتابه بالمعري ونقل شعراً لابن دريد لقلنا ان هذه المجموعة كلها من شعراء بلاد العجم بدأه بقول ابي العلاء المعري :

الا انما الايام ابناء واحد وهذي الليالي كلها اخوات
فلا تطلبنْ من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

وقال:

من راعه سبب او هاله عجب فلي ثمانون حولاً لا أرى عجبا
الدهر كالدهر والأيام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

وقال ابوعلي بن سينا:

ادرت في هذه الدنيا وساكنها طرفي فأبصرت دارا ما بها [1] أرمُ
الواجدون غنى والعادمون نهى ليس الذي وجدوا مثل الذي عدموا
ليسوا وان وجدوا عيشاً سوى نعم وربما نعمت في مثلها النعم
سيان عندي وان بروا وان فجروا اذ ليس يجري على امثالهم قلم

وقال ابو علي:

رضيت من الدنيا بقوت وشملة وشربة ماء كوزه متكسرُ
فقل لبني الدنيا اعتزلوا من اردتم وولوا وخلوني من البعد انظر
فما ملك الآفاق يجبي خراجها اليه ولا ذاك الأمير المؤمر
بأهنا مني عيشة لو عرفتها ولكن اسير الحرص عن ذاك اعور

وقال ابو الفرج ابن هندو:

لا تنكري يا عز ان ذل الفتى ذو الأصل واستعلى لئيم المحتدِ
ان البزاة رؤوسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

وقال:

اصاح اتق السلطان لا تقربنه فما هو الا في الحقيقة نارُ
ولا تك كالحوّاء يرقي صلاله ضلالاً وعقباها عليه دمار

قال:

أرى حاجة الانسان قوتاً وملبساً وسائر حاجات النفوس فضولها
فما العمر الا ساعتان فساعة تولت وأخرى انت ترجو حصولها
فكم كل هذا الكد من اجل ساعة وليس يقينا ان تنال وصولها

(١) ارم ككتف اي احد

وقال الابيات المشهورة :

يتمنى المرء في الصيف الشتا فـاذا جاء الشتا أنكرهُ
فهو لا يرضى بحالٍ ابداً قتل الانسان ما اكفره

قال ابن دريد :

وما احد من السن الناس سالماً ولو انه ذاك النبي المطهرُ
فان كان مقداما يقولون اهوج وان كان مفضالاً لقالوا مبذر
وان كان سكيتاً يقولون ابكم وان كان منطيقاً يقولون مهذَر
وان كان صواماً وبالليل قائماً يقولون زوّاق يرائي ويمكر
فلا تحتفل بالناس في الحمد والثنا ولا تخش غير الله فالله اكبر

قال :

اني لأشكو خطوباً لا اعينها ليبرأ الناس من عذري ومن عذلي
كالشمع يبكي ولا يدري اعبرته من حرقة النار او من فرقة العسل

وينقل البارع مؤلف الكتاب ابياتاً لشعراء لم نعرفهم في هذه الديار ومنهم الشيخ الامام مجد الدين علي بن الميصم قال :

سأمضي لنصر الحق والشركُ راغم ببيض تقدّ الدارعين ظباء
ومطرورة زرق تروح وتغتدي لنهب نفوس او لسفك دماء
اذا خالطت في الطعن درعاً حسبتها صلال الافاعي في قرارة ماء
فان مت يوماً فالجهاد وسيلتي وان عشت فالطعن الدراك غذائي
فلا زالت الأعداء في شر حالة وكانوا على رغم الانوف فدائي

قال محمد بن منصور :

ما غص بي قط ناد غير مطلوبِ وماء وجهي مصون غير مصبوبِ
اعوذ بالله في سر وفي علن من ان يكون وصالي غير مخطوب

وقال صاحب الكتاب :

فلا تنكريني انني من معاشر لقد اورثوني العلم والفضل والندى
فانا كرام من اكارم معشر ولكن علينا صرف ذا الزمن اعتدى

ومن الشعراء الذين لم يشتهروا (العاصمي) ووصفه بالامير قال في صفة القلم :

وطائر في وكره نائم يوقظه المرء لأوطاره
مختصر الخلقة لكنه تجاوز النجم بمقداره
له جناح بان عن كشحه يطير في الارض بأسراره
حياته في قطع اوداجه وعيشه في قط منقاره
يكرع في مستنقع القار كي يأخذ بالمنقار من قاره

ومنهم الغزي ومن شعره :

يا سيد الوزراء رأ يك في الوغى للملك لامهْ
في الفضل فقت ابن العميـ د وفي الندى كعب بن مامه
من ذا يصدك عن خلا ل بالمكارم مستهامه
كرم السجية خلقة لا تُسلب الطوقَ الحمامه
أتراك ترضى ان اقول والزم الدهر الغرامه
وعد الوزير بخلعة ميعادها يوم القيامه

وقال البارع الفوسنجي :

وجود المجد في الدنيا عزيز ولا يحظى به الا مهذبْ
وكيف يفيد مجد المرء فيها وكل مهذب فيها معذب

وردد في باب شكاية الدهر لأبي العلاء المعري — ولعله ابو العلاء السروي :

فوق العقول تصرُّف الأزمانِ ما المرء الا نهزة الحدثانِ
اسعى وجهد جاهد وتقلب حالا بحال ثم كل فان
ان لم تجد سبب الخلود فكل ما ابرمته ونقضته سيان
ما حيلة الإنسان في مأموله والعجز آخر حيلة الإنسان
ولقد منيت بهمة طماحة وعثار جد لبس يتفقان

وروى قول من قال :

أبا العلا يابن سليمانا عماك قد اولاك احسانا

انك لو ابصرت هذا الورى لم ير انسانك انسانا

وقال :

ولما رأيت الدهر لم يرع حرمة لفضلي وآدابي وعلمي وموضعي
رضيت بجور النائبات وحكمها فقل لصروف الدهر ماشئت فاصنعي

وقال الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب اسرار البلاغة وهو مما اشتهر كثيراً :

كبر على العقل يا خليلي ومل الى الجهل ميل هائم
وكن حماراً تعش بخير فالسعد في طالع البهائم

وقال :

تسلَّ فليس في الدنيا كريم يلوذ به صغير او كبيرُ
وربع المجد ليس له انيس وحزب الفضل ليس له نصير
ولا احد من الاحرار الا كسير يد النوائب او اسير
ولا امر ينفذه امير ولا ازر يشدده وزير

وقال :

وقالوا يَقتل الدجالَ عيسى ويملك بعده الدنيا سنينا
فكيف جرى على العكس ابن عيسى مضى وتصدر الدجال فينا

وقال :

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى تحريك لحيته في حال ايماء
ان الوزير بلا ازر يشد به مثل العروض لها بحر بلا ماء

ومما روي في باب التهاني والتعازي والواقعات :

لا تسهرنَّ اذا ما الرزق ضاق ونم ما دمت في ظل أمن ساكن البال
فبين غفوة عين وانتباهتها يقلب الدهر من حال الى حال

وقال :

لا تيأسن اذا ما كنت ذا ادب على خمولك ان ترقى الى الفلك
بينا ترى الذهب الابريز مطرحاً في الترب اذ صار اكليلاً على ملك

وقال :

يقولون لي قد شخت فارجع عن الصبا فقد لاح صبح في القذال عجيبُ
فقلت لأصحابي دعوني ولذتي فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال :

ايا بومة قد عششت فوق هامتي على الرغم مني حين طار غرابها
رأيتِ خراب العمر مني فزرته ومأواك من كل الديار خرابها

وقال :

كذا عادة الدنيا فيل انت صابر خطوب تفاجينا وموت يكابرُ
كفى عظة ان كلما جئتَ بلدة تلقتك من قبل البيوت المقابر

وقال :

فان اك في الشباب نعمت وصلا ففي شيبي بنار الهجر اصلى
كذا السربال تلبسه جديدا ويحرق في المشاعل حين يبلى

هذا ما اتسع له المجال من نموذجات الشعر العربي الذي نظم في فارس اقتبسناه من ذاك المخطوط النادر الذي ظفرنا به · وعلى ذكر المخطوطات العربية أرى أن اذكر مثالاً جميلاً من حرص أهل ايران الى اليوم على الكتب العربية وربما كان المحفوظ منها هناك اكثر من كل قطر عربي بل اكثر من مصر سيدة الأقطار العربية · ففي طهران عاصمة ايران اليوم وكانت تعرف قديماً بالري اربع خزائن عظيمة خزانة حاجي السيد نصر الله التقوي وخزانة قصر كلستان وخزانة مجلس النواب وخزانة سپاهسالار وفي اصفهان عدة خزائن للأفراد ومنها خزانة ألفت · وفي مشهد الرضا في طوس خزانة الرضوي وفي خوزستان خزانة وفي دزپول خزانة ظهير الإسلام وفي سبزوار خزانة السبزواري واكثرها كتب في الحكمة وفي قم خزانة مدرسة الفيضية · وهناك كما قلنا عدة خزائن للافراد يحتفظون بكتبهم العربية وربما كان أصحابها لا يحسنون العربية كثيراً ويرون ابقاءها في بيوتهم من علائم السراوة والشرف والمروءة ·

محمد كرد علي

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول

- ٣ -

(١٦) بيوت الحمام والدجاج — في الصفحة ٤١ من المجلد الأول : الجَدِيلة شريجة الحمام وغيرها (عش الحمام والدجاج) انتهى · وقد كتبت في المقطم حول هذه اللفظة ما يلي « في العربية اسماء تغنينا عن الجديلة التي اشك في هل تدل على شريجة تأوي اليها طير الحمام ام شريجة تستعمل في الحمّامات — بتشديد الميم — كما ورد في القاموس في باب جديلة · فبيت الحَمَام هو التِمْراد والرِيْم وبالفرنسية Colombier · وبيت الدجاج او قفص الدجاج هو الخُم اي Poulailler · ويكون للدجاجة مفرخ تفرخ فيه وهو المسمى Couvoir · اما آلة التفريخ الفرنجية فهي المِحضنة والحاضنة اي Couveuse ولا نعلم ان للدجاج عشاً · فماذا يريدون بالجديلة ؟ »

وقد سكت المجمع عن هذه اللفظة وعن الموضوع كله فلم يقرر شيئاً في المجلدات التالية من مجلته ·

(١٧) الإزهار ونظام الإزهار — في (م ١ ص ٩٧) وضعت اللجنة امام Inflorescence كلمة نُوّارة فنبهتها في المقطم الى ان اهم معنى للكلمة الفرنسية هو نظام الازهرار · وفي (م ٢ ص ١٥٦) اقر المجمع للكلمة الفرنسية معنيين وهما الإزهار ونظام الإزهار، واطرح لفظة النوارة، وحسنا فعل لأن معناها الزهرة او الزهرة البيضاء · قلت الإزهار والإزهرار والإزهيرار والتنوير هو بالفرنسية Floraison و Fleuraison ولم يذكرهما المجمع، وهما يدلان على الإزهرار وعلى اوانه · اما Inflorescence في علم النبات فهو نظام الإزهار، وان شئت فقل نظام التنوير ، كأن يكون مجموع الزهر على شكل عنقود او خيمة او سنبلة او عِذق او طلعة او عثكول الخ · وليس هنا مجال ذكر هذه الأشياء وذكر اسمائها الفرنجية فليراجعها من يشاء في عدد آب سنة ١٩٢٨ من مجلة المجمع العلمي العربي هذه ·

(١٨) الثمرة – • اقر المجمع ان الثمرة هي بالفرنسية Fruit • ولست ابتغي البحث عن هذه الترجمة التي يعرفها تلامذة المدارس الابتدائية ولا يختلف فيها اثنان، بل البحث عن الايضاح الذي ذكرته لجنة المجمع للثمرة (م ٢ ص ١٥١) فقد عرفت اللجنة المذكورة الثمرة بما يلي :

١ – نتيجة النبات الصالحة لابقاء النوع • وتتألف من الحب مغلفاً او غير مغلف • فالأول كالتفاح والبرتقال مثلا، والثاني كحب القمح •

٢ – ما يتكون من تحول عضوالتأنيث الزهري كله، او المبيض، بعد الالقاح •

قلت : التعريف الاصح للثمرة في علم النبات هو ما ورد في الفقرة الثانية • وقد راجعت في خزانة كتبي عشرة كتب عداً من التي فيها تعريف للثمرة فوجدت ان مؤلفيها الفرنسيين، وهم من اشهر علماء النبات وعلماء الزراعة، قد عرفوا الثمرة بما ورد في الفقرة الثانية، او بما يقاربه ليس غير • والتعريف الأول انما وضع لأن البزرة هي عندهم من معاني الثمرة • فاذا اعتبرت الثمرة بزرة يحيط بها جدار المبيض عرفت بما يشبه الفقرة الأولى • اما اذا اعتبرت الثمرة مبيضاً ألقح ونما وتضمن البزرة فهي تعرف بما يشبه الفقرة الثانية وهو أصح • لأن التعريف الأول فيه مجال لاعتراض المعترضين ولا سيما المتزمتين منهم، كأن يقال بانه يجب ان تكون الثمرة شيئاً والبزرة شيئاً آخر، وان الصالح لبقاء النوع هو البزرة لا الثمرة، وان حبة القمح مغلفة اي انها تسمى في الاصطلاح برة Caryopse وانها نباتياً ثمرة يابسة غير متفتحة مركبة من بزرة مغلفة بالغلاف الثمري (او الجدار الثمري) الخ •

وبناء على ذلك كنت ارجح ان يكتفي المجمع بالفقرة الثانية، وان يضيف اليها اذا شاء ان من معاني الثمرة البزرة • ومن المعروف انه لا مجال لذكر سائر معاني الثمرة وهي كثيرة، لأن بحث المجمع الذي نتكلم عليه يقتصر على العلوم المتعلقة بالأحياء، ولا يتجاوز علم النبات فيما يختص بالثمرة •

(١٩) – البُيَيضة والبُذَيرة : في الصفحة ١٥٤ من المجلد الثاني (مادة Grain) : اطلق الشراح لفظة بييضة على جزء الزهرة المسمى Ovule • اما في

المجلد الرابع (ص ١٣ ثم ص ٩٩) فقد عدل المجمع عن البيضة الى البذيرة · قلت والأولى اصلح لانها ترجمة الكلمة الفرنسية تماماً · وهي مستعملة عندنا في كتب النبات والزراعة · اما البذيرة فهي تصغير البذرة · والبذرة (اوالبزرة) غير البيضة، اي انها البيضة بعد ان تلقح وتنمو وتحول · وتحقير البذرة (اي تصغيرها) لا يفيد ارجاعها الى حالة البيضة ·

(٢٠) الميسم — في الصفحة ٩٩ من المجلد الرابع (مادة Ovule) ذكر الشارح لفظة الميسم ووضع أمامها Carpelle · ونحن لا نرى وجهاً لهذه الترجمة · وقد اصطلح على ترجمة Stigmate بسمة وبميسم وهو القسم الأعلى من المدقة أسيء الوزيم · ومن المعروف ان من معاني هذه اللفظة الفرنسية اثر الجرح واثر الكي اي الوَسْم · وقد سموا هذا الجزء من الزهرة سِمة تشبيهاً له باثر الوسم · ومن معاني الميسم اثر الوسم ·

(٢١) — مستورة البزور وعُريانة البزور : في الصفحة ٩٩ من المجلد الرابع (مادة Ovule) ذكر الشارح كلمة Angiospermes وترجمها بقوله النباتات الغلافية · ونحن لا نرى معنى لهذه الترجمة · فالكلمة الفرنجية من اليونانية aggeion اي اناء و Sperma اي بزرة · ومعنى هذه الكلمة مغلفة البزور او مستورة البزور · ويخالفها Gymnospermes وهي أيضاً من اليونانية Gumnos اي عريان و Sperma اي بزرة · ومعناها عريانة البزور ·

(٢٢) — الفاظ التصنيف : قلت في كتاب الدواجن المطبوع سنة ١٩٣٠ بدمشق (حاشية ص ١٦) «اذا قال احد النحاة اموت وفي نفسي شيء من حتى، فانا اقول اموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات» ·

ولا يسعني البحث عن تصنيف الاحياء والفاظه العربية بهذه العجالة · فقد نشرت رأيي في تلك الألفاظ في مقال مسهب يجده من يشاء في عدد نيسان ١٩٣٠ من مجلة المجمع العلمي العربي هذه وفي عدد نيسان (ابريل) سنة ١٩٣ من مجلة المقتطف · وقد بينت في ذلك المقال الفاظ التصنيف التي استعملها الدكتور بوست والدكتور

صروف والترك في مؤلفاتهم وعلي رياض في كتاب علم النبات والدكتور محمد شرف في معجمه ثم ادليت دلوي بين الدلاء ·

ومن الفاظ التصنيف ما يكاد يكون عليها اجماع كالفاظ الفرد والضرب (او الصنف) والسلالة (او العرق) والنوع والجنس والفصيلة لما يسمى بالفرنسية على التتابع Individu و Variété و Race و Espèce و Genre و Famille ولم يشذ مجمع مصر فيها عن الاجماع · اما ما شذ فيه فهي الفاظ جديدة غير موافقة لم يقل بها احد ممن ذكرت ولا غيرهم · وهذه الألفاظ هي الأمة لما يسمى Embranchement والشُعب لما يسمى Classe والقبيلة لما يسمى Ordre (ج ٤ ص ٥٤)

قلت يلوح لي ان واضعي هذه الأسماء الثلاثة اي الأمة والشعب والقبيلة لم ينتبهوا على ما اعتقد لكونها شهرت بالدلالة على جماعات من الإنسان ، ولكون الانسان شيئاً صغيراً في سلسلة تصنيف الاحياء ، ولكون الأسماء الثلاثة المذكورة اخص في اللغة من لفظتي الجنس والنوع فكيف تستعمل في الاعم ؟ وما من احد في بلاد العرب كافةً له اطلاع على اللغة الفرنسية يغلط في ترجمة Nation بأمة و Peuple بشعب ، فاستعمالها في تصنيف الاحياء للدلالة على حلقتين كبيرتين مخالف للخطة التي ذكرها المجمع وهي عدم استعمال كلمة لمعنى من المعاني المهمة اذا كانت مشهورة بالدلالة على معنى مهم آخر ·

ويتضح مما ذكرت انه لايجوز لغوياً وعلمياً واصطلاحاً قبول الكلمات الثلاث للمدلولات المذكورة · وليتصور من له اطلاع على علمي الحيوان والنبات ، وعلى دقائق التصنيف ، وعلى مدلولات الكلم العربية ، اي سقم واضح في مثل قولنا أمة باديات الزهر (او باديات الالقاح) وامة الفقاريات ، وشعب الثدييات ، وشعب ذوات الفلقتين · وليتصور حقارة لفظتي الأمة والشعب اذا فيستا بعظمة مدلولات هذه الحلقات ، مع العلم بان الانسان نفسه ليس فيها سوى نوع من آلاف الأنواع ·

وقد قال الدكتور بوست وعلي رياض قسم بمعنى Embranchement · وقال صاحب معجم الحيوان قبيلة والدكتور شرف قبيل · اما الترك فقالوا شعبة

وهكذا قلت انا · والشعبة اصح ترجمة للكلمة الفرنسية المذكورة · وقد دللت على ذلك في مقالي المشار اليه ·

ولفظة Classe ترجمها بوست واساتذة الشام بلفظة صف · وقال صاحب معجم الحيوان عن الدكتور زلزل هي الطائفة والدكتور شرف هي القسم · اما انا فجاريت الذين اختاروا لها لفظة الصف لشيوعها عندنا بمعنى التلامذة الذين هم من سنة دراسية واحدة · ولو لم تشع الصنف مرادفة للضرب لجاز استعمالها هنا لأننا سمينا Classification تصنيفا ·

اما Ordre فقد اجمع كل من ورد ذكرهم في هذا البحث على ترجمتها بالرتبة · ولم يشذ سوى مجمع مصر بقوله قبيلة ·

(٢٣) — المشط والمسلفة والململسة: في الصفحة ٥٨ من المجلد الأول ذكروا المسلفة وقالوا « نضعهـا للآلة تسوى بهـا ارض الشوارع وتحرك باليد » فنبهتهم في المقطم على ان المسلفة من الآلات الزراعية ، وانهـا جعلت للآلة المسماة Scarificateur (استعملت المسلفة لتلك الآلة منذ عشرين سنة في الطبعة الأولى من كتاب الزراعة العملية الحديثة) ·

وفي الصفحة ١٨٢ من المجلد الثالث رأى المجمع ان يطلق « الكلمات الثلاث المملقة والمسلفة والزحافة على تلك الآلة التي يسوي بها الزارع ارضه بعد حرثها » · وفي ص ٤١ اقر المجمع المملقة والزحافة لما سماه Planche pour niveler والمسلفة امام Herse ·

قلت ليس الذنب ذنب اخواننا في مصر اذا كانت أرضهم مستوية لا تحتاج الى كثير من الآلات الزراعية التي تستعمل في النجوس والأعذاء الواسعة · ولا عيب عليهم اذا هم جهلوا بعض تلك الآلات · فالفلاحون بعد حرث الأرض يستعملون في تسويتها بضع آلات لا آلة واحدة · وأهمها ثلاث · وهي بالفرنسية Herse و Scarificateur و Rouleau · فالأولى تسمى المشط ، وقد جاء في المخصص انه شبحة فيها اسنان ·· تسوى بها القصاب ويغطى بها الحب · واستعملت المشط منذ سنة ١٩١٨ يوم كنت مديراً للزراعة في الدولة · واقتبستها المدرسة الزراعية · واصبحت هذه الكلمة معروفة في انحاء الشام لا يستعملون غيرها للآلة المذكورة · وهي افصح كلمة واصلحها وأسهلها · والامشاط أشكال كالزاحفة والدائرة والمفصلية والكارية الخ ·

أما الآلة الثانية وتسمى أيضا Cultivateur فهي المسلفة والمحققة ·

وأما الآلة الثالثة اي Rouleau فهي المملسة والملأّسة · وهي انواع مختلفة منها الاسطوانيات ومفتتات المدر والمخططات والمتماوجات والمملقات الخ · ولكل منها اسم بالفرنسية · وقد ذكرتها في معجمي ولا مجال للبحث عنها في هذه العجالة ·

(٢٤) الخَضْب · اليَخْضور — في ص ٨٧ من المجلد الأول سموا الكلوروفيل الخضير · فنشرت في المقطم انني وضعت الخضير للعشب المسمى في زراعة الحدائق Gazon وان المَخضرة ارض ذلك العشب · وقلت ان المادة الخضراء المذكورة هي الخضب · وقد عدل المجمع عن الخضير إلى اليخضور وهذه الكلمة لا بأس بها· لكن معنى الخضب اقرب الى مدلول الكلمة الافرنجية ·

(٢٥) الغَرين : في ص ٤٣ من المجلد الرابع وضع الطمي امام Alluvion · قلت الغرين والغِرْ َين اصلح · ومن المترادفات بهذا المعنى او بما يقاربه التقانة والطلخ والمطخ (المخصص) ·

(٢٦) المَصْرف — في ص ٤٣ من المجلد الرابع الصَّرف مقابل Drain والصحيح المصرف · اما الصرف فهو Drainage · وكان يجب الظن بان هذه الغلطة هي غلطة مطبعية ·ولكن كلة الصرف جاءت مشكلة وهو سهو عجيب ·

(٢٧) الدَّفيئة والمِصْرَى — في ص ٤١ من المجلد الأول المدفأة نطلقها على (الصوبة) التي تصان فيها النباتات المحتاجة الى الحرارة · فقلت في المقطم : (الصوبة) في الشام موقد توقد فيه النار لاتقاء البرد · فهل سمع احد ان النبات المحتاج الى حرارة يصان في موقد ؟ ان ما يريدونه على ما أظن القوالب او البيوت الزجاجية التي توضع على ارض زرعت فيها نباتات تحتاج الى حرارة زائدة · فهذه تسمى بالفرنسية Serres والذي اعلمه ان الأب انستاس كان سمى واحدتها مصرى من صرى الشيء اي وقاه ونجاه · والمصرى قريبة من اللفظة الفرنسية · وهي اصلح من المدفأة لأن هذه الكلمة اذا لفظت بميم مكسورة يكون لها معنى آخر ذكروه في ص ٤٢ ، واذا لفظت بميم مفتوحة كانت اسم مكان على حين ان الكلمة الفرنسية تدل على

الأدوات الزجاجية التي يوضع فيها النبات المزروع لا على الأرض التي زرع فيها ذلك النبات » .

وفي المجلد الثاني (ص ٩٧) عدلوا عن المدفأة الى الدَّفيئة . وهي حسنة . ولم يبحثوا عن المصرى .

(٢٨) الأَصيص والمِرْكن — في ص ٩٦ من المجلد الثاني . الأصيص (قصرية الزرع) — Pot à fleurs . قلت الأصيص هو بالفرنسية Pot ليس غير يزرع فيه الزهر وغير الزهر . ويسمى المِركن . وسماه ابن العوام القدر والإجانة والقصرية .

(٢٩) البَعوض والبَقّ والبرْغش — ج ٤ ص ٥٧ البرغش Culex . قلت الكلمة الاعجمية هذه هي اسم الجنس العلمي للبعوض اي Moustique وهو القِرْقِس والجِرْجِس . وكلمة البعوض اشهر من كلمة البرغش . وكذا كلمة البق . فسكان العراق لا يعرفون غيرها . وهي فصيحة بهذا المعنى كما انها فصيحة بمعنى Punaise وهو الضَّمج وبق الخشب والفسافس وبنات الحصير . ومن المعلوم ان في فصيلة البعوض جنسا يسمى Anopheles فيه ما ينقل الملاريا فيجب إفراده باحد الأسماء .

(٣٠) الثَّوْل والخَشْرَم والقرْية — ج ٤ ص ٥٩ القرية Colonie . قلت لا مجال هنا للبحث عن اهم معنى للكلمة الاعجمية وهو ما يعبر عنه بكلمة مستعمرة . وواضح ان مايبتغونه معناها الذي يطلق على مجتمع الحيوانات . فالكلمة الأعجمية المذكورة لها معنيان وهما اولا جماعة الحيوان التي تعيش في صعيد واحد . ثانيا مجتمع هذه الجماعة اي المكان الذي تعيش فيه . فكلمة قرية تفيد المعنى الثاني لان قرية النمل مجتمع ترابها كما في المعاجم . اما اذا قيل Colonie d'abeilles مثلاً فالمراد جماعة النحل في النخيتة او الكوارة وهو بلساننا المبين الثول والخشرم . وإذا قيل Colonie de coraux فجماع نوامي المرجان . ولا يمكن تسميتها بقرية . بل يقال جِمَاع المرجان كما يقال جماع الإسفنج أو جماعته وهكذا .

(٣١) هل يقال سِنَّور أسدي وسِنَّور نَمري ؟ — من المعلوم في تصنيف الاحياء ان اسم النوع يكون في اللسان العلمي مؤلفا من كلمتين الأولى تدل على الجنس

والثانية تدل على النوع . فكلمة Equus مثلا تدل على جنس فيه الخيل والحمير معاً . فاذا أُريد نوع الخيل قيل Equus caballus . واذا اريد نوع الحمير قيل Equus asinus وهكذا . ولفظة Equus مستعارة من اللاتينية ومعناها الفرس . ولكنها في لسان التصنيف العلمي قد تبدل مدلولها فهي فيه لا تدل على نوع الخيل وحده بل على جنس الخيل اي على حلقة تشتمل على الفرس والحمار والأخدري وغيرها ، وكل منها يتميز في التصنيف بكلمة خاصة تدل على نوعه .

اما في العربية فكلمة فرس تدل على نوع الخيل دون غيره ، ولفظة حمار تدل على نوع الحمير دون غيره . فلا يجوز لنا ان نسمي الحمار بالفرس الحماري ترجمة لاسمه العلمي Equus asinus . ولسنا في حاجة الى هذه الترجمة التي لا نرى لها مثيلا في الفرنسية كلما كان للنوع اسم واحد مشهور .

وعلى هذا لا يجوز تسمية الأسد بالسنور الاسدي والنمر بالسنور النمري ، والثعلب بالكلب الثعالي الخ . وان وضعت بين هلالين . (ج ٤ ص ٥٢) . وكلما كان لأحد الأنواع اسم عربي واحد مشهور يكتفي به بدلا من ترجمة اسم النوع العلمي المركب من كلمتين . وهكذا الحال بالفرنسية .

(٣٢) هل الكُرُنب عامية ؟ — (م ٢ص ١٣٦) حاشية « وهي كُرُنْب وكَرَنْب والعامة في مصر يقولون كُرُنْب » . قلت الكرنب في اللغة وفي استعمال المصريين هو Chou بالفرنسية وملفوف بالشام . اما الشاميون فيطلقون الكرنب على Chou - rave واسمه ابو ركبة في مصر . وقد ضبطت لفظة الكرنب في اللسان وفي القاموس بكاف وراء مضمومتين ونون ساكنة . فكيف ذهبوا اذن الى ان هذا الضبط من كلام العامة ؟ ذلك أن صاحب التاج قال في شرحه للقاموس : « الكرنب بالضم اي كقنفذ كما بفهم من ضبطه وهكذا قيده الصاغاني وقد أهمله الجوهري وقال ابن الاعرابي هو الكرنب كسمند قلت والعامة تفتحه الخ » . واصحاب المعاجم الحديثة كمحيط المحيط واقرب الموارد والبستان نقلوا عن التاج ، فنهم من اهمل ذكر الكرنب بضم الحرفين الأول والثاني واسكان النون ومنهم من نص على انها من كلام العامة . قلت ليس لدي

مخطوطات مشكولة للامهات من معاجمنا لكي اعرف هل غلط طابعو القاموس واللسان عندما ضبطوا هذه الكلمة على الوجه الذي تلفظ به في مصر والشام ام لا • والشيء الثابت ان اصحاب المعاجم عرّفوا الكرنب بالسلق وهو وهم لا يقع فيه ابن البيطار وأشباهه • وقالوا انها من النبطية على حين انها من Krámbê اليونانية • وليس بغريب ان يعربوها بكلمة كَرَنب مفتوحة الكاف والراء او كُرُنب مضمومتهما ، اما ما يستغرب فهو تعريبها كُقُنفُذ • ومهما يكن من امر فعندما نقر هذه الكلمة يجب قبول الضبط المشهور وعدم التقيد بما ذكره الزبيدي عن عامية هذا الضبط • ويجب ايضاً تفريقه عن السلق فمن اشنع العيوب الخلط في تسمية اعيان المواليد •

(٣٣) أثار يُثير — (م ٢ ص ١٥٩) وضع امام هذا الفعل كلمة Irritable والصحيح بالفرنسية Irriter اما الكلمة الاولى فمعناها القابل لان يثار كما ورد في الصفحة ١٥٨ •

(٣٤) تعريف الحَوْراء — في (م ٢ ص ١٦٩) عرفت الحوراء او العذراء Nymphe بما يلي : « اسم للحشرات أو الديدان او القشريات او الضفادع عقب خروجها من البيضة ، وقبل أن تستبين فيها خلقة اسلافها الكاملة » • والذي نعلمه في كتب الحشرات (وفي معاجم المواليد الفرنسية) ان الحوراء طور انتقالي للحشرات بين اليرقانة والحشرة الكاملة • ومعنى ذلك ان ما يخرج من البيضة يسمى Larve اي ما سماه المجمع يَرَقانة (وهو القمصة في الجراد) • وهذه اليرقانة (او الدعموص) تنسلخ وتنقلب حوراء • ثم تنشق الحوراء في منتصف ظهرها ، في الاعم من الحالات ، وتخرج منها الحشرة الكاملة • فتعريفهم للحوراء (اي قولهم عقب خروجها من البيضة) فيه غلط واضح •

(٣٥) الأُسرُوع والخادِرة — ليرقانة الفراشة اسم خاص بالفرنسية وهو Chenille، ولحوراء الفراش اسم خاص أيضاً وهو Chrysalide • فالاولى تنظر إلى Larve في الحشرات الأخرى والثانية إلى Nymphe • وفي (م ٢ ص ١٣٧) ترجمت Chenille بكلمة يُسروع وهي حسنة وان كانت تدل على حشرة بعينها ،

واحسن منها أُمْروع لان الجمع أساريع . ولم يقولوا يساريع . ولعل احسن منها السُرْفة لرشاقتها (انظر المخصص ج ٨ ص ١٢٢) . وفي (م ٢ ص ١٧٦) ذكرت الخادرة وامامها (Pupa (Or Chrysalis . قلت الخادرة حسنة يجب ان تخص بكلمة Chrysalide اما كلمة Pupe فهي بالفرنسية مرادفة لكلمتي Nymphe و Chrysalide معاً لا للثانية وحدها فليتنبهوا إلى ذلك .

(٣٦) الجنين والملقوحة — (م ٢ ص ١٤٨) الجنين Embryo . قلت الجنين هو Foetus اما كلمة Embryon فيجب ان تفرد لها كلمة اخرى في النبات على الاقل ، واصلح الكلم تلك التي وضعها العالم العراقي الدكتور داود بك الجلبي وهي الملقوح والملقوحة . ولاشك انها ارجح من الجنين في النبات خاصة . ويمكن اطلاق الفوف ايضاً على ملقوحة النبات (انظر تعليل ذلك في مقال الدكتور امين باشا المعلوف المنشور في عدد حزيران سنة ١٩٢٨ من مجلتنا هذه) . وبعد هل الأرجح ان يقال علم الأجنة بمعنى Embryologie ام علم الملقوحات وعلم الملاقيح ؟ لاريب ان التعبير الثاني اصلح . لكن الأول اصبح مشهورا في مدارس الطب ، ولهذا وجب متابعة ما أقره مجمع مصر في هذا الباب (ج ٤ ص ٥٠) لان مشتقات الأنبريون المذكورة اكثر ما تستعمل في الانسان وفي الحيوانات الدواجن .

(٣٧) المِمَصّ والمَثْعَب — (م ٢ ص ٧٧) المثعب Siphon . قلت في المعاجم مثاعب المدينة مسايل مائها . ومعناه المجاري التي تسيل فيها مياه الامطار والمطابخ والمراحيض . ومن المعقول ان توضع المثعب امام Egout وهذا ما فعلته في معجمي حيث قلت Eau d' égout ماء المثاعب .

اما السيفون فقد درجوا في المدرسة الطبية بدمشق على تسميته بالمص . وهكذا اسماه الدكتور محمد بك شرف في معجمه . وهي تسمية حسنة . واذا اعترض عليها بان المص يجب ان تطلق على Suçoir اي العضو الذي يستخدمه الطفيلي عندما يتشبث بمضيفه ؛ اجبنا بان البعد بين المدلولين يمنع الالتباس . ومع هذا فان عندنا كلمة مِرْشَف بمعنى Suçoir في النبات والحيوان . ومهما يكن من امر فانا لا أرى

وجها لاطلاق المثعب على السيفون · وقد يكون السيفون في المخابر اداة زجاجية صغيرة لا تتجاوز عشرين سنتيمترا فاين هي من مسيل مياه المدينة ؟

(٣٨) الإرْبيان وجَراد البحر وسَرطان البحر وسرطان النهر والسرطان المعروف — · في (ج ٤ ص ٥١) : جراد البحر — الإربيان Crayfish · قلت لا أعرف مدلول الكلمة الانكليزية لأني اكاد اجهل هذه اللغة · ولكن هنالك خمسة أنواع من القشريات العشارية الأرجل يخلطون بعضها ببعض في التسمية ، ولهذا رأيت من الفائدة ذكر ما أسميتها به في معجمي :

(١) Crevette هو الإربيان والروبيان ويسمى الجمبري في مصر والقرّيدس في الشام · وهو اجناس وانواع اشهرها في سواحل الشام تنسب الى جنسي Leander و Poeneus ·

(ب) Langouste وبلسان العلم Palinurus Vulgaris هو جراد البحر (المفردات) وجراد بحري (حياة الحيوان) وتحليته فيها يدل على انه غير الإربيان وإن جُعلا واحداً في مفردات ابن البيطار ·

(ج) Homard وبلسان العلم Homarus vulgaris نسميه سرطان البحر

(د) Ecrevisse de rivière وبلسان العلم Astacus fluviatilis هو سرطان النهر

(ه) Crabe هو السرطان المعروف وله اجناس وانواع لا تختلف في مجمل شكلها

(٣٩) كتابة الاسماء الأعجمية — وضع المجمع لكتابة الأعلام الأعجمية قواعد استمدها من بحثي الدكتور امين باشا المعلوف والدكتور احمد بك عيسى ، ولكنه لم يتقيد بهذه القواعد · ولم يتقيد الشارحون بها في كثير من المواضع · مثال ذلك ان المجمع اقر مقابل حرف G [كما يلفظ في القاهرة] حرف الكاف العربي فوقه ثلاث نقط [ج ٤ ص ١٩] او حرف الغين [ج ٤ ص ٣٦] · ومع هذا رأينا المجمع يرسم Goethe بالجيم اي جوتة في صلب القرار نفسه [ج ٤ ص ٢٠] ثم وجدناه يرسمه كوته بكاف فوقها ثلاث نقط وذلك في الصفحة التالية · وفي [ج ٣ ص ١٣١] أوريجون مقابل Oregon وفي ص ١٣٦ الفولجا امام Volga الخ · والاصلح في هذه الكلم واشباهها رسم حرف g بالغين · ولينتبه اخواننا في القاهرة الى انه

لايوجد في العالم العربي [حتى في بعض انحاء مصر] من ينكر الجيم العربية المعطشة ويلفظها مثلهم · فشذوذهم لا يتخذ قاعدة · ومع هذا لقد رأينا بعض الادباء في مصر يرسمون حرف G الأعجمي جيما في وسطها ثلاث نقط · وربما كان هذا الرسم اجود من الكاف فوقها ثلاث نقط خلافا لقرار المجمع ·

(٤٠) الشحم والدهن والزيت — في [م ٤ ص ٢٤] زيت الخشخاش Huile D'oeillette وزيت الكتان Huile de lin والدهن Grease ، وفي [ج ٣ ص ١٨٥] المواد الدهنية بمعنى Matières grasses · قلت العرب تقول دهن الخشخاش ودهن الكتان ودهن البنفسج ودهن الورد الخ · اما الزيت فدهن الزيتون وحده · واما في الحيوان فما تسميه العامة الدهن هو الشحم والألية فيقال اذن فيها مواد شحمية لا دهنية [انظر بحث الدكتور امين باشا المعلوف في هذه الالفاظ في عدد حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٦ من المقتطف ، وبحث الأب انستاس ماري الكرملي في عدد آذار سنة ١٩٤٢ من مجلة المجمع العلمي العربي] · ومهما يكن من أمر فاذا كان مجمع مصر يريد الخروج عن المعاني المدونة لهذه الكلمات فليشر الى ذلك بنص صريح · فانا مثلا لا اكره ان يشمل معنى الزيت عصير غير الزيتون من النباتات الدهنية · ولا اكره ان يقال لها نباتات زيتية بمعنى دهنية كما لا اكره ان يقال لألية الضان دهنا · وقد استعملت هذه الالفاظ في كتبي الزراعية لاشتهارها مع علمي بالصحيح وغير الصحيح منها ·

[٤١] الشَّطْء غير الجرثومة — ج ٤ ص ١٤ : وضعوا الشطء والجرثومة مقابل Germe · قلت الشطء بالعربية إما فرخ الشجر كالشَّكير والعِقّان وبالفرنسية Drageon و اما فرخ الزرع الذي يحصل في بدء الربيع كما في الحنطة والشعير وامثالها ، وهو بالفرنسية Talle · والإشطاء يسمى Tallage و Tallement · وقد كتبت في معجمي امام هاتين الكلمتين الفرنسيتين : إشطاء [وهو حصول سوق عرضية من براعم جانبية تنشأ في ساق الزرع الأصلية · وعكسه السَّمْهرة ، ففي القاموس : سمهرَ الزرعُ لم يتوالد كأنه كل حبة برأسها] · فأين اذن الشطء من الجرثومة ؟

[٤٢] الجمع والمفرد — كتبوا بعض الأسماء الانكليزية او العلمية بالمفرد ، وجعلوا أمامها الكلم العربية بالجمع . وهو شيء لايجوز . مثاله المجاري الشهيقية Inhalant canal والخلايا الراصفة Pavement cell والرَغويات Plasmodium الخ والصحيح مجرى الشهيق وخلية راصفة ورغوي او رغوية . وهكذا في امثالها وهي كثيرة فليتنبهوا الى اصلاحها .

[٤٣] الإسفنج الكلسي . — ج ٤ ص ٥٨ : وضعوا أمام الإسفنج الكلسي لفظة Calcareous . والذي نعرفه ان هذه اللفظة معناها كلسي فأين الكلمة الاعجمية الدالة على الإسفنج ؟

[٤٤] خيشومية الاقدام . — ج ٤ ص ٥٨ : ترجموا Branchiopode بقولهم الخيشوميات الأطراف ، والصحيح خيشومية الأقدام اوالأرجل اوالأيدي . وقد سمى العلماء هذه الحيوانات المائية بهذا الاسم لأن لها اعضاء عريضة هي ارجل وخياشيم جميعا اي انها تصلح للتنفس وللحركة .

[٤٥] غلطات مطبعية — عثرت في المجلة على عدة غلطات مطبعية . فيجب ان يصلحوها اي ان يفتحوا في المجلة بابا للخطأ والصواب كما نفعل في آخر عدد من اعداد السنة في مجلتنا هذه . وها كم على سبيل التمثيل بعض هذه الغلطات : ج ٤ ص ٥٢ Canis lupos والصحيح Canis lupus . ج ٤ ص ٥٣ Mallusca والصحيح Mollusca ج ٣ ص ١٦٤ Melabolism والصحيح Metabolism . ج ٢ ص ١٨٣ البُوغ والصحيح البَوْغ . ج ٤ ص ١٦١ المقلقة للراحـلة والصحيح المقلقة للراحة الخ . ولا شك ان طبع المجلة متقن وحروفها جميلة . ولكن عندما يسهو المصححون عن غلطات كهذه وهي كلها في العناوين يكون من الواجب الاشارة الى صحتها .

هذا قسم من الالفاظ التي خالفت فيها رأي مجمع فؤاد الاول للغة العربية أو رأي لجانه او رأي مستشاريه . ولدي الآن عشرون لفظة أخرى لا أدري متى يتسع وقتي لذكر اوجه الصواب فيها في هذه المجلة . ويتضح للقارئ ان الألفاظ التي تكلمت عليها

تكاد تكون كلها من باب واحد وهو باب الالفاظ المستعملة في علوم الاحياء .
ومعظم الكلمات التي اقروها في هذا الباب معروفة لا يختلف اثنان في الكلم الافرنجية التي تنظر اليها . وهي موجودة في المعاجم الاعجمية العربية كلها كالتنفس والوظيفة والهضم والمضغ والمواد السكرية والمواد النشوية والزهرة والثمرة والورقة والحبة والبزرة والعضو والحواس والسنور والكلب والاسد والثعلب الخ . وليس ثمة صعوبة في ذكرها وفي اقرارها . أما الصعوبة ففي آلاف الالفاظ والمصطلحات التي لم يهتد اليها الباحثون منا ، او التي لاقوا عرق القربة في تلمس اوجه الصواب فيها . فمتى يتناولون هذه الآلاف المؤلفة من المصطلحات في العلوم الطبية والعلوم الزراعية والعلوم الهندسية والعلوم الطبيعية والعلوم الحقوقية وغيرها من العلوم والفنون والفلسفة والادب ؟ ولكي يدرك القارئ عظم شأن العمل الذي امام المجمع اذكر له مثلاً صغيراً واحداً وهو ان في معجمي المسمى [معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية) تسعة آلاف لفظة احصيها وأحققيا منذ عشرين سنة في كل فرصة ، ولم يتناول المجمع منها في مجلداته الأربع اكثر من خمسين كلمة مما له صلة بالاحياء الزراعية .
اما الكلمات الزراعية المحضة فلا تتجاوز فيها خمساً وهي Herse و Baratte و pot و Rouleau و Serre . وقد غلط فيها كليا . وبعد لأي وتنبيه في المقطم اهتدى الى كلمة دقيقة الموافقة لمدلول كلمة Serre . فمتى يتاح لي الاستفادة من جهود المجمع في ثمانية آلاف وتسعمائة وخمسين اللفظة الباقية ؟

ومما يلاحظه كل قارئ كون الالفاظ توضع في المجلة دون اي قيد من القيود . فلا هي مقيدة بحروف المعجم ولا هي مقيدة بالابحاث . ففي الكلمات المتصلة بعلوم الاحياء مثلاً تجد كلمة من علم النبات وبجانبها كلمة من علم الحيوان ثم ثالثة من علم الحياة ثم رابعة من علم وظائف الاعضاء وهكذا . واذا أردت التفتيش عن الكلمات المختصة باجزاء الزهرة مثلاً وجب ان تراجع جميع الصفحات المختصة بعلوم الاحياء لكي تعثر على ضالتك . وأقرب طريقة الى المنطق في وضع المصطلحات العلمية ان يعمد المرء الى بحث من الابحاث فيضع المصطلحات المتعلقة به ثم

ينتقل الى بحث آخر وهكذا . وقد اتبع المجمع هذه الطريقة في مصطلحات الالوان ومصطلحات الرسم . واتبعها الدكتور امين باشا المعلوف في المصطلحات النباتية التي نشرها في هذه المجلة ، واتبعتها انا فيما نشرته فيها وفي المقتطف من الالفاظ بعناوين مختلفة منها [اسماء الثمار النباتية] و [اسماء الآلات الزراعية] و [الوان الخيل وشياتها] و [اسماء التصنيف في الحيوانات الدنيا و [اسماء الغيوم] و [اسماء عربية لمعان زراعية] الخ .

وبعد هيهات ان يجول في بالي التعرض للعلماء الاعلام الذين يتألف منهم مجمع فؤاد الأول ، ولا للعمل الجليل الذي يضطلعون به فقد خدموا كثيراً بالقواعد التي وضعوها في تيسير اللغة وبعدد لايستهان به من المصطلحات الحسنة . وانما احاول ان ابين رأيي في مصطلحات حققتها ، وفي اصلح طريقة يزداد في اتباعها نفع المجمع ، وهو ما أشرت اليه في اول هذا البحث .

مصطفى الشهابي

القيصر وامرؤ القيس

لا جدال في ان تاريخ الأدب العربي القديم لم يحفل بشاعر كما حفل بامرئ القيس ، فاكثر من ذكر اخباره وحوادثه ، وافرد له مكانا لا يرقى اليه غيره من الشعراء ، لانه حامل لوائهم وسابقهم الى اشياء ابدعها ومحاسن ابتكرها ؛ على ان الشعر كان ادنى وسائله ، فقد نشأ في بيت من بيوتات الامارة ، وقتل ابوه وهو بعيد عنه ، فنهض يطالب بثأره ، وقضى شطر حياته يطوف الآفاق في محاولة الملك وطلب المجد ، حتى اخلف ظنه ما كان يرتجيه ورضي من الغنيمة بالإياب ، فمات بضيعة بعيداً عن اهله ووطنه وقومه ، وانتهت بذلك ملحمة الملك الضليل التي نحاول في هذه الصحائف ان نكشف القناع عن بعض نواحيها الغامضة واحاديثها المتعارضة .

* * *

اجمعت كتب الادب والتاريخ على ان امرأ القيس بعد ان اوقع ببني اسد طلبا لثأر ابيه حاربه المنذر بن ماء السماء اللخمي والب عليه العرب ؛ وقد شد أزره كسرى انوشروان لأحداث نقمها على الحارث بن عمرو عم امرئ القيس الذي حالف قباذ واجابه على ما يقال الى زندقة مزدك ؛ فاصبح امرؤ القيس في خلل من قومه ، واخذ يتقلب في احياء العرب بعد ان انفضت عنه جموعه وتنكرت الوجوه له ، حتى كاد يسلمه الى عدوه من يأوي اليه ويحتمي بحماه ، فدلوه على بلد يلجأ اليه ويمنع ضعفه ، وصاحبه في حصن حصين وحسب كبير ، وهو السموءل بن عاديا الذي يعجبه الشعر ويهتز للمكارم ؛ وقد وصف رواة الأخبار اخلاقه وشعره ، فجعلوا اخلاقه ممثلة في شعره ، وجعلوا شعره صورة من صحة موثقه ورعاية ذمته ؛ وكان من امره ان احسن رفد امرئ القيس وحفظ ما ائتمنه عليه حتى ادى ذلك الى قتل ابنه ؛ وقد كتب الى الحارث بن أبي شمر الغساني يوصيه بامرئ القيس ويسأله ان يوصله الى قيصر ؛ فاستصحب معه شيخاً كبيراً طوى مراحل الحياة ، وهو عمرو بن قميئة البكري الذي اعجبه شعره فاختاره لصحبته ؛ وقيل انه

استصحب سواه كالحارث بن حبيب السلمي الذي رثاه امرؤ القيس وذكر انه ثوى عند بصرى؛ او جابر بن حنى التغلبي الذي له شعر في مقتل عمه شرحبيل؛ وتقل الرواة اشعاراً نظمها امرؤ القيس وابن قميئة في هذه الرحلة؛ وقد اكرم قيصر الروم امرأ القيس وادناه منه، واجابه الى طلبه فامده بجيش كثيف، فيه جماعة من ابناء الملوك؛ ولما فصل الجيش قال لقيصر قوم من اصحابه: ان العرب قوم غدر، ولا تأمن ان يظفر بما يريد، ثم يغزوك بمن بعثت معه! فصرف الجيش وأعاده؛ وفي رواية اخرى ان رجلاً يقال له الطماح من بني اسد كان واجداً على امرئ القيس لأنه قتل اخاه فيمن قتل، فاندس الى القيصر، وقال له ان امرأ القيس رجل عاهر، وانه لما انصرف ذكر انه يراسل ابنتك، وهو قائل في ذلك شعراً يشهرها به، فبعث اليه حينئذ بحلة منسوجة من الذهب، واودعها سماً قاتلا، وكتب اليه: اني ارسلت اليك حلتي التي كنت البسها تكرمة لك، فاذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة واكتب الي بخبرك من منزل الى منزل، فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها، فاسرع فيه السم وسقط جلده، ولذلك سمي ذا القروح، ومشهور الرواية انه مات بانقره ودفن فيها.

هذا هو مجمل ما كتبه مؤرخو العرب عن رحلة امرئ القيس الى قسطنطينية وقد اشار بعض مؤلفي الفرنجة الذين عنوا بالأدب العربي الى هذه الرحلة، وذكر نيكولسن المستشرق الانكليزي ان القيصر سمى امرأ القيس بطريقاً؛ وقد جاء في شعراء النصرانية للأب لويس شيخو ان مؤرخي الروم مثل نونوز وبركوب (وهو صاحب التاريخ السري) ذكروه في كتبهم وسموه قيساً؛ وذكروا انه قبل وروده على القيصر يوستيانس ارسل اليه وفداً يطلب منه النجدة على بني اسد وعلى المنذر ملك العراق، وكان مع الوفد ابنه معاوية الذي سيره امرؤ القيس ليبقى رهينة لديه؛ فكتب القيصر الى النجاشي يأمره ان يجند الجنود ويسير الى اليمن ويعيد الملك لصاحبه، ولم يلبث امرؤ القيس ان سار بنفسه الى القسطنطينية فرغبه قيصر ووعده، ثم قلده امرة فلسطين، الا انه لم يسع في اصلاح امره واعادة ملكه فضجر

امرؤ القيس وعاد الى بلده ، وكانت وفاته نحو سنة ٥٦٥ (وهي السنة التي مات القيصر في آخرها) اصابه مرض كالجدري في طريقه كان سبب موته .

ونقل صاحب شعراء النصرانية أيضاً عن كتاب قديم مخطوط (؟) ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ القيس امر بان ينحت له تمثال وينصب على ضريحه وقد بقي هذا التمثال الى ايام المأمون ، فشاهده هناك عند دخوله بلاد الروم في احدى غزوات الصائفة ، وهذه الرواية تعارض ماهو مشهور من وجود قبر امرئ القيس في انقرة التي لا تقع على طريق غزوات الصائفة ؛ على ان الشعر الذي روي عن امرئ القيس وفيه ذكر عسيب ، والسجع الوحشي المتنافر الذي اورد فيه اسم انقرة ، كلاهما بعيد عن منطق العرب الأصيل وعن اقوال الفصحاء امثال امرئ القيس ؛ ويحسن بنا ان نروي ابياتاً اخرى لامرئ القيس وان لم تكن من عيون الشعر الا أنها تشير الى هلاكه في ارض الشام ، وهي تناقض كذلك الرواية المشهورة ، وفيها يقول :

الا ابلغ بني حجر بن عمرو   وابلغ ذلك الحي الحديدا
باني قد هلكت بارض قوم   سحيقاً عن دياركم بعيدا
اعالج ملك قيصر كل يوم   واجدر بالمنية ان تقودا
بارض الشام لا نسب قريب   ولا شاف فيسند او يعودا

* * *

والى جانب قصة امرئ القيس فقد نقل رواة الاخبار أحاديث كثيرة عن السموءل بن عاديا وعمرو بن قميئة ؛ والشك قديم في بعض قصة السموءل ان لم يكن في جميعها ، حتى ان صاحب الاغاني عد بعض القصائد التي اسندت لامرئ القيس في هذه القصة منحولة ، لأنها لا تشاكل كلامه ، والتوليد فيها بين ؛ وقد صنعها دارم بن عقال من ولد السموءل او من روى عنه ... وكذلك فان الذين تحدثوا بهذه القصة العجيبة وتناقلوا روايتها لم يتفقوا على اسم الشخص الذي حاصر السموءل وقتل ابنه : ففي رواية انه الحارث بن ابي شمر الغساني ، وفي رواية ثانية انه الحارث بن ظالم الذي

بعث به المنذر لانتزاع امانة امرئ القيس من السموءل ؛ ومن الغريب ان تسند هذه الحادثة الى الغسانيين واللخميين في آن واحد ، وبينهما من الأحن القديمة ما بينهما ؛ كما ان المنذر كان يتابع امرأ القيس حتى جعل الارض في عينيه أضيق من كفة حابل ، وان الحارث الغساني هو الذي أنفذه الى قيصر الروم اجابة لملتمس السموءل الذي يمت اليه بالقرابة ·

أما عمر بن قميئة فيستغرب في أمره ان امرأ القيس اختاره لصحبته بعد أن نيف على التسعين ، فمات معه في الطريق ، وسمته العرب الضائع لموته في غربة ، وفي غير ارب ولا مطلب ، وكانت حاجة امرئ القيس لرجل جلد يقوى على مثل هذه الرحلة ، وقد وصف الديار التي مر بها وصفاً يقصيها عما قاله امرؤ القيس في قصيدته الرائية ، وذلك بقوله :

قد سألتني بنت عمرو عن الـ م أرضين اذ تنكر اعلامها
لما رأت ساتيدما استعبرت لله در اليوم من لامها
تذكرت ارضا بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها

وساتيدما جبل بين ميافارقين وسعرت ·

* * *

هذه الاحاديث وأشباهها مما حمله الرواة قبل تدوين التاريخ ، كثيراً ما يدفع بعضها بعضاً حتى تتجاذب الباحثين فيها الشكوك ، واذا لم تنطق بصحتها الدلائل فانها تعد منحولة مدخولة ومولدة مصنوعة ، ولكن لا يجوز الاسراع في الرد والانكار قبل تناصر الحجج وقيام البراهين ، حتى لا يبطل بغير حق كل ماوعاه التاريخ من تلك الاحاديث العريقة في القدم ؛ واضرب لذلك مثلاً قصيدة أمية بن ابي الصلت التي هنأ بها سيف بن ذي يزن باسترجاع ملكه ، وذكر فيها ما ورد من استنجاده بكسرى انوشروان بعد ان اخلف قيصر ظنه ، ولكن الشاعر بدلاً من أن يذكر اسم قيصر ذكر هرقل ، على حين ان هرقل والأسرة الهرقلية لم يكونا قبل سنة ٦١٠ للميلاد ، وهذا التاريخ يبعد عشرات السنين عن أيام كسرى انوشروان

الذي أرسل جيشاً لاخراج الحبشة من اليمن ، ولعل واضع البيت ظن اسم هرقل عاماً كاسم قيصر ! وكذلك فقد غاب عنه ان الحبشة حلفاء الروم وأبناء ملتهم !

وهذا بعض ما ورد في قصيدة ابن ابي الصلت :

ليطلب الوتر امثال بن ذي يزن خيم في البحر للاعداء احوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده النصر الذي قالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد سابعة من السنين لقد ابعدت قلقالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان داراً منك محلالا

وقد عالج هذه المواضيع الاستاذ طه حسين الذي هو أحد أئمة الأدب في هذا العصر وسلك طريقة غريبة في تمحيص روايات الجاهلية وأشعارها ، فأطلق لنفسه العنان في كتاب الادب الجاهلي وخرج عن قيود المألوف وتقاليد العادة ، وانكر في جملة ما أنكره حديث رحلة امرئ القيس الى القسطنطينية وما الحق بها من أخبار السموءل وعمرو بن قميئة ، واستضعف القصائد التي رويت فيها عن امرئ القيس ، وهي بحق دون طبقته في الشعر ، وتساءل كيف سافر الى بلاد الروم ؟ وهل دلت أشعاره على علم بالطريق ؟ وكيف خالط قيصر حتى فتن بنته ؟ ولماذا لا نجد في شعره أثراً من مظاهر الحضارة اليونانية ، ولا وصفاً لقصور القسطنطينية وكنائسها ، ولا ذكراً لهذه الفتاة الامبرطورية التي شغفت حباً به ؟ وقد تخلص من شكوكه وريبه الى القول بأن منشأ القصة يرجع للسياسة والعصبية ، ولا يعدو ما كان يرويه القصاص الذين يعملون لآل الاشعث من أحاديث أولهم ومفاخر قبيلتهم كندة التي كانت لها منزلة كبيرة في الحياة الاسلامية فاقتبسوا ما انتحلوه لامرئ القيس من سيرة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الذي غلبه الحجاج في دير الجماجم ، فحمله على الالتجاء الى ملك الترك والاستعانة به ، وقد غدر ملك الترك بعبد الرحمن بعد أن كاد له رسل الحجاج فمات عائداً في طريقه .

هذا هو الرأي الذي وجد الاستاذ طه حسين من اليسير ان يفترضه بل من الراجح ان يقول به ، فجعل حياة امرئ القيس مثلا استحدثه القصاص من حياة

عبد الرحمن ارضاءً لهوى اليمانيين في العراق ، واستعاروا له اسم الملك الضليل اتقاءً لعمال بني أمية ،ولكنه رأي املاه على صاحبه خيال فسيح أمعن به ، وتقلب بين احنائه ، وأخذ ما شاء منه لتأييد حجته ، واذا كان شديد الوطأة في نقد سواه من الذين يتأثرون بالاوهام والتقاليد ، فما باله يقع في مثل ما وقعوا به عندما لجأ الى هذا الاستدلال العجيب الذي لا يخلو من افراط واعتساف ، بل تقولـــ من هوى يقود في الغالب الى خطأ الرأي ومغالطة الحجة ؟ ولعله أقرب للصواب ان يبحث موضوع رحلة امرئ القيس من وجوه أخرى ، ولا سيما بعد ان جاءت روايات عن المؤرخين اليونانيين تؤيد ما ذهب اليه رواة العرب فيما يتعلق بالرحلة من حيث الأساس اذا لم يكن من حيث التفصيل .

* * *

ان سياسة القياصرة كانت ترمي الى بسط نفوذهم في بلاد العرب ، واصطناع بعض امرائهم في اليمن والشام ، تلك البلاد القائمة على طريق الهند الذي لا يبرح موضع تنازع الدول ، وقد جعلت فتوحات الاسكندر شعوب الشرق متصلة بشعوب الغرب ، وقضت سياسة التنازع على الدولتين العظيمتين فارس والروم ان تبذلا جهودهما في التوثق من السيطرة على منتجات الهند وأسواقها ، فالأولى قابضة على تجارة الهند ، والثانية تسود في بحر الروم وفي الشام ومصر ، وكانت أطماعها المتعارضة تدفعها الى الحرص على نمو متاجرهما وعلو سلطانها وانتشار آدابها وثقافتها واتخاذ الاولياء والانصار في الشرق ، فأعان الاكاسرة على تأسيس مملكة عربية من لخم في مدينة الحيرة ليكون أبناؤها حماة لثغور الفرس من غارات العرب أنفسهم وأعواناً في مقاتلة الروم ، وكذلك صنع القياصرة في استعمال أبنـاء جفنة في أطراف الشام ، فكان المناذرة والغساسنة يؤازرون الروم والفرس ويشتركون في حوادث جسام تجري فيها ، وما استنجاد امرئ القيس بقيصر لمقاتلة اللخميين حلفاء الفرس ، الا كاستنجاد سيف بن ذي يزن بكسرى لمقاتلة الحبشة حلفاء الروم ،

وكل ذلك ينطبق على سياسة الدول وتقاليدها في تلك الايام بل على سياستها وتقاليدها في هذه الايام ·

ويجدر بالذكر ان حفاوة القياصرة بامراء العرب ظلت متصلة بعد الاسلام ، وان كانت قد ارتدت طابعاً آخر ، فقد ذكر مؤرخو الدولة البزنطية من الفرنسيين نقلا عن كتاب المراسم اليوناني ، ان القياصرة كانوا يعطفون على العرب ، لانهم اصحاب ادب ولطف وحضارة وسلطان ، واصول الحكم عند الفريقين متشابهة ، لذلك كانوا يضعونهم — كما قال رامبو المؤرخ الفرنسي — فوق ابناء دينهم الغربيين الجفاة ، ويستقبلون رسلهم بكلمات وصيغ لا يتخذون مثلها في مخاطبة رسل الفرنجة ·

* * *

وامرؤ القيس صورة من صور ذلك المجتمع العربي في جاهليته ، الذي وصفته لنا المعلقات في عيشه وظرفه ومروره ودهائه وخفته وخلاعته وعبثه ورقته وحرصه وطموحه ، ومغالاته في حريته ، وامتناعه على من يريد ان يخضعه لحكمه ، فلا غرو اذا سمت به همته الى الاستنجاد بقيصر ، ولا غرو اذا قبله قيصر واكرم مثواه ، ووجود بعض النواحي الغامضة والحوادث المتشابهة وفقدان بعض التفاصيل وضياع بعض الأوصاف ، كل ذلك لا يسوغ لنا ان نحكم على هذا الحديث بانه من الاساطير ، واذا كنا اميل الى القول بصحة رحلة امرئ القيس الى القسطنطينية ، فاننا على ذلك لا نسلم بما ادعاه مؤرخو العرب من اسباب عدول قيصر عن امداده وايقاعه به ، خشية من غدره او لما وشي به واش من علاقته بينته ، فذلك من اوهام الرواة ومحدثاتهم التي تنكرها الوقائع وتأباها طبيعة الأشياء ؛ وكيف يخشى القيصر في امبرطوريته العظمى مدداً انفذه لمناصرة امير عربي ان يعود الى غزو بلاده بقيادة هذا الأمير بعد ان يكون قد اصاب غايته ؟ أما الرواية الثانية التي تعتمد على ماقيل من دسيسة الطماح وكيده لامرئ القيس في دعوى ابنة القيصر ، فهي أضعف من الأولى واكثر باطلاً ، بل هي حديث مفترى لا يؤبه له ، ويكفي أن القيصر يسطيانس الذي ينبغي ان يكون قصده امرؤ القيس لم يكن له ولد من ذكر وانثى ، وما

هذه القدرة السحرية للطاح الذي جاء من أقصى الجزيرة ليكيد لامرئ القيس حتى استطاع أن يحمل القيصر على الاصغاء لوشايته والايقاع بعدوه!

على ان استنكاف القيصر عن امداد هذا الامير العربي الموتور، الذي لاتخمد قوادح ضغنه، ولا يستقر على قرار في الطلب بثأره، قد يرجع الى أسباب تتعلق بسياسة الدولة ومصالحها العليا، فقد كان هذا القيصر مهادنا لكسرى انوشروان في معظم ايام ملكه، يبذل له الجزية ويسلم بغلبته في الشرق، وهو منصرف كل الانصراف الى توطيد سلطانه في العاصمة البزنطية وما حولها، ثم في سائر الأجزاء الغربية التي كانت تهددها عصائب البرابرة وتنتقصها من اطرافها، ومع ذلك فان يسطيانس الذي خلد ذكراً باقياً في تاريخ القياصرة بجمع القوانين الرومانية، كان موصوفاً بالرياء والخداع، يحلف الأيمان المغلظة، ويذرف الدمع رقة ورحمة، ولكن بكاءه لم يكن عنوان حزنه ولا عنوان فرحه، بل احدى الوسائل التي يستعين بها على قضاء حوائجه وبلوغ مآربه، وكان في بعد غوره لا يبيح سراً ولا يطلع على مكنونات صدره احداً، ولا يبالي ما ارتكب من غدر وخيانة؛ فهل كان امرؤ القيس في عداد ضحاياه بعد أن وطأ له من مهاده وخفض له من جناحه؟ ونحن نجد توافقاً غريباً بين ما كتبه مؤرخو العرب عن طريقة فتكه بامرئ القيس، والصفات المأثورة عنه في كتب الروم (*)

نجيب الأرمنازي

(*) اذا ذكر القيصر يسطيانس فلا بد ان نذكر معه زوجته تيودورا التي يرجع اليها في شؤون المقاطعات الشرقية كالشام ومصر وتتصل بابنائها، وقد جلست على عرش القياصرة وان لم تكن من اصل بزنطي حتى يقال انها ولدت في سورية، وتاريخها حافل بالعجائب التي تشابه الأساطير.

وقد سار بها ابواها الى قسطنطينية وهي صغيرة السن لتحصيل بعض موارد الرزق، فتعاطى والدها عملاً في ميدان من ميادين اللعب وكان يحرس بعض الحيوانات التي تراض وتعد، اما أمها التي كانت تعيش في هذه البيئة المردية فانها لم تكن من امثلة الفضيلة، وكانت ترى في جمال ابنتها مايعادل ثروة عظيمة، فنشأت تيودورا

بين المغنين والراقصين واللاعبين ورائضي الحيوانات حتى برعت في صناعة المسارح واحرزت قصب السبق ، واخذت تغدو وتروح الى المجتمعات والنوادي ، تتهادى في معارض سحرها وجمالها ، حتى اصبحت ملكة من ملكات العبث واللهو ، وكان في وسعها ان تفاخر بانها لم تبلغ العشرين حتى احبها جميع الرجال وابغضها جميع النساء ، واذا صدقنا ما قاله بركوب — مؤلف التاريخ السري — وهو يتلظى حسرة وغيظاً على الفضيلة الملطخة بالعار ، فانه لم يكن يشاهدها رجل وقور حتى يشيح بوجهه ، مخافة ان يلحقه الاذى من لقاء شخص مثلها غارق في حمأة الرذيلة ، وأن يصيبه الضر في ذلك اليوم الأنكد ، وكان هذا المؤرخ يصفها بالوضاءة والحسن ، ولعل في ذلك ما يشرح سر نجاحها ، فقد كانت تفتن وتخيف ، وتمتاز بذكائها وصحة رأيها ، وتعرف ما تجره من المغانم عن طريق عقلها وجمالها ، فكثر المعجبون بها وكلهم من الاغنياء المترفين ، وأصبح منزلها ملهى لعظماء القسطنطينية ونخبة شبابها ، وقد ولي أحد عشاقها افريقية فاستصحبها معه ، ولا يعرف ماتم لها في هذه الربوع ، ولكنها غادرتها بعد حين الى الاسكندرية ، فأخذت تسلك فيها مسالك الزهاد ، وعدلت عن سبل الغواية وانقطعت الى عبادة الله ، وراحت تختلف الى الوعاظ والنساك والرهبان والبطاركة ، فكانوا يتقبلون بقبول حسن هذه المستغفرة لذنبها ، النادمة على ما فرط منها .

ولما عادت الى القسطنطينية كانت تبدو عليها ملامح الوقار ، وتلقي على وجهها قناعاً تلوح خلاله مظاهر الجمال ، فالتقى بها يسطيانس وهي على هذه الحال من اظهار التوبة والانابة ، فاقتنصته بحبائل فتنتها وأضحت خليلة له ثم زوجة ، وتوجت في الميدان الذي كانت تركض فيه الى اللهو وتقبلت تهانئ الشعب وتكرمته ، واستمرت في عظمة سلطانها حتى طوتها الأيام في سجل الفناء ، وهي وقورة رزينة ، سديدة الرأي ، مهيبة الجانب ، مهيمنة على العظماء والرؤساء ، لا يؤذن لهم بالدخول عليها بسهولة ، واذا أذنت لهم يركعون لها ويقبلون أقدامها ، ولا ينطقون بكلمة مالم تأمرهم بالكلام

في حضرتها ، وكانت أشد حماسة من الامبرطور واكثر هوى وأقوى شكيمة واعظم خطراً ، وخلدت في تاريخ القياصرة ابلغ صفحة لأعظم امبراطورة .

وكانت تحب نفائس الاشياء وغوالي الدرر وطيبات المآكل ، وكان الاعجاب بعبقريتها لا يقل عن الاعجاب بجمالها ، وابقت صورتها وصورة زوجها أثراً من الآثار البزنطية التي لامثيل لها ، في زينة باهرة من الحلي والحلل والحجارة الكريمة والفن البديع ، ولم يكن السلطان الذي لها على القيصر لأنه يحبها أشد حب ، بل لأنها كانت لديه أعظم من يستشيره وأوثق من يعتمد عليه ، وللنساء من وجهة عامة دقة نظر في السياسة ، لأنها تستلزم نظرة مجردة الى الحياة ، وشيئاً كثيراً من مسايرة الامور ومجاراة الحوادث وتطبيق المبادئ عليها لا تطبيقها على المبادئ ، وهذه الصفات التي تمكنت منها تيودورا هي من أخص صفات النساء ، ولعل حياتها المتقلبة وما مر عليها من أحداث وأطوار زاد في حنكتها وأحسن تجربتها وتأديبها .

وحسب هذه الملكة من المواقف العظيمة التي وقفتها في أيام سلطانها ما فعلته عندما نشبت ثورة كبرى في القسطنطينية ، وهاجم الثائرون قصور الدولة ودور الحكومة وأحرقوا كنيسة أياصوفية ، وخربوا ودمروا ، ونادوا بملك جديد ، فاستولى اليأس والقنوط على القيصر وبطانته حتى هموا بالفرار وأخذوا بالبحث عن وسائله ، لولا أن تيودورا التي لا تلين عزيمتها في الخطوب والعظائم ، بثت فيهم روح الشجاعة وحملتهم على الاستبسال في المقاومة ، وألقت عليهم كلمات موجزة تضطرم بنيران الحماسة ، وتدل على أنها كانت أهلاً لما أحرزته من مقام ومنزلة ، وقالت لهم :

« قد لا يكون من شأن المرأة — أليس كذلك ؟ — أن تخاطب الرجال وان تبعث الشجاعة في نفوس الجبناء ! غير ان ساعات الخطر الشديدة توجب على كل واحد أن يبذل قصارى جهده في دفع الخطر وإدراك السلامة ، ولا شك عندي أننا في موقف لا ينفع فيه الفرار ، حتى اذا كان في الفرار نجاة ، لأننا لا نتمتع بالحياة الا قليلاً ريثما تسلب منا ، ولا يحق لمن يتقلد الحكم والسيادة أن يتمتع

بالحياة إذا حرم منها ، فلا أراد الله أبداً أن انزع عني رداء الملك ، أو ان أتخلى عن لقب الامبرطورة ! أما أنت أيها القيصر فانك تستطيع الفرار اذا ابتغيت سبيله ، ولديك أموال وسفائن ، والبحر قريب منك ، ولكن اسمع لما أقوله لك : انك اذا تخليت عن هذا القصر فستتبعه حياتك على الاثر ، وأما أنا فسأتمسك بالقاعدة التي أحبها ، وهي ان الارجوان — رداء الملك — أجمل ما يكفن به انسان . »

فهذه الجرأة النادرة والكلمات البالغة المؤثرة والامتهان المقترن بالاباء والانفة افاض على الامبرطور ومستشاريه من الاقدام والعزيمة ما بدل من نفوسهم وأوقد جذوة الحماسة في قلوبهم ، فأمروا بارسال الجنود المجربين الذين لا ترهبهم كثرة الذين اطلقوا عقال الثورة وأثاروا نقعها ، فحملوا عليهم حملة شديدة حتى أزالوهم عن مراكزهم وأحاطوا بجموعهم وأكثروا القتل فيهم ، فاعتدل الأمن في نصابه واستقر النظام في قراره ، واستوسق لقيصر الأمر ، وعظم شأنه ونفوذه اكثر من قبل ، وذلك بيمن زوجته وحسن تدبيرها وفاضل رأيها . ن · ا

الأوهام العاثرة

-٣-

١٨ — لا يقال : سوف لا أتردّد في تهذيبه ، بل : لن أتردد

ومن سوء تعابيرهم ، أنهم يقولون : سوف لاأتردد في تهذيبه ، لأن سوف لا تدخل على النفي ، في حين ان (لن) تجمع بين النفي والاستقبال . قال سيبويه : « سوف كلمة تنفيس في ما لم يكن بعد . ألا ترى انك تقول : سوّفتهُ ، اذا قلتُ له مرة بعد أخرى : سوف أفعل . ولا يفصل بينها وبين الفعل ، لأنها بمنزلة السين في سيفعل » اه (عن تاج العروس والصحاح) .

١٩ — نزع ونزف لانزاع ونزيف

ومن أغلاطهم أنهم يقولون: النزاع والنزيف . وهذان حرفان عاميان والصواب نزع ونزف

٢٠ — تأمل كذا لا تأمل في كذا

ومن أوهامهم أنهم يقولون : تأمل في كذا . والصواب : تأمل كذا كما يستعمله بلغاء الكتاب وفصحاؤهم .

٢١ — حُبّاً له لا حُبّاً به

ومن خُلفتهم انهم يقولون : يعمل هذا حُبّاً بهِ ، والأصوب حبّاً له ، لأنه يقال أحبهُ ، لا أحبَّ بهِ .

٢٢ — لا تقل قصفت الطائرات بقنابلها ، بل : صعقت الطيارات بقنابرها

هذه ثلاثة أغلاط في عبارة صغيرة . وأولى هذه الهفوات قول أرباب الصحف : (قصفت) . والفعل قَصفَ ، يعني كسر . وقصف الرعد : اشتدّ صوته . ولهذا يعدل عن استعمال هذا الفعل الى اتخاذ فعل (صعق) . لأن الصاعقة : كل عذاب مهلك (اللغويون) . وصعقتهم السماء صاعقة : أصابتهم بها . فالسماء كل ما علاك . فاذا جاءتك قنبرة من الطيارة فقد جاءتك من السماء ولهذا حسن ان يقال : صعقته الطيارة لا قصفته .

وأما (الطائرة) فلا تدل إلا على ما ستطير عن قليل ، أو على ما ستصير طائرة عن قليل ، لأن هذا معنى الفاعل مذكراً أو مؤنثاً ، كما صرح اللغويون ان الشارف من الناس : الذي سيصير شريفاً عن قريب . قال في القاموس والتاج : « شرف الرجل ككرم فهو شريف اليوم وشارف من قليل ... أي سيصير شريفاً » انتهى . ولذا لا يحسن أن يقال طائرة بل طيارة ، لأن فعالة من صيغ الآلات وان لم ينصوا عليها . فقد قالوا خرّارة ، وبرّادة ، وقذّافة ، وصفارة ، وطحانة ، ونشافة ، وسيارة ، ونفاطة ، وقدّاحة ، وفزاعة ، ودرّارة ، وبرّاءة ، وزمارة الى أشباهها وهي كثيرة . ولا يقال هنا : ان هذه الطيارة التي يطير بها الانسان تختلط بالطيارة التي يطيرها الصبيان . فان اسم هذه الآلة عند فصحاء العرب (راية شادن) ومنه الشاعر الهذلي في مسيلمة الكذاب :

بيضة قارورٍ وراية شادنٍ ... وتوصيل مقصوص من الطير جائفِ

زد على ذلك : ان الطائرة هي المرأة التي تطير . ولهذا يحسن ان يعدل عن هذا الاستعمال الموهوم فيه ، الى ما يصلح اتخاذه من أسماء الآلة أي (الطيارة) .

وأما (القنابل) بمعنى (القنابر) فلم يرد في العربية ، والمعروف في لغتنا ان (القنابل) بلام في الآخر ، جمع قَنبل كجعفر وهو الطائفة من الناس ، ومن الخيل ما بين الخمسين فصاعداً . وقيل : ما بين الثلاثين الى الاربعين . وهي أيضاً جمع قنبلة بالفتح وبالهاء في الآخر بمعنى القنبل كجعفر . وجمع القنبلة بضمّ الأول والثالث ، وهي مصيدة النهس كزُفَر ، وهو أبو براقش . وقد ذكرها صاحب محيط المحيط ان القنبلة أيضاً : كرة مجوفة تُحشى باروداً ، وقطع حديد ، يُرمى بها عن المدفع في الحرب . والبعض يسمونها بالقنبرة بالراء » اه . لكن القنبلة لم ترد في كلام فصحاء العرب المولدين ، بل الذي ورد في كلامهم : « القنبرة » بالراء .

فصواب التعبير إذن ان يقال : « صعقت الطيارات البلدة بقنابرها »

٢٣ - انكم أضفيتم عليه جلالاً من جلالكم السامي

يقول بعضهم في مخاطبته لملك : « انكم أضفيتم عليه جلالاً من جلالكم السامي » :

فني هذا التعبير خطاءان : الأول قوله أضفيتم . وأضفى لم يرد في كلام السلف بمعنى أسبغ وأفاض . فالظاهر أن المتكلم استعمل القلب في (أفاض) فقال (أفضى) « كذا » .

وأما (الجلال) فلا يستعمل في الكلام مع الملوك في مكان الجلالة . قال الراغب في (جلل) : الجلالة : عظم القدر ، والجلال بغير الهاء التناهي في ذلك . وخص بوصف الله تعالى فقيل : « ذو الجلال والاكرام » . ولم يستعمل في غيره » . وحكى الاصمعي : انه لا يقال الجلال إلاّ في الله تعالى . وان جاء في غيره فهو قليل في الاستعمال .

٢٤ — كرات بيض لا بيضاء ولا بيضاوات

لما خطأنا من يقول « كرات بيضاء » شرع بعضهم يقول كرات بيضاوات وهذا تعبير أمرّ وأدهى . ولا نرى سبب استنكافهم من الصحيح الذي هو الكرات البيض . فقد قال الخفاجي في الرد على درة الغواص (ص ١٦٣ — ١٦٤ من طبعة الآستانة) : « ويقولون في جمع بيضاء وسوداء وخضراء : بيضاوات وسوداوات وخضراوات ، وهو لحن فاحش . لأن العرب لم تجمع فعلاء الذي هو مؤنث أفعل بالالف والتاء ، بل جمعته على فُعل نحو خُضر . هذا مشروط بأن لا ينقل الى الاسمية حقيقةً . أو حكماً ، كسوداء اذا جعل علماً ، وكخضراء في الحديث : « ليس في الخضراوات صدقة » لأنه غلبَ على البقول ، حتى شمل الأخضر وغيره ، وقد صرح بصحته كما ورد في لحديث قاله المبرد في كتاب المقتضب . وأما خُضرَاوات بضم الخاء الجاري على ألسنة الناس ، فقال في الطلبة : لا وجه له . وقال بعضهم الصحيح فيه خُضرات جمع خضرة اهـ

٢٥ — المحاجر لم تأت بمعنى المقالع والمقاطع

ويقول كثيرون : أخذنا هذه الصخور من محاجر المكان الفلاني . وهذا خطاء قبيح منقول عن بعض العوام المصريين ، واللغة لا تجيزهُ فالمحاجر جمع محجر كمنزل ومنبر وهو الحديقة . قال لبيد : تروي المحاجر بازل علكوم — والمحجر من العين ما دار بها وبدا من البرقع او ما يظهر من النقاب — ومحجر الرجل : عمامته اذا اعتم بها . — ومحجر القرية : ما حولها . يقال : لهذه القرية محجر فيه رعي كثير .

والصواب ان يقال في مكان المحاجر : المقالع او المقاطع فللطين يقال مقالع . قال ياقوت في (نعانية مصر) و (نعانية العراق) : « وفي كل واحدة منها « مقلع » للطين الذي يغسل الرؤوس به في الحمامات » اه

أما اذا كان المقلع للرخام أو المرمر فيقال المقطع قال أبو الفداء في تقويم البلدان ص ٣٤ من طبعة الافرنج : « وهناك جزيرة مَرْمَرَا ، وبها مقطع الرخام » اه .

وللموضع الذي يؤخذ منه الطين اسم آخر في لغتنا هو (الممدرة) زنة مكنسة ومدرسة . ويقال فيها أيضاً : (الوئار) ككتاب . والمحفرة كمدرسة . وقد صحفها بعض نساخ كتب اللغة في شرح (الوئار) . فاحفظه .

٢٦ – موقت ووقتيّ

لم أجد بين الكتاب من يعرف الفرق بين الموقت والوقتي . فقد يستعملون الواحد بدل الآخر بدون أدنى فرق ، مع ان الواحد غير الآخر . (فالموقت) اسم مفعول « من وقته توقيتاً أي جعل لهُ وقتاً يفعل فيه . وكذلك اذا قدّر لهُ غاية . وفي سورة المرسلات : واذا الرسلُ وُقتتْ . وقرئت : أُقتت . والعرب تعاقب بين الهمزة والواو ، لا سيما اذا كانت في الأول ، وكانت مضمومة . قال المجد في مادة (و ق ش) : بنو أُقيش : تصغير وقش : حيّ . وكل واوٍ مضمومة همزها جائز في صدر الكلمة وهو في حشوها أقل » اه .

قلنا : وقد عكسوا الأمر فقد قالوا : (الأُثن) وأصلها :(الوُثن) . و (الأُشَّقُ) وأصلها (الوُشَّقُ) وقالوا في الصنم (وُدّ) : (أُدّ) الى مالا حدَّ له .

وأما ((الوقتي) فهو : ماله زمن معين محدود لا دائماً . وهو مأخوذ من أن الوقت جزء من الزمان . وعليه قول المناطقة الوقتية هي القضية الموجهة « التي يحكم فيها بضرورة ثبوت المحمول للموضوع أو بضرورة سلبه عنه في وقت معين من أوقات وجود الموضوع مقيداً باللادوام بحسب الذات » عن التعريفات للشريف الجرجاني .

٢٧ – أنابير وأظافير لا أنابر وأظافر

لا أرى كاتباً مصرياً الآن ويقول : « أنابر وأظافر وهما جمع أنبار وأظفار ، وهما

جمع نبر (على رأي) وظفر . وأفعال تجمع على أفاعيل لا على أفاعل باتفاق جميع الصرفيين والنحاة . لكنهما يُقصرَان هما وأمثالها في الشعر للضرورة ، أو حفظاً للوزن . وقد قال بعضهم ان ما يرد في الشعر ضرورة قد يجوز الاستشهاد به في النثر والجميع يعلمون أن ضرائر الشعر للشعر لا للنثر ، لكن ما العمل وقد قال صاحب المصباح المنير في مادة (دنق): « وقيل : كل جمع على فواعل ومفاعل ، يجوز أن يُمدّ بالياء . فيقال :فواعيل ومفاعيل »

قلنا : ان صاحب المصباح من أبناء أواخر المائة الثامنة للهجرة ، فليس من الثقات الذين يعتمد على كلامهم .

وانه من علماء الفقه وليس من علماء اللغة الفصحى .

وان الحذّاق والبصراء من أرباب القدم الراسخة في النحو واللغة لا يرون رأيه وذلك مثل الخليل بن أحمد ، والليث بن سيار ، وسيبويه ، والفرّاء ، والازهري ، ونظائرهم فهم يخالفونه وقد سبقوه بمراحل في التحقيق والامعان في التدقيق . قال في اللسان في مادة (ك ر س) :« الاكاريس الاصرام من الناس واحدها كِرس ، واكراس: ثم اكاريس ... فأما قول ربيعة بن الجحدر :

ألا إنّ خير الراس رِسلاً ونَجدَةً بعجلانَ قد خفت لديه الاكارس

فانه أراد (الاكاريس فحذف للضرورة ومثله كثير » اهـ كلام ابن مكرم .

أما الذين أجازوا فقالوا في جمع دانق دوانق ودوانيق فقد ذهبوا الى ان (الدوانيق) بالكسر بلا أشباع ، جمع دانق وزان دارس ، وأما الذين قالوا (الدوانيق) بياء ، فقد بينوا انه جمع دانَق المفتوح النون . فهذا هو الحق الصراح ، والتكلم كلاماً موافقاً للمنطق ولأحكام العربية .

وقال سيبويه : « وما كان من الاسماء على فاعِل [بالكسر] ، أو فاعَل [بالفتح] فانه يكسر على بناء فواعِل وذلك : تابَل وتوابِل ، وطابَق وطوابق ، وحاجر وحواجر وحائط وحوائط . » (اهـ في ٢ : ١٩٨)

وقال ابو سعيد السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه في حاشية ٢ : ١٩٨ من طبعة بولاق) : « قوله : وما كان من أسماء على فاعل الخ قال ابو سعيد : قد جاءت فاعل فواعيل . نحو : طابق وطوابيق ، ودانق ودوانيق ، وخاتم وخواتيم . وليس ذلك بقياس

يطرد . وبعضهم يقول في خاتم خاتام . فعلى هذه اللغة قياسه خواتيم . وقد قال الفراء انه لم يجيء في فاعل فواعيل الا شيء من كلام المولدين . قالوا : باطل وبواطيل شبهوه بطابق وطوابيق . » اهـ .

فهذا الكلام الذي يؤخذ به هو لأبي سعيد السيرافي ولسيبويه وكل لغوي جليل القدر، واسع العلم، راسخ القدم، بعيد النظر، وما سواه من كلام المولدين ينبذ ولا يؤخذ به.

ومن العجيب، ان العراقيين، عوامهم وفصحاؤهم، يقولون أظافير . ويقولون في أنابير : عنابير، وفردها عندهم عنبار، وكلاهما بالعين، من باب العنعنة، وذلك ان كثيرين من قيس وتميم وأسد وكلاب دخلوا وادي الرافدين، وأدخلوا فيه لغتهم هذه، فعمت البلاد[1] كلها . فهل يجوز ان يجري عوام العراق على اللغة الفصحى ويبقى بلغاء وادي النيل على لغة المولدين، فاننا نحن اخوانهم لا نرضى لهم هذه اللغية، بل نريد ان يكونوا في رعيل البلغاء والفصحاء .

ونزيد على ما تقدم ان (الانبار) ليست عربية ولا لفظة مجموعة، بل هي لفظ مفرد معرب من اليونانية [Empor[ion]] وليس فارسياً كما قال بعضهم . وأما ان مفرد (نبر) بالكسر، فهو من باب الوهم، لأن (أفعالاً) كثيراً ما يكون مفرده فعلاً بالكسر . اما انه مفرد فقد قال صاحب القاموس : « أنبرَ الأنبار : بناه « نقله الصاغاني . » اهـ . فهذا دليل على ان الفيروزابادي والصاغاني اعتبراهُ مفرداً . وكان السلف في مندوحة عن اتخاذ لفظة اعجمية في حين ان عندهم (الفداء) كسماء بهذا المعنى . وعندهم أيضاً المِرْحه، بكسر الميم، والصوْبة كغرفة، تهمز ولا تهمز . وهناك غير هذه الكلم، فاكتفينا بما ذكرنا .

بغداد الأب أنستاس ماري الكرملي

---

(١) راجع كتاب النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري (طبعة اليسوعيين ص ٢٨ و ٢٩) — والمزهر (طبعة بولاق الاولى ١ : ١٠٩) والاغاني (طبعة بولاق الأولى ٧ : ٥٤) — والتاج في مادة (ع ن ن) و (ع ب د) وكذلك لسان العرب وفقه اللغة للثعالبي (طبعة اليسوعيين في بيروت ص ١٠٧) وقد تكون العنعنة في غيرهذه الكلمة والشواهد لا تحصى .

كتاب في فضل الجهاد

وما يجب مراعاته على الملوك والأمراء

أشرت فيما نشرته في مجلة المجمع العلمي العربي « مجلد ١٧ صفحة ١٢٨ » بعنوان « من الصفحات المطوية » الى كتاب فضل الجهاد وما يجب مراعاته على الملوك والامراء تأليف محمد بن احمد بن محمد المجاور بمكة المشرّفة سابقاً كما يقول عن نفسه ووعدت بوصف هذا الكتاب المخطوط الذي اقتنيته أخيراً فأقول :

مقدمة الكتاب

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أقام شعائر الامامة العظمى وأدام بهـا شرائع الحج والجهاد وجعل الائمة والخلفا والسلاطين الحنفـا ملجأً ومأوى للمظلومين والفقراء من العباد وفقهم الله تعالى لكل خير ونصرهم وهزم عدوّهم الى يوم التناد والذي جعل العلم للعلماء نسباً وأغناهم به وان عدموا مالاً ونشبا . ولأجله فاز ادريس بالجنة واجتبا وقام الكليم ويوشع وانتصبا فسارا الى ان لقيا في سفرهما نصبا واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين او امضي حقبا وبسببه خلق الله آدم للبشر أبا وأمر الملائكة بالسجود فسجدوا له الا ابليس أبى واستخرج من ذريته قبائل وشعبا وأجرى عليهم قلم القضاء وجعل لكل شيء سببا أحمده وأومن به وأتوكل عليه وابرأ من الحول والقوة اليه براءة من اعترف بالتقصير فأقر وأشكره ان جعلنا من أهل حرمه وجيران بيته ومحط نظر رحمته وكرمه وأشهد ان لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة من شاهد جمال الحضرة المقدّسة واستخضر لحسن الخاتمـة لخضر وأشهد ان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وصفوة المرسلين وسيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في دين الله حتى ارتفعت أعلامه على الأديان وظهر . »

وبعد ان ذكر مفارقته للحجاز وعودته الى بلاده التي لم يذكر اسمها واستيحاشه

من الاقامة فيها بعد تلك الرحلات التي تألف فيها المدن والأمصار وصحبة الأخيار وطد العزم على تأليف كتاب فقال : « انتهضت لأن أجمع كتاباً مشتملاً على بعض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام صاحب المقام المحمود مع قلة بضاعتي وعدم معيني وظهيري عسى ان انال الثواب الموعود وأرِدَ على الحوض المورود بفضل كرم الله الودود فلما رأيت الوقت وقت المجاهدة بالنفس والشيطان وأنواع الكفرة وسائر أرباب الطغيان استخرت الله عز وجل أن يكون الكتاب في الجهاد فجمعت هذا الكتاب بعون الله الملك الجواد فصار ان شاء الله تعالى كتاباً لم تكتحل عين الزمان بأثمد مثل مداده ولم تتمتع بتسريح طرفها في روض دبج بشبه بياضه وسواده يصلح ان يكون للملوك روضة أنقاً ويليق ان يكون جليساً للخلفا والائمة الحنفا كيف لا وقد اشتمل على أحاديث من لا ينطق عن الهوى »

أبواب الكتاب

ورتبته على خمسة أبواب وخاتمة

الباب الأول : في فضائل السلطان وما ورد في شأنه من دليل وبرهان

الثاني : فيما أوجبه عليه الرحمن حيث أقامه في هذا المقام في كل زمان

الثالث : في معاملته العلماء بالتعظيم ووافر الاجلال والتكريم

الرابع : في النية وفضائل الجهاد وما يتعلق به من بذل الاجتهاد

الخامس : ذكر أحاديث فضل الجهاد وغالبها في صحيح البخاري ومسلم متصلة الاسناد

وخاتمة الكتاب تشتمل على ذكر غزوة الحديبية وبيعة الرضوان

خاتمة الكتاب

جمعه وكتبه الفقير الى رحمة ربه الغني القدير محمد بن احمد بن محمد المجاور بمكة المشرفة سابقاً شرفها الله تعالى بقدر مجاورة موسى عليه الصلاة عند شعيب عليه السلام غفر الله له ولوالديه وأجداده وجميع أقاربه من الرجال والنساء الأعلى منهم والأدنى وعفا عنهم أجمعين بمنه وكرمه ورحمهم ولطف بهم فانه القادر على ذلك وعمن طالع

فيه ودعا لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان وأسكنهم فسيح الجنان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته وآل بيته ومحبيه وحشرنا والمسلمين في زمرته أجمعين والحمد لله رب العالمين .

ومما يؤسف له ان المؤلف لم يشر الى تاريخ تأليفه ولا ذكر الناسخ اسمه وتاريخ نسخه الا اننا بالاستدلال من كتاب آخر منسوخ بالخط نفسه عرفنا أن تاريخ النسخ كان في سنة ٩٦٢ أو حواليها وان لم نهتدِ الى معرفة الناسخ .

شعر المؤلف

ويظهر أن المؤلف كان يقرض الشعر فقد أورد بعض أبيات بعد مفارقته الحجاز فقال :

يا سائقاً غنِّ النياق وزمزما	أبشر فقد جئت المقام وزمزما
كم كنت تذكرنا منازل مكة	وتقول ان بها المنى والمغنما
برِّد بماء سقاية العباس ما	كابدته طول الطريق من الظما
وانهض وهرول بين مروة والصفا	وادخل الى الحجر الكريم مسلما
ومقام ابراهيم زره مبادراً	وبحجر اسماعيل صلِّ معظما
وانظر عروس البيت يجلى حسنها	للناظرين ولذ بها مستعظما
فهي التي ظهرت فضائلها فلا	تخفى وما يخفى سنا قمر السما
لم يلقها الانسان إلاّ باكياً	فرحاً بها او ضاحكاً متبسما
والنور من ارجائها لا يختفي	أبداً وان جن الظلام وأعتما
ومن العجائب انها محروسة	والصيد فيها لا يزال محرّما
تختال في حلل السواد وبابها	بالنور دام مبرقعاً وملثما
هي كعبة المولى الكريم وكل من	وافى اليها حقه أن يكرما

واننا ننقل الى القارئ الكريم بعض ما أورده في الباب الأول في فضائل السلطان وما ورد في شأنه من دليل وبرهان

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه خطب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض فمن نصحه في نفسه وعباد الله حشده الله في وفده يوم لا ظلّ الا ظله ومن غشه في نفسه وعباد الله خذله الله يوم القيمة ويرفع للوالي العادل في كل يوم وليلة عمل ستين صدّيقاً كلهم عابد مجاهد في نفسه ·

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في الأرض من نصحه هدي ومن غشه ضلّ ·

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في الأرض فمن اكرمه اكرمه الله عز وجل ومن أهانه أهانه الله عز وجل

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا مررت بقرية ليس فيها سلطان فلا تدخلها انما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه كل مظلوم من عباده

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو قال هو ظل الرحمن في الأرض يأوي اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وان جار وحاف وظلم كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر

وفي رواية عند أبي نعيم فان احسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وان اساءوا فعليكم الصبر وعليهم الاصر لا يحملنكم اساءته على ان تخرجوا من طاعته فان الذلّ في طاعة الله خير من خلود النار لولاهم ما صلح الناس ·

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال انما الإمام جُنة يُقاتل من ورائه ويتقى به اخرجه مسلم [1]

(١) في الهامش قوله صلى الله عليه وسلم الامام جنة اي كالساتر لانه يمنع العدو من أذى المسلمين يمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الاسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصره عليهم ومعنى يتقي به أي يتقي به شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقاً والتاء في يتقي مبدلة عن الواو

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه قال لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في الأرض به يقيم الله الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين

وعن أبي امامة رضي الله عنه لا تسبوا الأئمة وادعوا بالصلاح فان صلاحهم لكم صلاح اخرجه السيوطي في الجامع

وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا السلطان فانه فيء الله في أرضه

قال الامام ابو سليمان الخطابي في معنى كون السلطان ظل الله ورمحه الظل العز والمنعة ويحتمل ان يريد به الستر كما يقال انا في ظالك اي سترك

وقيل انما وصفه بالظل لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظل أذى الشمس

وقال الطيبي قوله السلطان ظل الله في الأرض تشبيه وقوله يأوي اليه كل مظلوم جملة مبينة لما شبه به السلطان وهو الظل فكما ان الناس يستروحون الى برد الظل من حر الشمس فكذلك يستروحون الى برد عدله من حر الظلم وأضافه الى الله تشريفاً له كبيت الله وايذاناً بانه ظل ليس كسائر الأظلال بل له شأن ومزيد اختصاص بالله تعالى لما جعله خليفة في أرضه يبث عدله واحسانه في عباده

قال ابن الأثير وقد استوعب بهاتين الكلمتين يعني ظل الله ورمحه نوعي ما على الوالي للرعية احدهما الانتصار من الظالم والاعانة لأن الظل يلجأ اليه من الحرارة الشديدة ولهذا قال في تمامه يأوي اليه كل مظلوم والآخر ارهاب للعدو ليرتدع عن قصد الرعية وأذاهم فيأمنون بمكانه من الشر والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع انتهى كلام ابن الأثير وما أحسن قول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الائمة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

ولما كان السلطان في الدنيا ظل الله يأوي اليه كل ملهوف كان في الآخرة يأوي الى ظل رحمة الله الرحيم الرؤوف الى آخر ما في هذا الفصل المسهب كسائر فصول الكتاب

وبعد فان الكتاب من القطع المتوسط عدد صفحاته ١٣٦ وفي كل صفحة ١٧ سطراً وكل سطر يتألف من ١٣ كلمة تقريباً وطوله ٢٢ وعرضه ١٣ سانتيمتراً وهو بخط مشرق جميل في كاغد صقيل ·

عبد الله مخلص

عشائر الشام

— ٤ —

(منازل الرولة) ۰ — يقيظ اكثرهم في انحاء حوران « النقرة والجولان » وقليلهم في انحاء حمص « حول الفرقلس وحسية وبحيرة قطينة » ۰ اما شتاؤهم ففي الحماد شرقي وجنوبي جبل عنزي وارض اللاهة وحول خبرة الهجم وربما توغلوا وبلغوا حدود الجوف ۰ وتلتقي الفرق القادمة من حمص وفرق حوران والجولان في القريتين حيث يكون مخيم العشيرة الكبير ، فتأتي الأولى من ناحية الفرقلس والثانية من ضفاف نهر الأعوج فشرقي الغوطة فالضمير فجيرود فالقريتين ، ومن ثم تزحف العشيرة كالجراد المنتشر نحو الجنوب الى أن تلتقي في الحماد في الأماكن التي ذكرناها ، وفي الربيع تعود من المسلك نفسه ۰

(الأفخاذ والفرق) ۱ ۰ — الشعلان ، فخذ الشيخ وأقاربه ، ۸۰۰ بيت ، وفيه من الفرق النايف والزيد والمشهور والمجول ، ويلتحق بهذا الفخذ عن بعد فرقتا الصبيح والروصان ۰ ۲ ۰ — المرعض ، ۲۰۰ بيت ، وفيه فرق النصير والعشيران والنواصرة والبنية والسبتة والعلمة والمبهل والموصرين ۰ ۳ ۰ — الدغمان ، ۲۰۰ بيت وفيه فرق الهكشة والصوالحة والدرعان والمهنا ۰ (وهذا الفخذ الذي قدمنا انضمامه الى الوهابيين ولحاق فرقة المشهور به) ۰ ٤ ۰ — الفعافعة ، ۱۰۰۰ بيت وفيه فرق المصطفجة والغشوم والمانع والجرذي والريشان ۰ (كانت مشيخة الرولة قديماً في يد هذا الفخذ الكبير ثم انتزعها منهم آل شعلان بالقوة) ۰ ٥ ۰ — الفريجة ۷۰۰ بيت ، وفيه فرق الرماح والسوحلة والمشيط والخضعان والفلتة والسحران والصباح والمطلان والعزول والبادي والجفيان ۰ ٦ ۰ — الكواكبة ۱٥۰ بيت ، وفيه فرق العرضان والوكلان والخمسي والعطلان والختام والوهيب والمدلوشة ۰ (ينزل هذا الفخذ في جنوبي الحماد ومنذ سنة ۱۳٤٥ لم يعد الى ديار الشام) ۰ هذا ولكل فخذ وفرقة من هؤلاء شيخ خاص اضربت عن ذكر اسمائهم لضيق المجال ۰ ومشيخة الشيوخ على الرولة مابرحت منذ قرن او اقل في يد آل الشعلان ، وهي في عهدنا ۰

في يد النوري بن حمزة بن نايف بن عبد الله بن منيف آل شعلان . وهو رجل جاوز التسعين ، اشتهر بثروته الطائلة وحنكته البالغة في موالاة جميع من تعاوروا الحكم في ديار الشام ، وهو يقيم في داره في دمشق منذ أمد بعيد ولا يقصد الى البرية . وقد عهد بادارة مخيمه الخاص الى حفيده فواز بعد ان فجع في سنة ١٣٤٠ بولده نواف أبي فواز . والنوري اكبر حكم بين العشائر عند اختلافها . ولأحكامه أثمان غالية . وهو وبعض أقاربه يحاولون امتلاك الارضين والعمل بالزراعة . (المحلف) . وهم الفرع الثاني من ضنا مسلم . وفي هذا الفرع عدة عشائر تعد من لواحق الرولة وتذعن كلها الى النوري وتتبع سياسته . ولعل هذا ما دعا لتسميتهم بالمحلف من التحالف . وهؤلاء هم (الاشاجعة) ٤٥٠ بيت ، في مشيخة فرحان ابن معجل ، يتنقلون مع الرولة في مناطقها الشمالية ثم صاروا يظهرون في جنوبي درعا ، فرقهم : البلاعيس والمهيوب والبدور والخليفات . ثم (السوالمة) ٢٥٠ بيت ، في مشيخة عافت بن جندل ، يتنقلون مع الرولة أيضاً ، وفرقهم الملهاج والهليب والفراهدة والجندل . ثم (العبد الله) ٢٠٠ بيت ، يتنقلون مع الرولة أيضاً . في مشيخة عبد الله بن مجيد . وفرقهم المجيد والحرزة والقشوش . وهذه العشائر الثلاث كانت فيما مضى مستقلة ثم لما ضعفت اضطرت الى أن تلوذ بحمى الرولة ، على انها تحاول منذ سنة ١٣٥٠ الانفصال والانضمام الى الولدعلي .

(ولد علي) بكسر الواو وسكون اللام . — وهم من قبيلة عنزة ومن ضنا مسلم ومن فخذ الوهب . حفظوا استقلالهم دهراً طويلاً وظلوا الى هذا الوقت يشاركون أقاربهم الرولة على قوتهم في مسالك النجعة وفي المراعي والمناهل . ومن الغريب ان الحزازات مهما اشتدت لا تباعد بين ضنا مسلم أبداً . والولد علي ينقسمون الى قسمين مختلفين : الأول رحال جمال والثاني متحضر غنام ويملك قرية عين ذكر في الجولان وبضع طواحين ولا ينجع الى البرية الا نادراً ، والقسم الاول ٣٥٠ بيت ، يسلك حين النجعة مسلك الرولة ويكاد يعد من لواحقهم . وكان هذا القسم في مشيخة رشيد بن عبد الله بن محمد بن دوخي بن سمير وقد توفي في سنة ١٣٤٠ وخلفه ابنه عناد الذي تكاد العشيرة تنفض من حوله لضعفه . وفرقة العواظ والدعجان والجذالة والمجبل والعطيفات .

والقسم الثاني المتحضر في مشيخة سلطان الطيار ، ٦٠ بيت ، وفرقة المشاذقة والجبارة والطلاح والحاميدة .

(الاسبعة) . — من ضنا بشر . وقد انقسمت هذه العشيرة الى قسمين مستقلين ؛ الاسبعة الاعبدة والاسبعة الاقمصة او البطينات . فالاعبدة ١٥٠٠ بيت وعندهم ٣٠٠٠٠ بعير و ٥٠٠٠٠ شاة . ومنازلهم في القيظ أنحاء سلمية الشمالية وشمالي شرقي حماة . وفي الشتاء في الحماد شرقي جبل عنزي وفي القعرة ومنتهاهم في وادي حوران . يبلغونه من سلمية فاسرية فالكديم فجبل البشرى فوادي حوران . والمشيخة في يد برجس بن هريب وكان ضابطاً في الجيش العثماني برتبة رئيس ، تخرج من مدرسة العشائر التي أسسها السلطان عبد الحميد فأفادت وقتئذ كثيراً في تثقيف بعض أبناء كبار البادية . وكان برجس غنياً ثم بذر واسرف وافتقر وزالت حرمته أو كادت . وفرق الاعبدة المواجبة والبيايعة والدوام والاعرفة والعبادات والامسكة والوثرة والرماح والسالم والغثارة والخلف والمونيع والمزاريع .

أما الاسبعة الاقمصة أو البطينات فعددهم ١٣٠٠ بيت وعندهم ٢٥٠٠٠ بعير و ٣٠٠٠٠ شاة ومنازلهم في القيظ انحاء سلمية الشمالية أيضاً ، وفي الشتاء القعرة . وطريقهم اليها من سلمية الى اسرية فجب الكديم فالسخنه فوادي المياه . والمشيخة في يد راكان المرشد . وهو رجل عصري النزعة وطموح يدفع بعشيرته الى الزراعة والتحضر . وقد تقدمهم في استئجار أراضي املاك الدولة في شرقي قرية سعف الشجرة من قضاء سلمية (٤٠ كيلاً الى الشمال عن سلمية) وفي أنحاء جب الكديم (١٣٣ كيلاً الى الشرق عن سلمية) فبنى الدور وفجر القني وعكف على الحرث والكرث واذا كتب له النجاح تستقر عشيرته وتعمر تلك البراري النائية . وفرق الاقمصة . البطينات والرسالين والمواهيب والمصرب . وتنقسم البطينات الى العميرة والحصان والرحمة . وتنقسم الرسالين الى الشفيع والجامم والهريشان والعجلان . وفرقة المصرب تملك قرية تل القطا في قضاء حمص وهي مستقرة فيها . وقد ذكر ايزامبر وشوفه مؤلفا دليل الشرق المطبوع في سنة ١٢٩٨ أن عشيرة الاسبعة كانت مسيطرة على طريق

تدمر وتكفل بايصال سياح الافرنج واعادتهم باجرة ١٥ — ٢٠ ذهباً عن كل شخص، وذكر أيضاً ان أقوى فرق الاسبعة هي المصرب · وان أحد مشايخ هذه الفرقة واسمه مجول كان له دار فخمة في دمشق «وقد صار معروفاً لدى جميع السياح بعد زواجه باللادي دلبي الانكليزية المشهورة بمغامراتها» · ولما كنت في سلمية أدركت الشيخ غطفان المرشد سلف راكان وعمه وقد توفي في سنة ١٣٣٩

(الاحسنة) · — من ضنا مسلم ومن فخذ الوهب وفرع المنابهة · ولهذا فقد حفظوا احسن الصلات مع الرولة والولد علي · وهي على قلة عددها وقصر ثروتها وانصرافها للحضارة لا تزال تعد من اجل بطون عنزة قدراً واوفرها حرمة لما لها في تاريخ الفروسية من الصفحات الخالدة · ولأن مشايخها كرماء المحتد وذوو مقام علي بين رؤساء الطبقة الاولى من العشائر لا سيا وان جلالة الملك عبد العزيز آل السعود هو من فرقة المساليخ من الاحسنة يجل قدر الوافدين عليه منهم · والاحسنة اول العنزيين الذين نزحوا من شمالي الحجاز الى بلاد الشام في اواسط القرن الثاني عشر الهجري، فاغاروا في طريقهم على وادي السرحان والبلقاء وحوران ونازعوا عشائرها القديمة التي مر ذكرها ثم ما زالوا يزحفون نحو الشمال حتى طابت لهم براري حمص وحماة فدحروا شمر منها الى الشرق، وقد كانت سبقتهم اليها، تأخذ الخاوة من كل بلاد حمص وحماة وبواديها حتى الفرات، ودحروا الموالي الى الشمال، وقد كانت سيدة هذه البراري من أمد بعيد، وصارت الاحسنة من ثم اقوى العشائر وأعزها الى ان وفدت بقية عنزة وهي الفدعان والاسبعة والعمارات في أواخر الربع الأول من القرن الثالث عشر فنازعتها القوة والعزة المذكورتين بعديدها وعدتها (ولا يفل الحديد الا الحديد) · وفي تاريخ الامير حيدر الشهابي ذكر لهنا بن فاضل الذي كان شيخ الأحسنة · ان هذا شارك في سنة ١٢٢٣ جيش والي الشام التركي في هجومه على عشيرة الفدعان وغيرها من عنزة القادمة حديثاً من نجد الى ديار حمص وسلمية · وكانت الدائرة على الجيش، فانتقمت الفدعان بعد من مهنا شر انتقام · وفي كتاب البدو للبارون اوبنهايم شجرة شيوخ الاحسنة وان جدهم الأعلى مزيد ومنه ملحم ومن ملحم

فاضل ومن فاضل مهنا وعبد الله ومن مهنا نصر ومزيد ومن نصر محمد ومن مزيد فارس ومن فارس سعود وملحم ومن سعود فندي وتركي ومحمد ومن فندي طراد وهو الشيخ الحالي . وتاريخ الاحسنة طافح بأخبار الوقائع الدامية بينها وبين شمر ثم الفدعان والاسبعة ثم الرولة ولا سيما الموالي . وقدظلت تغالب الجميع في ميادين الفروسية والبطولة وتبزهم في أكثر الاحيان ، أخصها ما يتناقلونه وينشدونه عن الوقعة التي حدثت بين سني ١٢٨٠ و ١٢٩٠ وغزاهم فيها أحمد بك أمير الموالي بجمع كثيف وهاجمهم في عقر دارهم حول حمص فقابلوه وكانوا في غفلة وقلة وردوه وقتلوا احمد بك ودفنوه في بيت الشيخ ملحم نفسه . وقد أدت تلك الوقائع المتكررة الى ضعف الاحسنة وعزوفها عن البداوة وانصرافها نحو الحضارة فتملكت عدة قرى في شرقي حمص كالشيخ حميد والبوير والوازعية وبرزة وشرعت تحرث بيدها أو بيد اجراء من الفلاحين . ولا يزال كثيرها في بيوت الشعر وقليلها في بيوت المدر . وكان فندي ابو الشيخ الحالي فيما ذكر لي حسن المعاشرة موفور الكرامة مستقيم السيرة ، ولما هرم سلم المشيخة في سنة ١٣٤٤ الى ابنه طراد ، وان هذا أيضاً رجل ذكي وهمام يحفظ سمعة أسرته وعشيرته ويحاول فرض مشيخته العليا على عشائر حمص وحماة كلها . (منازلهم) يقيظ بعضهم في قراهم التي ذكرناها وبعضهم حول بحيرة قطينة ، وفي الخريف يبعدون نحو حسية وصدد ، فاذا حل الشتاء ينجعون الحماد مارين بهين وحوارين والقريتين وعين الباردة (٤٠ كيلاً الى الجنوب الشرقي عن القريتين) وعين حلبا (٧٠ كيلاً الى الجنوب عن تدمر) فالحماد . وهم لا يوغلون في الحماد بقدر الرولة وقلما يتجاوزون خبرة الزرقاء وجبل التنف . (فرقهم) الفقرا والمساليخ والحماعلة والحجاج والصقارة . وعدد بيوتهم ٤٠٠ يضاف اليه ٣٠٠ من لواحقهم وهم العموز « عمور الملحم » وفيهم فرقتا البرقع والعليوي ثم الحروك والابوعيد والعدوان . ومن عادة فرقة الابوعيد أن تقيظ في سهول بعلبك .

(الفدعان) . — من عشائر عنزة الكبيرة (ضنا عبيد) النازلة بين حلب ودير الزور . وقد كانت الثانية في الهجرة الى ديار الشام . جاءت بعد الاحسنة بنحو سبعين

سنة اذا صح ماذكره حيدر الشهابي في تاريخه . فقد نقل هذا في احداث سنة ١٢٢٣ هـ ان جموعاً عظيمة من الفدعان والاسبعة والعمارات وامثالها من عشائر عنزة قدمت من نجد هرباً من الجدب والضيق وانتشر هؤلاء شرقي العاصي في ارياف حماة والمعرة ، وان والي الشام سليمان باشا خشي وقتئذ ان يستبيحوا حمى المعمور فأمرهم بالخروج فاعتذروا وامتنعوا فساق عليهم جيشاً اشترك فيه مهنا الفاضل شيخ عشيرة الاحسنة لعداء سابق بين الفدعان والاحسنة وان المعركة حدثت حول مياه سلية التي كانت خراباً يباباً في تلك الحقبة فدارت الدائرة على الجيش وان الفدعان وقد غاظها اشتراك الاحسنة مع الدولة انتقمت بعد منها . قلت ، فاذا صح مجيء هذه الجموع حول سنة ١٢٢٣ فيم اذن العداء السابق الذي ذكر وجوده بين الفدعان والاحسنة . أكان لان الفدعان ولواحقها من عنزة وردت في سنة اسبق من التي ذكرها المؤرخ الشهابي فحدث هذا العداء من مزاحمة الفدعان للاحسنة في السيادة على بادية الشام . ام ان هذا العداء قديم العهد منذ ان كانوا في ديارهم الاصلية في قلب الجزيرة ؟ ويذكر آخرون أن الفدعان حيناً وفدت اتحدت مع الموالي ضد شمر وزاحمت شمر على بادية الشام ودحرتها الى الجزيرة الفراتية ثم لحقتها الى هذه الجزيرة وأبعدتها من أطراف البليخ كما أبعدت عشيرة جيس نحو الحدود التركية الحالية ومن ثم كانت العداوة مستحكمة بين الفدعان وشمر وجيس ولم ينقطع شن الغارات وأخذ الثارات بينهم طوال عشرات السنين وحتى الى بعد احتلال الافرنسيين وتحت سمع ضباط العشائر وبصرهم الى ان تمكن هؤلاء من اقرار الصلح بين الفدعان وشمر في سنة ١٣٤٤ ! وانتهى الامر ، وبقي العداء بين الفدعان وجيس دون حل حتى الآن . وخاصمت الفدعان الرولة ايضاً وحاربتها بالاشتراك مع الاسبعة على أنهم ذوو قربى من عنزة . واشهر حروبهم حدثت حول سنتي ١٢٨٧ — ١٢٩٢ ، وكان وقتئذ عقيد الفدعان وفارسهم المغوار وداهيتهم في الحرب والسياسة جدعان بن مهيد جد الامير مجحم الحالي . وقد طار صيت جدعان ردحاً من الزمن وكاد يلقب بالأمير ، ثم خاصم الدولة العثمانية وقاتلها مراراً وهزم لها جنداً كبيراً في أنحاء بالس «مسكنه»

ساقه والي حلب المشير درويش باشا . فرأت الدولة من سبل الارضاء والاخضاع ان تقطع جدعان عشرين قرية في انحاء جبل شبيث جنوبي بحيرة الجبول عله يستقر هو وعشيرته فيها ويتحضر ويكفيها شره . لكنه هو اكتفى بتسجيل هذه القرى على اسمه وصار يستثمرها بأيدي فلاحين حضر . ثم ورثها ابنه تركي الذي لم يكن لامع الذكر كأبيه ، ثم حفيده الحالي مجحم ، المعدود بحكم هذا الارث من كبار الملاكين ، وظلت الفدعان بادية الى يومنا هذا . وآل مهيد وان كانوا من بيوتات الفدعان ووجهائها ، لكن الرئاسة قبل جدعان ومنذ مئة سنة كانت في يد ابن غبين . ومن أعقاب هذا الآن شيخ احدى فرق الفدعان التابعة لابن قعيشيش . ولا يزال لأعقاب ابن غبين مكانة معروفة بين العشائر ويعدون من أهل الأختام . ذكر المقدم مولر الافرنسي انه لما نجح في سنة ١٣٤٤ في عقد الصلح بين الفدعان وشمر احتاج الأمر الى أن يؤتى بحفيد ابن غبين وقد كان صبياً ويحمل على توقيع ورقة الصلح .

والفدعان ذوو نجعة واسعة جداً تجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بين منطقتين يفصلها الفرات . ففي الصيف يقيظ قسم منهم في شرقي ديار حلب من بالس الى الرقة ، وقسم يعبر الفرات بقضه وقضيضه ويبعد الى غربي نهر البليخ والى حول تل ابيض . اما في الشتاء فنجعتهم تبلغ القعرة والحماد ، وحدهم الجنوبي الخط الممتد من السخنة الى وادي المياه . وفي كل سنة يشذ بعضهم عن هذه الخطة ويتوغل في بوادي العراق ، بينما رئيساهم مجحم وعبد العزيز يشتيان في بلاد الشام ولا ينجعان مع أعرابها .

وعدد الفدعان نحو ٣٣٠٠ بيت ، منهم ٢٠٠٠ ولد (ربع ابن مهيد) و ١٣٠٠ ضنا ماجد (ربع ابن قعيشيش) ، وثمة عدد كبير من الفرق الصغيرة المنتسبة لأرومات اخرى تلتحق بالفدعان وتلوذ بها ، وهي تتكل في الاحتماء من أعدائها على شخص مجحم وسلطته . وهذه مثل بعض الاسبعة ٢٠٠ بيت والبوخميس والعمور وكيار ولهيب وهم نحو ٤٠٠ بيت . وجميعها يشرق ويغرب مع الفدعان . ومجمع الفدعان ولواحقها زهاء ١٥٠٠٠ نفس ، ولا يخلو بيت من بندقية . وقد كانت الفدعان راعية ابل فحسب ، ثم قضت تطورات هذا العصر ان تميل نحو الغنم فصار عندها نحو

٥٥ — ٦٠ الف شاة . وبعد ان كانت لا تدفع من الضرائب سوى الودي صارت كغيرها من العشائر « الرعية» تعد الاغنام، وقد ادت في سنة ١٣٤٤ من الليرات الذهبية ٣٣٠٠

ليس للفدعان رئيس واحد منذ ان مات الجد الأعلى لعبيد بن غبين النايف . فقد انقسمت العشيرة الى جمعين يدعونها ربعين لكل منها رئيس مستقل مسؤول تجاه الدولة . وقد ظل الجمعان متعاديين سنين طويلة . فالربع الأول (الوِلْد) في مشيخة مجحم بن مهيد ، والثاني (الخرصة) او (ضنا ماجد) في مشيخة مزود بن قعيشيش والآن ابنه عبد العزيز . فمجحم بن تركي بن جدعان آل مهيد وضبط البارون اوبنهايم اسمه بالقاف (مقحم) يلقب الآن بالأمير ، وعده المقدم مولر ابرز رجالات البادية دون منازع ، وهو في الواقع اعلى الرؤساء قدراً ونفوذاً في البادية وأوفرهم حرمةً في الحاضرة وأوسعهم معرفةً واشتراكاً بأمور الادارة والسياسة في بلاد الشام وغيرها . وفي عهد الملك فيصل كان منحازاً الى فرنسا وأفتى بانتدابها أمام اللجنة الاميركية وخدمها وآزرها في اخضاع انحاء الفرات ودير الزور سنة ١٣٤٠ فمنحته نيشان جوقة الشرف من درجة فارس وجعلته نائباً في المجلس التمثيلي سنة ١٣٤٧ . ثم بدا له أن ينحاز الى جانب الوطنية الشامية فصار من أقوى أنصارها ولا يزال . وقد صاهر مجحم آل الشعلان رؤساء الرولة وأنجب من زوجته الرويلية أولاداً علم اكبرهم النوري وهو ولي عهده في مدرسة تجهيز حلب كما علم عجيل الياور شيخ مشايخ شمر العراق ابنه صفوق في جامعة بيروت الاميركية تخلف هذا أباه في المشيخة . وصار يرجى ان يحتذي بقية الرؤساء أثر هؤلاء في تعليم أبنائهم وان يزداد الميل لدى رجالات البادية نحو الحضارة والثقافة . (الفرق) يقال ان عمود نسب الفدعان ينقسم الى ثلاثة : ١ . — (ضنا منيع) وفيه فرق المهيد والشميلات والروس ٢ . — (ضنا فريد او فريف) وفيه فرق الساري في مشيخة ابن حريميس والعجاجرة في مشيخة ابن جاعد . وتتبعهم فرق الحمايش والجدعان والقشور . ويجمع اسم الولد كلا الضنائين . وكل الولد هم ربع الأمير مجحم بن مهيد . ومن الغرباء الملحقين بالولد فرقة من العوازم وأخرى من العمور (عمور الجراح) ، ٣ . — (ضنا ماجد) او (الخرصة) ورئيسهم عبد العزيز

ابن مزود بن قعيشيش . وفي هذا الضنا عدة فرق شديدة التباين بعضها عن بعض وينجع كل منها وحده ولا يعترف أحدها بما يقره الآخر ويصالح عليه خصومه . واسماء هـذه الفرق المويز والجفل والملحود والرمث والمكاثرة والخدلات والخشنة والغبين والعواد والجدعة .

ويلتحق بالخرصة أعراب (ولد سليمان) وهؤلاء آخر فخذ من عنزة ورد من قلب الجزيرة الى الشام . ولا يزال قسم كبير منهم متخلفاً هناك ، ومنازلهم كما جاء في كتاب جزيرة العرب لفؤاد حمزة بين تيماء وخيبر وبيضاء نثيل ، ورئيسهم العام العواجي . وقد وفد بعض هؤلاء المتخلفين في سنة ١٣٣٩ وانضم مدة مديدة الى مجحم ، ثم انضم في سنة ١٣٤٣ الى مزود . لكنهم وثبوا على قافلة عسكرية افرنسية في سنة ١٣٤٤ في موقع أبي هريرة على الفرات . فأدى هذا الى ان تدفع عشيرة الفدعان غرامةً باهظةً . ومن ثم عاد هؤلاء الى شمالي الحجاز وجروا معهم البيوت التي اشتركت في هذه الفعلة . وولد سليمان في ديار الشام يتألفون من فرق الخشة والسليمات والغضاورة ، وهؤلاء يلتحقون عادةً بفرقة الغبين . ويقول المقدم مولر ان مزود بن قعيشيش لم يكن من أصل عنزي بل ان جده شمري ، وهو قد تطاول على الرئاسة منتهزاً فرصة صغر ابن غبين او عجزه . وكان لمزود شهرة طائلة في البسالة وقيادة الحروب ويسمونه النمر ، ومنذ أن منع الافرنسيون الغزو قلت مكانته هو وأمثاله من أبطال البادية الى ان مات وخلفه الآن ابنه عبد العزيز .

ويقول فؤاد حمزة في كتابه المذكور ان من عنزة بعض العشائر المتحضرة في نجد وأهمها في العارض والحريق والحوطة والافلاج والسدير والداخلة وفي القصيم وبريدة ، وان بعض عنزة يقطنون في هجر (جمع هجرة بمعنى مستعمرة) أنشأها لهم الملك عبد العزيز بن سعود .

(يتبع) وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٥ —

حدثنا أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب ، قال حدثني أبو بكر الجعابي[1] الحافظ ، قال : دخلت يوماً على القاضي أبي الحسين بن أبي عمر وهو مغموم حزين ، فقلت له : لا يغم الله القاضي ، فما الذي أراه ؟ فقال : مات يزيد المانى[2] فقلت يبقي الله قاضي القضاة أبداً ، ومن يزيد حتى إذا مات اغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله ؟ فقال ويحك ، مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلف له ولا أحد يقاربه في حذقه ؟ وهل فخر البلد إلا بكثرة كون الرؤساء الصناع وحذاق أهل العلم فيه فاذا مضى رجل لا مثل له في صناعته ولا بد للناس منها فهل يدل هذا إلا على نقصان العالم وانحطاط البلدان ؟ ثم قال بعد ذلك وأخذ يعدد فضائله والأشياء الطريفة التي عالج بها ، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره ، وذكر من ذلك أشياء كثيرة لم يتعلق اكثرها بحفظي ، قال وكان منها أن قال : لقد أخبرني منذ مدة طويلة رجل من جلة أهل هـذا البلد انه كان قد حدث بابنة له علة طريفة[3] فكتمت عنه ، ثم اطلعته عليها فكتمها هو مدة ، ثم انتهى أمر البنت إلى حد الموت ، قال

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢ — ١٠١ (٢) في الفرج : المائي . (٣) طريفة : غريبة نادرة

فقلت لا يسعني كتمان هذا اكثر من هذا، قال فكانت العلة أن فرج الصبية يضرب عليها ضرباً عظيماً لاتنام منه الليل ولا تهدأ النهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ، ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم، وليس هناك جرح يظهر ولاورم كثيرمزيد(؟)قال فلما خفت المأثم أحضرت يزيد فشاورته، فقال: تأذن لي في الكلام وتبسط عذري فيه ؟ قلت نعم، فقال لا يمكنني أن أصف شيئاً دون أن أشاهد الموضع وأفتشه بيدي واسائل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة، قال فعظمت الضرورة وبلوغها التلف فمكنته من ذلك فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة بعد أن جس الموضع من ظاهره وعرف بقعة الألم حتى كدت أن أثب به ثم تصبرت ورجعت إلى ما اعرفه من ستره، فصبرت على مضض إلى أن قال تأمر من يمسكها، ففعلت ثم أدخل يده إلى الموضع دخولاً شديداً فصاحت المرأة وأغمي عليها وانبث الدم وأخرج في يده حيواناً أقل من الخنفساء فرمى به، فجلست الجارية في الحال واستترت وقالت يا أباه استرني فقد عوفيت، قال فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع، فلحقته وأجلسته وقلت أخبرني ما هذا ؟ فقال ان تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها انما كانت اطلب[1] شيئاً استدل به على سبب العلة إلى ان قالت لي: انها في يوم من الأيام جلست في بيت دولاب بقر من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير معرفة من ذلك اليوم فخلت أنه قد دب إلى فرجها من القراد التي تكون على البقر وفي

(١) في الفرج: لا طلب

بيوت البقر قراد قد تمكن من أول داخل الفرج فلما امتص الدم من موضعه ولد الضربان وانه إذا شبع نقط من الجرح [١] الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقط اليسيرة من الدم فقلت ادخل يدي وأفتش فأدخلت يدي فوجدت القراد فأخرجته وهو هذا الحيوان قد كبر وتغيرت صورته لكثرة ما يمتص من الدم على طول الأيام ، قال وأراني الحيوان وإذا هو قراد قال وبرئت الصبية . قال فقال لي ابو الحسين القاضي : فهل ببغداد اليوم من له في الصناعة مثل هذا أوما يقاربه فكيف لا اغتم بموت من هذا بعض حذقه ؟

* * *

حدثنا [٢] ابو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البغدادي [٣] الاسدي قال : حدثني ابو موسى عيسى ابن عبيد الله البغدادي قال : حدثني صديق لي قال : كنت قاصداً للرملة وحدي ، فانتهيت اليها وقد نام الناس ليلاً ، فعدلت الى المقبرة ودخلت بعض القباب التي على القبور ، وطرحت درقة كانت معي فاتكأت [٤] عليها ، وعلقت سيفي اريد النوم لأدخل الى البلد نهاراً . فاستوحشت من الموضع وأرقت ، فلما طال أرقي احسست بحركة ، فقلت لصوص يجتازون ، فان قصدت لهم فلم آمنهم ولعلهم أن يكونوا جماعة فلا اطيقهم ، فانخزلت [٥] مكاني ولم اتحرك واخرجت رأسي من بعض ابواب القبة على تخوف شديد ، فرأيت دابة كالدب [٦]

(١) بالأصل : الخروج (٢) الفرج بعد الشدة ٢ : ٥٢ (٣) في الفرج : البصري
(٤) بالأصل : فانكب (٥) في الفرج : فانعزلت (٦) في الفرج : كالذئب

يمشي ، فأخفيت نفسي ، فاذا به قد قصد قبة حيالي قريبة مني ، فما زال يلتفت طويلا ويدور حولها ويلتفت ساعة ثم دخلها ، فارتبت[1] به وانكرت فعله وتطلعت نفسي الى علم ما هو عليه ، فدخل القبة وخرج غير متثبت[2] ، ثم دخل وخرج بسرعة دفعات ، ثم دخل وعيني عليه ، فضرب يده[3] الى قبر في القبة ليحفر ، فقلت نباش لا شك فيه وتأملته يحفر بيديه ، فعلمت ان فيها آلة حديد يحفر بها ، فتركته الى ان اطمأنّ واطال وحفر شيئاً كثيراً ، ثم اخذت سيفي ودرقتي ومشيت على اطراف انامللي حتى دخلت القبة ، فاحس بي وقام الي بقامة انسان واومأ اليّ ليلطمني بكفه ، فضربت يده بالسيف فأبنتها وطارت ، فصاح اوّاه قتلتني لعنك الله ، وعدا من بين يدي وعدوت وراءه ، وكانت ليلة مقمرة ، حتى دخل البلد وانا وراءه ولست الحقه ، الا انه بحيث يقع بصري عليه ، الى ان اجتاز في طرق كثيرة ، وانا في خلال ذلك اعلّم الطرق لئلا أضل ، حتى جاء الى باب دار فدفعه ودخل وغلقه وانا اتبع ، فعلّمت الباب ورجعت اقفو الاثر والعلامات التي علمتها في طريقي حتى انتهيت الى القبة التي كان فيها النباش ، فطلبت الكف فوجدتها واخرجتها الى القمر ، فبعد جهد انتزعت الكف المقطوع من الآلة الحديد ، فاذا هي كف كالكف ، وقد ادخل اصابعه في الاصابع ، واذا هي كف فيها حنّى نقش[4] وخاتما ذهب ، فحين علمت انها امرأة اغتممت وتأملت الكف واذا احسن كف في الدنيا نعومة ورطوبة وسمناً

(١) الكلمة مطموسة بالأصل (٢) في الفرج : مطيل ثم جعل ينظر ثم دخل
(٣) في الفرج : بيده . (٤) بالأصل نقس وفي الفرج نقش حنا

وملاحة ، فسحت الدم منها ونمت في القبة التي كنت فيها . ودخلت البلد من غد اطلب العلامات حتى انتهيت الى الباب ، فسألت لمن الدار ؟ فقالوا لقاضي البلد ، واجتمع عليها خلق وخرج منها رجل شيخ بهي فصلى الغداة بالناس وجلس في المحراب ، فازداد عجبي من الأمر وقلت لبعض الحاضرين: بمن يعرف هذا القاضي ؟ فقال : بفلان ، فأطلت الحديث في معناه حتى عرفت ان له ابنة عاتق[1] وزوجة ، فلم اشك ان النباشة ابنته ، فتقدمت اليه وقلت له : بيني وبين القاضي — اعزه الله — حديث لا يصلح الا على خلوة ، فقام الى داخل المسجد وخلا بي وقال قل ، فأخرجت اليه الكف وقلت : اتعرف هذه ؟ فتأملها طويلا وقال : اما الكف فلا ، واما الخواتيم فخواتيم أبنة لي عاتق ، فما الخبر ؟ فقصصت عليه الحديث فاسره[2] وقال قم معي ، وادخلني داره وغلق الباب ، واستدعى طبقاً وطعاما واستدعى امرأته ، فقال له الخادم : تقول لك كيف اخرج ومعك رجل غريب ؟ فقال : لا بد من خروجها تأكل معنا فهذا من لا احتشمه ، فأبت عليه فحلف بالطلاق لتخرجي ،[3] فخرجت باكية ، فجلست معنا ، فقال لها أخرجي ابنتك ، فقالت يا هذا ! قد جننت فما الذي حل بك ؟ فقد فضحتني وانا امرأة كبيرة ، فكيف تهتك صبية عاتقا ؟ فحلف بالطلاق لتخرجنها ، فخرجت . فقال كلي معنا ، فرأيت صبية كالدينار المنقوش ما مقلت مقلتاي مثلها ولا احسن منها ، الا ان لونها اصفر جداً وهي مريضة ، فعلمت ان الذي لحق يدها مذ[4]

(١) يريد عاتقاً (٢) في الفرج : بأمرها (٣) في الفرج لتخرجن

(٤) في الفرج : فقلت ان ذلك لنزف الدم من يدها

فعل بها ذلك. فأقبلتْ تأكل بيمينها، وشمالها مخبوة، فقال اخرجي اليسرى، فقالت قد خرج فيها خراج عظيم وهي مشدودة، فحلف لتخرجنها، فقالت امرأته: يا رجل! استر على نفسك وعلى ابنتك، فوالله (وحلفت بايمان كثيرة) ما اطلعتُ لهذه الصبية على سوء قط الا البارحة، فانها جاءتني بعد نصف الليل فايقظتني وقالت يا أُمي الحقيني والا تلفت، فقلت لها مالك؟ فقالت قد قطعت يدي وهو ذا أنزف الدم والساعة اموت فعالجيني، واخرجت يدها مقطوعةً فلطمت[1]، فقالت لا تفضحيني ونفسك بالصياح عند أبي والجيران وعالجيني، فقلت لا أدري بما اعالجك، فقالت خذي زيتا فاغليه واكوي به يدي، ففعلتُ ذلك وكويتها وشددتها. وقلت: الآن حدثيني ما دهاك، فامتنعتْ، فقلت: والله لئن لم تحدثيني لاكشفن امرك الى ابيك، قالت انه وقع في نفسي منذ سنتين ان انبش القبور، فتقدمتُ الى هذه الجارية، فاشترت لي جلد ماعز غير محلوق الشعر واستعملتُ لي كفين من حديد، وكنت اذا نمتم افتح الباب وآمرها ان تنام في الدهليز ولا تغلق الباب، والبس الجلد والكفين الحديد وامشي على اربع فلا يشك من لعله يراني من سطح او غيره اني كلب، ثم اخرج الى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر من يموت من الجلة واين قد دفن، فاقصد قبره فانبشه وآخذ الأكفان فادخلها في الجلد، وامشي مشيتي واعود، والباب غير مغلق فادخل وأغلقه، وانزع تلك الآلة وادفعها الى الجارية مع ما قد اخذته، فتخباه في بيت لا تعلمون به، وقد اجتمع ثلثمائة كفن او ما يقاربها

(١) لعله سقط: وجهي

لا أدري ما أصنع بها ، الا اني كنت اجد لذلك الخروج والفعل لذة لا سبب لها اكثر من ان صانتني لهذه[1] المحنة ، فلما كان الليلة ، تسلط علي رجل احس بي ، وكان كأنه جالس او حارس لذلك القبر ، فحين بدأت انبشه جاءني فقمت لاضرب وجهه بكفي الحديد فاشغله بها عني واعدو وانجو ، فداخلني بالسيف فضربني ، فتلقيت[2] الضربة بشمالي فأبان كفي . فقلت لها: أظهري انه قد خرجت[3] على كفك خراج وتعاللي ، فان الذي بك من صفار يصدّق قولك ، حتى اذا مضت ايام قلنا لأبيك لا بد ان تقطع يدك والا خبث جميع بدنك فتلفت ، فيأذن لنا في قطعها فنوهم انا قطعناها (من) جديد وينستر امرك ، فعملنا على هذا بعد ان استتبتها فتابت وحلفت بالله لاعادت ، وكنت[4] على بيع هذه الجارية ، واراعي فيما بعدُ مبيتَ هذه الصبية وابيتها جانبي ، ففضحتني انت وفضحت نفسك . فقال لها القاضي : ما تقولين ؟ فقالت : صدقت امي ووالله لا عدت ابداً وتابت . فقال لها القاضي : هذا صاحبك الذي قطع يدك ، فكادت ان تتلف جزعاً . ثم قال : يا فتى ! من اين انت ؟ فقلت رجل من أهل العراق ، قال ففيم وردت ؟ قلت[5] اطلب الرزق ، فقال قد جاءك حلالاً هنيئاً ، نحن قوم مياسير ولله علينا ستر فلا تهتكه ، والله ما علمت بهذا من حال ابنتي ، فهل لك ان تتزوجها واغنيك بمالي عن الناس وتكون معنا وفي دارنا ؟ قلت نعم . فرفع الطعام وخرجنا إلى

(١) في الفرج : اصابتني هذه المحنة (٢) في الفرج :فتوقيت (٣) في الفرج :خرج
(٤) في الفرج : وكنت عولت على ان ابيع الجارية (٥) بالأصل : فيما وردت
هنا : والصواب في الفرج

لمسجد والناس مجتمعون ينتظرونه ، فخطب وزوجني ، وقام رجع فادخلني الى الدار ، ووقع حب الصبية في نفسي حتى كدت اموت عشقاً لها ، وافترعتها واقامت معي شهوراً وهي نافرة عني ، وأنا اونسها وأبكي حسرة على يدها واعتذر اليها ، وهي تظهر قبول عذري ، وان الذي بها غماً على يدها[1] الى ان نمت ليلة وانبسطت في نومي على رسمي ، فاحسست بثقل على صدري شديد ، فانتبهت جزعاً فاذا بها باركة على صدري و ركبتها على يدي مستوثقة ، وفي يدها موسى وقد اهوت لتذبحني ، فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر ، وخشيت أن تبادرني فسكنت ، فقلت لها كلميني واعملي ما شئت ، ما الذي يدعوك الى هذا ؟ قالت اتظن انك قطعت يدي وهتكتني وتزوجت بي وتنجو سالماً ؟ والله لا كان هذا ، فقلت الذبح قد فاتك ولكنك تمكنين من جراحات توقعينها بي ولا تأمنين ان افلت فاذبحك ، واهرب[2] واكشف هذا عليك ثم اسلمك الى السلطان فيكشف جنايتك الأولى والثانية ويبرأ[3] منك أهلك وتقتلين . فقالت افعل ماشئت فلا بد من ذبحك ، وقد استوحش كل منا من صاحبه ، فنظرت واذا الخلاص منها يبعد علي ولا آمن ان تجرح موضعاً من بدني فيكون فيه تلفي ، فقلت الحيلة اعمل فيها ، فقلت او غير هذا ؟ فقالت قل ، فقلت اطلقك الساعة وتفرجين عني واخرج من البلد فلا تريني ولا اراك ابداً ولا ينكشف لك حديث في بلدك ولا فضيحة وتتزوجين من شئت ، فقد شاع عند الناس ان يدك قطعت لخراج خبثها

(١) في الفرج : وان الذي بها غماً على يدها يزيدها حنقاً علي (٢) الاصح او اهرب (٣) في الفرج : ويتبرأ منك ابوك وأهلك

وتوبحين الستر ، فقالت تحلف انك لا تقيم في البلد ولا تفضحني في[1] ابداً ؟ فقال حلفت بالأيمان المغلظة ، فقامت عن صدري تعدو خوفاً من أن اقبض عليها حتى رمت الموسى بحيث لا أدري ، وعادت فاخذت تظهر بان الذي فعلته مزاحاً[2] وتلاعبني ، فقلت اليك عني فقد حرمت عليّ ولا تحل ملامستك وفي غد اخرج عنك ، فقالت الآن علمت صدقك ووالله لو لم تفعل لما نجوت[3] من يدي ، وقامت فجاءتني بصرة وقالت هذه مائة دينار خذها نفقة واكتب رقعة بطلاقي ولا تفضحني واخرج ، فخرجت من سحرة ذلك اليوم بعد ان كتبت الى ابيها اني قد طلقتها واني خرجت حياء منه ولم التق بهم الى الآن .

ابو المغيرة راوي هذا الخبر شاعر طويل اللسان مطبوع هجّاء وله مدائح كثيرة وديوان واسع وانشدني لنفسه اشياء منها :

عرضني للردى هواه	مَنْ معدن السحر مقلتاه
انّي[4] لوى نحوه فؤادي	صدغ على الخد قد لواه
كأنه عقرب ولكن	يلسع كل الورى سواه
يا عاذلي في هواه رفقاً	عذري من الحسن ما تراه

* * *

حدثني الأستاذ ابو أحمد الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب المعروف بالزنجي[5] قال : رأيت في المنام ذات ليلة — وانا اذ ذاك اخلف سهل بن بشر على اعمال الاهواز — كأني قد خرجت الى بعض الصحاري ، فصعدت جبلاً شاهقاً

(١) لعله: فيه (٢) في الفرج: مزاح (٣) بالأصل: سحرت (٤) مطموس بالأصل
(٥) يظهر من الحكاية ان اسم الرجل الدلجي .

فلما بلغت ذروته قربت من القمر اوقرب القمر مني حتى لمسته يدي،و كان في يدي خشبة قد أدخلتها فيه وأنا اخضخضها فيه حتى نقبته وقطعته قطعاً ، ثم أخذت بتلك الخشبة غيماً كان قريباً من القمر ، فما زلت الطخه حتى طينته كله ، و كأنَّ صاحباً لي يقول ما تصنع ؟ فقلت له قدقتلت القمر وانا اطينه بهذا الغيم ، وانتبهت فاشتغل بذلك قلبي ، فبكرت الى ابي الحسن احمد ابن عمر الطالقاني الكاتب ، فلما رآني قال : رأيتُ لك البارحة مناماً طريفاً واردتُ ان اجيئك الساعة فأفسره لك ، فقلت فاني رأيت البارحة مناماً قد شغل قلبي فجئت لأحدثك به ، فقال مارأيت ؟ فقصصت عليه الرؤيا . فقال لا تشغل قلبك بها، فستلي مكان سهل بن بشر وتحتوي على منزله عن قريب ، فقلت من أين لك هذا ؟ وما الذي رأيت أنت ؟ فقال : رأيت البارحة في منامي كأني مجتمع مع رجل صالح قد هجس في نفسي انه بعض الصحابة أسأله ان يدعو الله عز وجل لي، فقال لي: الدلجي صديقك؟فقلت نعم، فقال بل[1] له: الأهواز وقف عليك فاتق الله ولا توءذي[2] زوجتك، ولا شك ان هذا المنام تفسير منامك. فاستكتمته المنام وافترقنا، وعدنا[3] وما كنت أرى انني اوذي زوجتي في شيء الا في تسري الجواري ، وكانت عندي واحدة منهن قد أقامت نحو سنة وكادت أن تغلبها علي ، فبعتها على مشتر في الحال ووهبت ثمنها لزوجتي وكانت الوف دراهم . فلما كان بعد ذلك بسنة اكثر أو أقل ، ورد الوزير ابن بقية الأهواز مع عز الدولة وقبض على

(١) لعله : قل (٢) يريد لا تؤذِ (٣) لعله وعدت إلى منزلي

القائد بختكين آزادرويه والأتراك وسهل بن بشر ، ثم أطلق القائد وسمي بالحاجب الأجلّ ، ورُدَّت الضمانات اليه وقلّدني مكان سهل بن بشر ، فما زال في حبس ابي أحمد مدة ، ثم أخذه من يده وحمل إلى بغداد ، وحدث من ملك الامير عضد الدولة بغداد ما حدث ، فاطلق وقلد عسكر مكرم وتستر وجند يسابور واعمال ذلك ، ونكب ابا أحمد وألزمه مالاً فلزم منزله بالأهواز وكان يؤدي المال الى أن خالف سهلُ بن بشر ودخل الاهواز بالجيش داعياً إلى عضد الدولة[1] ومعهم أبو أحمد خوفاً على مهجته من سهل بن بشر ، وأقام بأرجان سنة وشهراً ، ثم واطأه الديلمي بالاهواز على أن يشغبوا ويقولوا انهم لا يرضون ان يكون الوزير[2] وزيراً ، ولا يقنعون إلا بصرفه وتقليد غيره الوزارة ، والا لم يرضوا بامارة الأمير عضد[1] الدولة ، واستحلف القواد وسائر الجيش بكور الأهواز وبايعوه عليه وحلفوا له ، وأظهروا[3] انه يريد المسير الى بغداد للمطالبة بذلك ، وذاك في شعبان سنة ٣٦٥ فانكر ذلك الأمير عز الدولة وانفذ ابراهيم بن اسماعيل من أجلّ حجابه برسالة الى الديلم ، فندموا على ما فعلوا واذعنوا بالطاعة ، فقبض على سهل بن بشر وحمله الى بغداد الى الأمير عز الدولة فخلع عليه[4] وحمله[5] الاهواز والياً لها ولكورها ، فصارت الاهواز كالوقف عليه لا يصلح لها غيره ولا يعرف فيها عند الحاجة سواه .

* * *

(١) راجع تجارب الأمم ٢ : ٣٥٧ يظهر ان المؤلف كتب عضد الدولة مكان عز الدولة

(٢) يعني ابن بقية (٣) لعله واظهر (٤) يريد على ابي أحمد (٥) قد سقط : الى

حدثني أبو مسلم محمد بن احمد بن مهدي الاصبهاني الكاتب قال : رأيت في المنام — وقت استحلاف سهل بن بشر القواد والديلم على الشغب والمطالبة بصرف الوزير الناصح نصير الدولة —[1] كأني قد خرجت الى صحراء عظيمة ، فرأيت معسكراً هائلاً بالخيم والشرع والفازات[2] ، وفي وسطه نهر يسقيه وعلى حافتي ذلك النهر غائط عظيم ، وجميع أهل ذلك المعسكر من القواد وغيرهم قد اجتمعوا يأكلون من تلك العذرة ، فجاء الحاجب الأجل من بينهم وقد أكل من تلك العذرة ، فغسل فاه وما حواليه بالماء وتمضمض وركب ، ولم يفعل الباقون ذلك ، وكأني أعجب من هذا اذ وقعت عيني على شراع فوق سطح فقلت لمن هذا الدلجي ؟ — قال وابو احمد الدلجي اذ ذاك بأرجان — فقالوا هذا له وقد قدم ، فقلت أمضي وأراه وأسلم عليه ، فتوجهت الى ان بلغت الى اسفل الموضع الذي فيه الشراع ، فهبت ريح عظيمة فقطعت تلك الخيم التي كانت في المعسكر ، فما رأيت منها شيئاً باقياً ، فنظرت فاذا نساء وصبيان ورجال وشيوخ يسكون الشراع ، فقلت من هؤلاء ؟ فقال لي قائل هؤلاء الطالبيون يمسكون شراع الدلجي حتى لا تقلعله الريح وانتبهت فقصصت من غد الرؤيا على سيما الدرعي صاحب الشرط ، وقلت هذا الذي فيه لهؤلاء لا يجيء منه شيء ، سيلي الدلجي ويجيء من أرجان ، فقال ويحك ما تقول ؟ فقصصت عليه الرؤيا ، فقال احسان الدلجي الى الطالبيين هو الذي يأخذ بيده ، فما كانت الا أيام حتى ورد ابراهيم الحاجب فقبض على

(١) لقب ابن بقية راجع تجارب الأمم ٢ : ٣٥٥ (٢) جمع فازة وهي المظلة بعمودين

سهل بن بشر وحمله مقيداً وسائر الجيش[١] الى بغداد. فأما الحاجب الأجل بختكين فقد كاتب الامير والوزير بالخبر وأشار بمعاجلة سهل بن بشر والقبض عليه، وذكر انه خالفه اشفاقاً من وثوب الديلم عليه. فنجا من المحنة بذلك الفعل، وكان ذلك تأويل مضمضته وغسله فاه من العذرة، وأما الباقون الذين غمره[٢] ذلك الامر فكانوا الحسين بن احمد بن كندار القائد الديلمي وبكيداد[٣] بن سليمان القائد الجيلي، فلما حصلا بواسط قبض عليهما ونفيا وأخذت نعمتهما، وورد ابو احمد الدلجي الحضرة فتقلد الأهواز وكورها فكان يحدثنا بهذا بحضرة ابي احمد بعد دخوله الاهواز بمدة «استربته بشيء آخر في أيام سهل بن بشر[٤]».

* * *

سمعت أبا محمد المهلبي يملي كتاباً الى سعد بن عبد الرحمن — وهو اذ ذاك ضامن عمالة البصرة منه في شركة ابي الحسين احمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسين الاهوازي وابي علي الحسن بن علي بن مهدي الاصبهاني ابن اخت سعد بن عبد الرحمن — يخاطبه في معنى المال وتأخره وحثه بخطاب جميل بين اللين والخشن وقال في آخره: لو سكتّ عن مطالبتك بالمال ماسكت الامير معز الدولة، فيجب أن تؤديه محموداً خيراً من أن تؤديه مذموماً، فاعمل على اني صديق أشرت بأدائه ومدافعته عنك بهذا القدر ما كنت أغلو عليه[٥] به، فان من أرضى أصدقاءه في أيام النعم أرضوه في ايام المحن،

(١) لعله وسار بالجيش أو انه معطوف على حمله (٢) لعله غمرهم (٣) اسمه عند مسكويه تكيدار (٤) لست أري لهذه الجملة معنى (٥) لعله عليك

واعلم أنه ليس بين مخاطبتي لك وبين ان اخاطبك بضدها بما يخاطب به العمال المخاطبون المطالبون الملطون[١] والمعاملة بما يقتضي ذلك الى[٢] أن يرد جواب كتابي فارغاً من ذكر حمل المال ، وأعوذ بالله ، فاختر لنفسك او فدع والسلام.

* * *

سمعت أبا محمد المهلبي يقول يوماً في شيء جرى في بيته من ذكر الكرم والكلام عن[٣] جماعة من الناس : سيستر عليه ما تكشفه النوائب من سرانه[٤] .

* * *

حدثني أبو محمد داسه قال: حدثنا أبو العباس احمد بن اسحاق الآمدي ويعرف بابن ابي صفوان شيخ كان يخلف القاضي أبا القاسم التنوخي على القضاء بواسط وأعمالها وعلى أعمال كور الأهواز في أوقات متفرقة قال أخبرني من حضر مجلس أبي عمر القاضي وقد دخل اليه ابن غسان صهره ، فقال له من أين أقبلت ؟ فقال من عند فلان ، فقال ابو عمر : إعظام من لا دين له ولا دنيا عنده حمق .

* * *

حدثنا ابو القاسم عمر بن حسان بن الحسين الشاهد البغدادي – وقد تولى القضاء بغير[٥] مضر من قبل قاضي القضاة وهو مشهور المحل – قال : كنت عند سلامة أخي نجح الطولوني وأنا شاب وفي مجلسه جماعة يذمون

(١) ألط الغريم منع من الحق (٢) لعله : إلا (٣) لعله: عند (٤) لعله: شراته (يعني مساويه) (٥) لعله : بديار أو انه يغير مصر يريد بأكثر من مصر كما يقال اليوم

البخل ، وكان سلامة ينسب الى البخل وما كان بخيلاً وانما كان محصلاً لحاله مصلحاً لماله ، فلما انصرفوا قال يا ابا القاسم ! لا تسمع هذا الكلام ولا تعوّل عليه فتهلك ، واعلم ان البخل خير من مسألة البخيل . قال وكنت عنده في آخر كونه ببغداد وقبل دخول الديلم إياها وبحضرته قوم يطعنون على الشهود ويعيبونهم فقال لهم سلامة : ما رأيت اعجب من امركم ، من فيكم يطمئن ان يشتري من ابنه او من أخيه ضيعة بعشرة آلاف دينار ولا يشهد عليه العدول؟ فقالوا ما فينا أحد بهذه الصورة ، قال افتستظهرون[1] لأنفسكم وأعقابكم في هذا القدر الكثير من المال وما هو اكثر منه إلا بالشهادة وتعتاضون بخطوطهم في جلد يساوي دانق فضة من ذلك المال العظيم حتى تأخذوا الصك بدلاً من المال فتجعلونه تحت رؤوسكم لشدة حفظه ؟ قالوا نعم ، قال فمن كان هذا حكمه عندكم لمَ تطعنون فيه ؟

***

حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن الحسن بن رجا بن ابي الضحاك وكان يعرف بالديناري لأن امه دينار[2] تتقرب الى امرأة ابي علي بن مقلة المعروفة بأم الفضل الدينارية ، وسمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة يحدث بهذا الحديث واللفظ يقارب ، قالا كان ابو علي بن مقلة يوماً يأكل فلما شيلت المائدة وغسل يده رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوا الذي اكله ففتح الدواة واستمد منها بيده ونقطها على الصفرة حتى لم يبق لها أثر وقال : ذاك عيب وهذا أثر صناعة ثم أنشد :

(١) يقتضي المعنى : افلا تستظهرون (٢) لعله دينارية

إنما الزعفران عطر العذارى ومِداد الدويّ عطر الرجالِ

أنشدنى لنفسه :

وأشجار نارنج كأنّ ثمارها حقاق عقيق قد ملين من الدرِ
تطالعنا بين الغصون كأنها خدود العذارى من ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريّاً حبيبه فهاجت له الاحزان من حيث لا يدري

وأنشدني لنفسه أيضاً في النارنج :

شجر كأيام الشبا ب تعجلت قبل المشيبِ
وكأنما نارنجها وجه الحبيب على رقيب
تهدي اليك جميع ما ارضاك[1] من حسن وطيب
لِمَ لا تحن لها القلو ب وقد غدت مثل القلوب

أنشدني ابو الحسن احمد بن عبيد الله البغدادي المعروف بالنديمي لنفسه :

أنظر الى النارنج في اغصانه نُزَهًا لأعيننا وعطراً في اليدِ
ككباب[2] نار في قباب زبرجد متوقد بالطيب ايّ توقّد
وورق كآذان الجياد قدودها قد أُثقلت بقلائد من عسجد

* * *

(يتبع)

(١) في الأصل آذاك وهو غلط (٢) لعله جمع كبة وهي كبة الغزل

مخطوطات ومطبوعات

تحصيل غرض القاصد

في تفصيل المرض الوافد

هذا كتاب طريف في موضوعه ، غريب في وضعه وتنسيقه ، ألفه أبو جعفر احمد ابن خاتمة الأندلسي ، وقد سئل وضعه سنة سبع واربعين وسبعمائة [1] ، خلال الوباء

(١) وفي تذكرة الصفدي : قلت وقد عمّ الفناء في سنة تسع واربعين وسبعمائة . وكان من قطيا الى بيروت ومعظمه بغزة :

قد قلت للطاعون وهو بغزة ... قد جال من قطيا الى بيروت
أخليت أرض الشام من سكانها ... وحكمت يا طاعون بالطاغوت

وقلت أيضاً وقد بلغني في العام خبر جماعة من الأصحاب بأنهم توفوا في صفد :

لما افترست صحابي ... ياعام تسع واربعينا
ما كنت والله تسعاً ... بل كنت سبعاً يقينا

قلت وقد أفرط الطاعون بدمشق وقتل خلقاً كثيراً بالحبة التي اشتهر امرها :

أسفي على أكناف جلق اذ غدا الـ ... طاعون فيها ذا زناد وار
الموت ارخص ما يكون بحبة ... والظلم زاد فصار بالقنطار

وقلت أيضاً :

رعى الله عصراً قد تولى ... يجازي بالسلامة كل شرط
وكان الناس في غفلات أمن ... فجا طاعونهم من تحت إبط

وقلت وقد كان يقتل بطلوع بثرة خلف الأذن :

تعجبت من طاعون جلق اذ غدا ... وما فات الآذان وقعة طعنه
فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعاً ... على أنه قد مات من خلف أذنه

وقلت وقد كان يقتل بطلوع خيارة في الاربية :

قل هذا الطاعون عرش دمشق ... بقضاء من ربنا سبحانه
فلكم مات بالخيارة شخص ... كان يبدو كأنه ريحانه

وقلت وقد كان يقتل بأن يبصق الانسان دماً :

يارحمتا لدمشق من طاعونها ... فالكل مغتبق به أو مصطبح
كم هالك نفث الدما من حلقه ... او ما تراه بغير سكين ذبح

وقال : دارت من الطاعون كأس الفنا ... فالنفس من سكرته طافحه —

الذي ظهر في المرية من بلاد الأندلس ، وهو الوباء الذي عم بلاؤه المعمور كله ، لم يسلم منه شرق ولا غرب، وسماه الافرنج بالطاعون الاسود La peste noire والمؤلف كما وصفه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة بأخبار غرناطة صدر يشار اليه ، متفنن مشارك ، قوي الإدراك ، سديد النظر، قوي الذهن ، موفر الأدوات ، كثير الاجتهاد ، معين الطبع ، جيد القريحة ، بارع الخط ، ممتع المجالسة ، حسن الخلق ، جميل المعاشرة ، حسنة من حسنات الاندلس ، وطبقة في النظم والنثر ، بعيد المرقى في درجة الاجتهاد ، وأخذه بطرق الإحسان ، عقد الشروط ، وكتب عن الولاة ببلده ، وقعد للإقراء ببلده ، مشكور السيرة ، محمود الطريقة في ذلك كله . قال وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة .

قسم ابن خاتمة كتابه على عشر مسائل ، وجزأه على بضعة فصول ، تكلم في المسألة الأولى على سبب تسمية هذا المرض بالوافد قال : فظاهر كلام الأطباء انها (اي الأمراض) وإن كان عنها موت ، فإنها لا تعدُّ وباءً لأن أسبابها متفرقة ، والأمراض الكائنة عنها مختلفة بالنوع ، وهذا النوع من المرض هو أحد نوعي الأمراض التي سماها ابقراط بالأمراض الوافدة . قال جالينوس وهي الأمراض التي تعم كثيراً من الناس في وقت واحد ، فمتى كانت مهلكة سميت موتاناً ، ومتى كانت سهلة خصت باسم المرض الوافد ، ومتى كانت خاصة ببلد دون بلد سميت بالأمراض البادية . وفي المسألة الثانية قال إن للوباء أسباباً خاصة وأسباباً عامة ،

— قد خالف الشرع وأحكامه لأنه يثبت بالرائحه

وقوله : لا تثق بالحياة طرفة عين في زمان طاعونه مستطير
فكأن القبور شعلة شمع والبرايا لها فراش تطير

وقال ابن الوردي :

يقولون شم الخل في زمن الوبا وفاقاً لما قال الأطباء ياخلي
فان قلت للطاعون تسطو على الورى يقول نعم اسطو وأنفك في الخل

وقال ابراهيم المعمار

قبح الطاعون داء فقدت فيه الأحبه
بيت الأقمى فيه كل انسان بحبه

وسببه العام ينقسم الى قسمين قريب وبعيد ، فالقريب تغير الهواء المحيط بالإنسان الذي فيه تنفسه ، وشرح ذلك وقال ان تغير الهواء في جهة المكان والموضع ينشأ من ارتفاع أبخرة فاسدة متعفنة من السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق والأحافير السرية الراكدة الهواء ، والنبات والبقول المتعفنة ، وأقذار الناس وفضلاتهم ، وجيف القتلى في الملاحم والدواب التي أصابها الموتان ونحو ذلك .

وذكر تدرج الوباء حتى انتقل الى المرية وقال إنه حل أولاً في بيوت الضعفاء والمساكين ؛ وان عدد وفياته اذ ذاك كان دون وفيات تونس وتلمسان وبلنسية ، وأنه هلك في جزيرة ميورقة في يوم واحد ٢٥٣و١٠٠ (كذا) ، وخمن من بقي من ناسها بعد الوباء بربع الجميع ، وكذلك الأمر بسائر بلاد المسلمين والنصارى ثم قال ما لفظه : « وقد اختلف في مبدإ هذا الحادث من اين ابتدأ ظهوره ، فذكر لي الثقة عن تجار النصارى القادمين علينا بالمرية أن ابتداءه كان ببلاد الخاد وبلاد الخاد بلسان العجم هي بلاد الصين ، على ما تلقيته عن بعض الواردين من أهل سمرقند ، وكان ثقة صدوقاً . وقيل أنه ابتدأ من الحبشة وسرى الى مصر والشام . وقال ان الاخبار ترادفت بنزوله بحصن قضا من معاقل الجنويين ثم بأرض بيرة وبالقسطنطينية العظمى وجزر الرمانية (الايطالية) من سواحل البحر الرومي وبلاد جنوه وأرض افرنسة آخر ريف الأندلس ؛ فسهل بلاد أرغون وبرطونة وبلنسية وغيرها ، وعم أكثر مملكة قشتالة حتى انتهى الى اشبيلية من أقصى المغرب واتصل مع ذلك بجزر البحر الرومي بجزيرة صقلية وسردانية وميورقة وبلنسية وانعطف على سواحل العدوة وبلادها من أرض افريقية إلى مايلي المغرب » .

وقال في المسألة الثالثة كلاماً في اختصاص الوباء قوماً دون آخرين على قرب الجوار بانه يتفق من وجه وهو كالاستعداد ، ويختلف من وجه آخر وهو الخصوصية ، وان البلاد ليست أحوالها متفقة من كل الجهات ، فتختلف من جهة قربها وبعدها من الجزر من جهة أوضاعها ، ومن قبل اماكنها في السهولة والحزونة ، ومن قبل مآكلها ومشاربها . وشرح ذلك شرحاً مستوفى يصح أن يتخذ دستوراً في حفظ

الصحة ، ووصف المرية ومآكلها ومشاربها وفي المسألة الرابعة تكلم على عدوى المرض الوافد فقال : الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه ان هذا الداء يسري شره ويتعدى ضره ، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة ، فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابسته في الحادث الا وتتطرق اليه أذاته ، ويصيبه مثل مرضه ، عادة غالبة أجراها الله تعالى ثم قال : ولقد شهدت أهل سوق الخلق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم ، مات أكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الى الآن إلا الأقل ، وغيرهم من أرباب الأسواق حالهم كحال سائر الناس . واطلعت في حال البلدان التي حرص أهلها على ان لا يدخل اليهم أحد من أهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك ، أن استصحبوا السلامة زماناً حتى غلبوا على ذلك ، وأن أكثر أهل الحصون التي تلي المرية ونزل بها هذا الحادث ليؤرخون بزمن نزوله بهم ، بقدوم فلان او فلانة عليهم من بلاء الوباء وموته بين أظهرهم ، ولهم في التحفظ من ذلك والتورط فيه حكايات تواترت بانتشارها فلا معنى لانكارها .

وانكفأ المؤلف في المسألة الخامسة يبين كيفية التحفظ والاحتراز من الوباء فحصر الأمور التي تدعو اليها حاجة الإنسان في بقاء حياته في ستة اقسام ، أولها الهواء المحيط بالإنسان وما يرجع اليه ، وثانيها الحركة والسكون ، وثالثها الأطعمة والأشربة ، ورابعها النوم واليقظة ، وخامسها الاستفراغ والاحتقان ، وسادسها الاعراض النفسانية . وفسر هذه الأنواع فقال إن إصلاح الهواء يكون باتخاذ البيوت الشمالية ، وفرشها بالرياحين الباردة ، ومسح الوجه والأطراف بذلك ، والمواظبة على شمه وشم الأترج والليم (الليمون ؟) والأزهار الباردة كالورد والبنفسج والترنجبين بالصندل مع يسير من العود الرطب ، وليحذر التعرض للشمس والسموم وموقد النيران وما يشعل حرارة الأبدان . وينبغي أن يمال الى السكون ماساعد الإمكان . وأصلح الأطعمة والشراب ما نشأ الإنسان عليه من البر والشعير اذا حسن اختيارهما ، وان كان يتناول الذرة فالأصلح الانتقال الى الشعير ، ومن الأطعمة حسو من فتيت خبز البر وطبيخ الأرز الدقيق ، وأصلح اللحوم ، إن استعملت ودعت الحاجة اليها ،

لحوم الفتيان من الدجاج والحجل ولحوم الحملان ورضيع البقر يعصر عليها خل الليم أو خل الحصرم ويستعمل بيض الدجاج النيمبرشت ، وتستعمل البقول المزوّرات وأصلح الفواكه الكمثرى والرمان الحامض والموز والإجاص على خلاء المعدة ، وأصلح المياه ما عذب طعمه وصفا ، وخف وزنه ، وانحدرت جريته من ماء العيون وما قرب من ذلك فصلاحيته بحسب قربه ، ولا بأس باستعمال ماء الشعير المحكم ، وتناول شيء من شراب السكنجبين وشراب التفاح ممزوجين بالماء كل صباح على الريق ، وكذلك شراب الرمان والسفرجل والحصرم وربوبها وشراب الليم وحماض الأترج ونحو ذلك مما يكسر سورة الدم . وأصلح النوم ما كان ليلاً على المعتاد ، ولا بأس به نهاراً في الصيف ، وليعدل به في الصيف الى الأماكن الشمالية الندية التي تخرقها الرياح ، وأن تصرف العناية الى تسهيل الطبع دائماً .

ووصف لذلك كثيراً من الأشربة المباحة ووصف القيء لمن اعتاده ورأى أن الحجامة هي النكتة في حفظ الصحة عند حلول هذا الحادث ، ورأى النفع في الفصادة ، قال وكلما توفرت الموجبات في المتطببين عنده واحتاجت حالتهم للدم اطلقه لهم ، ولما ألف الناس الانتفاع به صاروا يفتصدون من تلقاء أنفسهم .

وأصلح الاستحمام ما كان في ديماس معتدل الهواء بماء عذب فاتر بحيث يستلذ صبه على الجسد ولا تطال مدته .

وأصلح الاعراض النفسانية التعرض للمسرات والأفراح ويستدعى ذلك بما أمكن من الأمور المباحة ، ومجالسة من تبتهج النفس بحديثه ، ومطالعة الكتب . وليحذر التعرض للغم ، واتعب الناس في هذه النازلة أرباب العقول ، وأروحهم البله وأصحاب الفراغ . ويتجنب ما يعود على النفس بروع أو فزع أو انزعاج .

وختم هذا الباب بقوله أنه لا ينبغي للعبد أن يفرط فيما أنعم الله به عليه من العلم والعمل الكفيلين بمصالح الدنيا والآخرة ، ولا ينبغي للعبد ان يخل يده من التوكل طرفة عين فلا يكون توكله على الله تعالى سبحانه الا بعد استفراغ جهده في التحفظ والاحتراز ، وهذه حقيقة العبودية .

وبسط في المسألة السادسة علاج الوباء الذي عرف إلى عصره « بحسب ما أعطاه العلم وشهدت له التجربة وصححته المعاناة والممارسة » وأتى على مشاهداته في أناس لا يأخذهم الحصر أثر فيهم اطلاق الدم قال : وأما إذا استحكم المرض فالمداواة في الغالب قليلة الجدوى . وقسم الطواعين الى ثلاثة أنواع وذكر أعراضها وتشخيصها وعلاجها .

وهنا انتهى القسم الطبي من الكتاب وبدأ القسم الديني وأورد مايرد في السنة وعن السلف الصالح في وجوب التوقي والأخذ بالحذر والحزم .

ومن هذا الكتاب نسخة كتبت سنة ٩٩٥ على يد علي بن غانم المقدسي من علماء عصره . وهي ١٥٠ صفحة واظنها دخلت في مجموعة العلامة احمد زكي باشا التي ضمت إلى دار الكتب المصرية وحبذا لو تصدى احد العارفين فطبعه مع التعليق عليه .

محمد كرد علي

رحلات

رحل الدكتور عبد الوهاب عزّام رحلات شتى إلى تركية والعراق وايران والحجاز والشام واوربة ، ودوّن في كتاب سماه : الرحلات ، مارآه وما شعر به في بلاد الإسلام متوخياً غايتين : الأولى التعريف بأحوال البلاد الإسلامية ، والثانية تدريب النشء على فن الوصف .

يغلب على الدكتور عزام في رحلاته الميل الى أمور كثيرة ، فمرّة يتراءى له في هذه الرحلات شبح التأريخ ، فتتزاحم في صوره الذكر والعظات ، فلا يطوي سيناء إلا ذكر الطور الذي آنس موسى من جانبه نور الهدى ، ولا يمر بتلك الصحاري المديدة الأ رأى الجيوش على رمالها هازمة ومنهزمة ، جيوش الفراعنة ذاهبة الى الشام وراجعة منها ، وجيوش بابل وفارس والاسكندر والرومان والعرب والترك .

ومرة تظهر على رحلاته آثار الولع بالأدب ، فلا تقع عينه على طبرية إلا ازدحمت على ذهنه قصيدة المتنبي في موجها وطيرها وجنانها :

والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطمُ
والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم

وحيناً ينطلق قلمه بدقة الوصف ، فاذا دخل المسجد الأقصى في القدس تكلم على فنائه العظيم ، وعلى حجراته وشجراته المنفرقة ، وعلى قبته وصخرته وغير ذلك .

وحيناً تفيض النكتة في خلال كلامه ، فلا يكاد يصل الى نابلس حتى يشير الى شغف رفقائه بكنافتها المشهورة ، وحبهم لهذه الكنافة على الرغم من المطر والظلام .

وطوراً يجيش الشعر في صدره فيودّع بغداد ويناجيها :

بغداد ! تاج الحقب الخوالي ودرّة المستقبل المكنون .

وطوراً تجيش الصوفية في نفسه ، فتملي عليه الكلام على مولانا جلال الدين الرومي ، فيزور بقعته ، ويرى في سماء هذه البقعة آثار الشعر والحكمة والتصوف التي استفاضت في آفاق الإسلام منذ ستة قرون ، ويندفع في وصف دار المولوية في قونية ، اندفاعاً يتبين فيه مقدار ميله الى مولانا جلال الدين الرومي ، وانبساطه إلى آثاره ، وغزارة اطلاعه على هذه الآثار .

حتى إذا بلغ الحجاز ، وطلع حراء ، انبثق لذهنه من غار حراء نور محمد بن عبد الله الذي فرّ إلى هذه الغار من ضوضاء الحياة وأكاذيبها ، ومن مظالم الناس ومفاسدهم ومن باطل العقائد وزورها ؛ وجرى بيانه في هذه الذكرى مجرىً يدلنا على مبلغ الإسلام وسيدنا محمد من قلبه .

وهكذا فقد كانت رحلات الدكتور عبد الوهاب عزام مادة لطيفة في الوصف يجد فيها القارئ نتفاً من كل شيء تشحذ خياله ، وتصقل فهمه .

شفيق جبري

اللغـــة

تأليف عبد القادربشير الكرماني الحلبي

هذا كتاب يتضمن مقالات شتى في تجديد اللغة وفي اللغة الرسمية الدولية ؛ وفي اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية وأشباه هذه الموضوعات ٠

ليس للكتاب موضوع عام مضطرِد وانما هو عبارة عن خواطر في الموضوعات التي تعرض لها صاحبها لا يرتبط بعضها ببعض ٠

وقد تضمن قسم من الكتاب ترجمة آراء لبعض الكتاب الغربيين ، ولكن الكاتب نقل طائفة ؛ من هذه الآراء عن الذين ترجموها ولم ينسبها إليهم ، مثل الذي نقله عن « أناتول فرانس » ٠

وفي الكتاب فصل في فريق من بقايا الفصاح التي تستعملها العامة ، الا أن البقايا الموردة في الكتاب مشهور أكثرها فليس فيها ألفاظ طريفة ٠

ش ٠ ج

سبيكة الذهب في نبذة من أحوال العرب

شرح قصيدة : (بانت سعاد) تأليف عبد القادر بشير الكرماني الحلبي

هذه رسالة تتضمن كلاماً موجزاً على شعر العرب من حيث أوليته وأغراضه ، وعلى بعض الشعراء مثل زهير وكعب والحطيئة ٠

ليس في الرسالة شيء جديد في الموضوع الذي عالجه صاحبه وإنما اشتمل معظمها على آراء مكررة وأقوال مرددة في هذا الباب ٠

أما شرح قصيدة : بانت سعاد ، فأقل ما يقال فيه ان هذا الطرز من الشرح اي تفسير ألفاظ البيت أصبح لا يناسب روح العصر الذي نعيش فيه ، فان للشرح مذهباً حديثاً ، فقد كان ينبغي للشارح أن يظهر ما في القصيدة أو ما في البيت من عاطفة وخيال وفكر وان يتكلم على طبيعة هذه العاطفة وهذا الخيال وهذا الفكر ، وعلى هذه الصورة يستطيع القاريء ان يملأ قلبه وروحه وعقله من عواطف الشاعر ومن تصوراته ومن أفكاره ، فيتسع مدى تفكيره ، وينبسط أفق خياله ، ويمتد مجال عاطفته ٠

ش ٠ ج

مجالس السلطان الغوري

هي ملخص كتابين . حققها ونشرها الدكتور عبد الوهاب عزام .

طبعت في مطبعة لجنة التأليف والنشر بمصر سنة ١٩٤١ م

صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام من أكثر فضلاء مصر انتاجاً وولوعاً بنشر العلوم الإسلامية وتحقيق ما ترك علماؤنا من آثار ومصنفات . وقد قام في خدمة نهضتنا العربية الحاضرة بعمل جليل يصح لنا أن نقول عنه انه من قبيل ما يسميه الفقهاء (فرض كفاية) وهو الذي اذا قام به البعض سقط إثم تركه عن الباقين : فان هؤلاء الباقين ان كانوا ولوا وجوههم شطر الثقافة الغربية يؤلفون فيها ويترجمون وينشرون فان دكتورنا الفاضل ولى وجهه شطر الثقافة الشرقية ولا سيما ما كان اعجمياً منها فهو يؤلف فيها ويترجم وينشر :

رأى الدكتور مقدار ما بيننا وبين الفرس والترك من الروابط الوثيقة الدينية والثقافية والتاريخية ورأى أن إعراضنا معشر العرب المسلمين عن آثار هؤلاء الأخوة وجهلنا تاريخهم الثقافي وإنتاجهم العلمي هو في الحقيقة جهل لأنفسنا وتفريط بمصدر عظيم من مصادر تاريخنا القومي والسياسي والاجتماعي . لذلك كله أخذ الدكتور بعد أن أتقن بعض تلك اللغات الإسلامية الأسيوية ينقب عما فيها من آثار وما ترك أصحابها من مصنفات ثم يحققه بحسب أصول التحقيق الحديث وينشره علينا من وقت إلى آخر :

من ذلك هذا الكتاب الذي هو أمامنا وقد جعل عنوانه (مجالس السلطان الغوري : صفحات من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري) . وهذه المجالس لخصها الدكتور من كتابين مخطوطين قد أودعا مسائل ومناظرات في مختلف العلوم الإسلامية كانت تجري في مجلس الملك (قانصوه الغوري) آخر ملوك الشراكسة بمصر وهما: ١ — (كتاب نفائس المجالس السلطانية في حقائق الأسرار القرآنية) تأليف حسين بن محمد الحسيني الآمدي من رجال دولة الغوري وقد لخصه الدكتور في ١٤٩ صفحة . والكتاب الآخر اسمه : ٢ — (الكوكب الدري في مسائل الغوري) مؤلفه مجهول وهو من رجال دولة الغوري أيضاً . وقد لخص في ٩٦ صفحة .

والكتابان عربيان في لغتها . اسلاميان في موضوع ثقافتها . لكنهما أعجميان

في روحها واسلوبها وتنسيق مسائلها · يدلك على هذا أن اسم الكتاب الأول — كما سماه مؤلفه — هكذا (كتاب نفائس مجالس السلطانية في حقائق أسرار القرآنية) بحذف (ال) من مجالس وأسرار ·

وقد أشار الدكتور الى أن في هذه الرسائل المدوّنة شيئاً من لين وتفاهة وتكلف لا سيما في شعر السلطان نفسه · لكن يتخلل ذلك كله درر غوال لها قيمتها في نظر الباحث المسلم اليقظ : فهو يستفيد من بحوثها ويفيد · ويبدي في الاستنتاج من نصوصها ويعيد · كما أن الدكتور أشار الى أن الملك الغوري على جلالة قدره ومحاسن شيمه وغزارة مادته من ثقافة عصره كان فيه هنات لا يحسن صدورها منه : فقد كان مثلا يحتاج الى مال لترقية مصر في العمران وصيانتها من يد العدوان لكنه ما كان يُحسن جلب المال وتوفيره وصرفه في الغرض الذي أشرنا اليه : فكان يظلم ويجور ويصادر من اجل الحصول على حاجته من المال حتى صادر مرة رئيسة المغاني (المغنيات) وهي المسماة (هيفاء الذبذة) مذ وشوا اليه (بأن لهيفاء دائرة كبيرة من المال) فقبض عليها واقامت في الترسيم (اي في سجن التوقيف) وعرضت للضرب غير مامرة على أن تؤدي خمسة آلاف دينار · فباعت حليها وما تملكه بألف دينار وأخيراً شهد القاضي بعجزها فاكتفي منها بخمسمائة دينار تؤدى تقاسيط · قال المؤرخ ابن اياس (وقد طفل السلطان نفسه الى مصادرة المغاني أيضاً والأمر لله)

وقد قدم الدكتور الناشر للكتاب مقدمةً بلغت ٥٣ صفحة ضمنها أحسن ما يقال في ترجمة السلطان الغوري والتعريف به وبأخلاقه وأحواله من خير وشر وعجر وبجر · وقال في ص ٥١ من المقدمة :

(ويرى القارئ أحيانا اهتمام السلطان بتعليم مماليكه وإحضارهم من حين إلى آخر إلى مجلسه يقرأون أمامه ويمتحنهم)

فذكرني قوله هذا بكتابٍ خزائنيٍ قليل الأوراق قديما من خزانة كتب السلطان الغوري كان في مكتبتي اسمه (الحكايات المستطابة من ديوان الصبابة) كتبه أحد مماليك السلطان واسمه (طقطمش من أزدمر من الرفرف) يعني أنه من طبقة (أوجاق) مماليك القصر المسمين بهذا الاسم الغريب · وعلى ظهر الكتاب في

وسط دائرة مذهبة مانصه (برسم خزانة مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف ابو النصر قانصوه الغوري خلد الله ملكه) فهذا المملوك رأى ان خير ما يعمل في الحصول على رضا مولاه السلطان أن ينسخ كتب الأدب بيده ويقدمها الى خزانته فعمد الى اشهر كتاب عربي في موضوع الحب وهو كتاب (ديوان الصبابة) لابن ابي حجلة فنسخ منه بضع حكايات وسماها بذلك الاسم وقدمها إلى خزانة مولاه . وهذا الكتاب (اعني الحكايات المستطابة) معروض اليوم تحت أنظار الزائرين في قاعة المعرض من دار الكتب المصرية .

نرجع إلي كتاب (مجالس السلطان) فننقل منه نموذجاً يوضح نهج المسائل العلمية المختلفة التي كانت تدور بين السلطان وجلسائه :

سؤال — سأل شاهي بك خان علماء سمرقند وخراسان : هل يرث ابن الابن مع وجود الابن من ميراث أبيه شيئاً ؟

الجواب — قالوا : لا يرث .

سؤال — قال الملك : والقياس ان يرث حصة ابيه لأن ابن الابن يرث مع وجود البنت حصة ابيه . فما الفرق بين هاتين الصورتين ؟

الجواب — قيل ان ابن شريح عمل بهذا . ويجوز للملك أن يقوي قولاً ضعيفاً قال شاهي بك : انا اقوّي قول ابن شريح . فأمر الملك ان يكتبوا مراسيم ويبعثوها الى عمال جميع مملكته : ان لا تمنعوا ابن الابن مع وجود الابن من ميراث ابيه . فاذا قتل الملك قبل نفوذ المراسيم في البلدان .

جواب — قال حضرة مولانا السلطان : اما سمع شاهي بك حديث البخاري ومضمونه انه لا يرث ابن الابن مع وجود الابن . فهذه المسألة أخذت من السنة لا بالقياس . فكيف غفل شاهي بك عن هذا اهـ

هذا ما رأينا أن نقوله في التعريف بكتاب (مجالس السلطان الغوري) وقد دلنا به على اهتمام الدكتور عزام بنشر ما انطوى من آثار السلف وخاصةً الأعجمية الإسلامية من تلك الآثار وانا لنشكر له خدمته الشريفة هذه ونستزيده منها .

المغربي

حمامات دمشق

بقلم ميشيل إكوشار وكلود لوكور . القسم الأول بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٤٢
٥٨ ص مع رسوم وخريطة بحجم ٢٥ × ٣٥ سنتيا .

Les Bains de Damas, Institut français de Damas

قال المستشرق الكبير الأستاذ وليام مارسيه في كلمة له القاها في مجمع الآداب الفرنسية بباريس [1] « ... نجد الكتب العربية كثيراً ما تذكر الحمام كما تكثر من ذكر الجامع والسوق .. وإن من اللازم ان نعرف تطور هذه المواضع في نشوئها . وانا اتمنى ان أرى بين زملائي الشبان من يقدم لنا في أقرب وقت بحوثاً عن هذه الأمكنة وعن المدينة الإسلامية لما في ذلك من فوائد »

بهذه الكلمة صدر المسيو ميشل إكوشار M . ÉCOCHARD كتابه القيم عن حمامات دمشق . وهذا الكتاب له خطر كبير لا لأنه يحدثنا عن حمامات هذه المدينة ويعطينا مصوراتها ومخططاتها بصور جد دقيقة ، وفنية بارعة ، ولا لأنه يحفظ لنا أوصاف هذه الحمامات الستين الباقية والتي ستنقرض بعد زمن غير بعيد ، ولا لأنه يجمع في كتابه شيئاً كثيراً من النقوش والزخارف البديعة التي تمتلئ بها هذه الحمامات ... لا لهذا كله بل لأنه أول كتاب علمي درست فيه الحمام العربية دراسة قيمة ، والكتاب وإن كان خاصاً بدمشق فإن من يقرأه يجد فيه معلومات عامة عن الحمام منذ نشأتها وما طرأ عليها من تغيير . ودراسة حمامات دمشق من أهم العناصر لدراسات حمامات سائر مدن العالم الإسلامي لأن دمشق من أكثر المدن حمامات لكثرة مياهها وبراعة أهلها بتوزيع المياه براعة عجيبة .

ظهر من الكتاب قسمه الأول وهو مؤلف من ستة أبواب وخاتمة وذيل فالفصل الأول : بحث فيه عن مصادر مياه الحمام وكيفية توزيعها . وقد زين هذا الفصل بصور ومخططات مفيدة تعين القارئ على فهم ما يقرأ كما تبين له براعة الدمشقيين في توزيع مياه انهر مدينتهم . والفصل الثاني درس فيه الحمام وآلاتها وملحقاتها وفي

(1) Cf . Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres . 1928. P.89-100.

هذا الفصل رسوم جميلة تعين على فهمه · والفصل الثالث في كيفية توزيع المياه في الحمام وفي كيفية توزيع التدفئة والبخار · وهو من أمتع فصول الكتاب وأدلها على براعة الفن المعماري العربي · والفصل الرابع بحث فيه عن كيفية بناء الحمام وزخرفتها ونقشها وهذا الفصل من المراجع المهمة لدراسة الفن المعماري الإسلامي أيضاً· وقد أجاد فيه المؤلف اجادة تقدر له ، والفصل الخامس سرد فيه عمل الحمام ورجالها وعمالها · والفصل السادس خصصه للزُبن ولأجرة الحمام · والخاتمة تكلم فيهما عن مستقبل الحمام العربية وماضيها · والملحق سرد فيه اسماء حمامات دمشق الستين ومواضعها ومناطقها ونوع ملكيتها · ثم ختم الكتاب بخريطة لدمشق صور عليها مواقع هذه الحمامات ·

وصفوة القول ان المؤلف الفاضل قد عالج فصول كتابه هذا معالجة تدل على تعمق وصبر جديرين بالشكر والثناء وخصوصاً ما يتعلق منها بتوزيع المياه والناحية البنائية والهندسية ولا عجب فالمؤلف اختصاصي بهذا من الناحيتين العملية والنظرية · على أن الكتاب لم يخل من بعض هفوات من ذلك قوله ص ٤٢ : ان المغتسل بعد أن ينظف جسمه بالصابون والليفة يجيء (المكيِّسُ) فيعمل كيسه في جسمه ... والصواب انهم يبدؤن بالكيس فاذا تم التكييس بدأوا بالليفة والصابون ·

ويقول في هامش ص ٤٣ ان النورة كلمة فارسية والصحيح انها عربية قال صاحب لسان العرب (٧ / ١٠٣) والنورة : من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس ويحلق به شعر العانة · وقال الخفاجي في شفاء الغليل (ص ٢٢٦) النورة قيل ليست عربية وسميت بها لأن أول من صنعها امرأة اسمها نورة والصحيح انها عربية وردت في كلامهم وصرفوها · وفي شرح الحماسة (١٧٢/٤) قال اعرابي لابنيه وكانا دخلا الحمام فاحرقتها النورة :

نهيتها من نورة احرقتها وحمام سوء ماؤه يتسعرُ
اجدكما لم تعلما ان جارنا اباالحسل بالصحراء لايتنور

قال أبو العلاء النورة قد تكلموا بها قديماً ولها اشتقاق لأنها اذا أزالت الشعر انار موضعه لنهابه عنه · وزعم قوم ان النورة امرأة كانت تصنع هذا الشيء فسمي بها ·

ويترجم في صفحة ٤٧ كلمة Loyer estimatif بقوله «ajer el-misk» والصواب ajer al-mithl · (اجر المثل) ·

ويقول في ص ٤٦ ان من عادة النساء بدمشق — اقول وغير دمشق أيضاً — ان يطلين جسم المرأة بعد أن تضع بأربعين يوماً ، بمزيج من الدبس والزنجبيل [وقد كتب كلمة الزنجبيل — Zanzubil — وهو خطأ] والصواب انهن يضفن على ذلك شيئاً من الخردل ·

ويقول في هامش ص ٥١ ان من موارد الوقاد في القمين ان يسلمه احد سماني محلته كيساً من الفول اليابس (فيشويه) له (griller) والصواب ان الذي يسلمه هذا هو الفوال وأن الوقاد لا (يشويه) بل يسلقه (blanchir) والفرق واضح بين التركيبين ·

وبعد فهذه هفوات بسيطة وجدتها في الكتاب وهي ليست بشيء إذا قيست إلى العمل المفيد الذي قام به المؤلف فنرجو لكتابه ما يستحق من الرواج كما نرجو ان نقرأ في القريب القسم الثاني منه · **الدكتور اسعد طلس**

المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك بدمشق ·

اهدت الينا إدارة المدرسة كراساً بحثت فيه عن تاريخ تأسيس المدرسة ، وعن رؤسائها وعن اشهر خريجيها ممن أصبحوا بعدئذ علماء وادباء وكتاباً وقضاة وأطباء وصيادلة وموظفين ووجهاء وتجاراً · ويلي ذلك بحث عن المدرسة في عهدنا الحاضر وعن اعدادها التلاميذ للبكالوريا ؛ وكلمات عن بعض الذين درسوا فيها من رجالات الشام ، ثم بعض مقالات ادبية طلية ·

والذين يعرفون مثلي ان اللغة الضادية كانت تدرس بالتركية في مدارس الدولة العثمانية في أواخر القرن الماضي ، وأوائل القرن الحاضر ، يدركون على الفور انّ هذه المدرسة وأشباهها من المدارس الأهلية الراقية لهنّ ايادٍ بيض ناصعات على لساننا المبين في ديار الشام ·

فنحن نشكر لإدارة المدرسة هديتها ونتمنى للمدرسة اطراد التقدم في خدمة شباب الشام والثقافة العربية · م · س

آراء وأنباء

مخطوطات كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر

ورد في الصفحتين ١٢٨ و ١٢٩ من المجلد ١٦ من مجلة المجمع الغراء، نبذة ثمينة كتبها المؤرخ الفاضل الشيخ محمد راغب الطباخ، عرّف فيها القرّاء، كتاب «إنباء الغمر بأبناء العمر» لعلامة عصره ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ للهجرة.

وقد أشار في تينك الصفحتين إلى ما وقف عليه من النسخ الخطية لهذا الكتاب النفيس، وهي هذه الأربع :

١ — نسخة المدرسة العثمانية بحلب (في مجلدين).

٢ — نسخة الخزانة الظاهرية بدمشق. وهذه هي مسودة المؤلف. قلنا: وهي التي ذكرها العلاّمة الأستاذ محمد كرد علي في مصادر خطط الشام (١ : ١١، الرقم ١٦).

٣ — نسخة خزانة كوبريلي باستانبول (في مجلدين، رقمها ١٠٠٥—١٠٠٦).

٤ — نسخة ثانية في خزانة كوبريلي (في مجلدين أيضاً، برقم ١٠٠٧ — ١٠٠٨).

ثم تمنى حضرته، لو أن هذا الكتاب الخطير يظهر مطبوعاً. وختم كلمته راجياً من القرّاء ان يكتبوا الى هذه المجلة بما وقفوا عليه من نُسخ هذا الكتاب التي تفرقت في خزائن الكتب شرقاً وغرباً.

ولما رجعتُ الى فهارس المخطوطات التي بين يديّ، وقفتُ على نسخٍ مختلفة من هذا الكتاب، غير التي أشار اليها. وهاأناذا ذاكرها فيما يلي باختصار:

١ — نسخة خزانة الأوقاف العامة ببغداد: (رقمها ٣٧٤٤). وهي المجلد الأول فقط. كانت سابقاً في خزانة السيد نعمان خير الدين الآلوسي. النسخة غير مؤرخة إلا أنها قديمة وصحيحة. تنتهي حوادثها بسنة ٨١١ هـ. وقد قرأت في آخرها هذه العبارة: «أنهاه مطالعة مالكه اسمعيل النابلسي في صفر سنة ٩٨٤ هـ».

٢ — نسخة خزانة آل باش أعيان العباسي في البصرة: تقوم في مجلد واحد

ذي ٣٠٦ صفحات . وهي مخرومة الأول ، وتاريخها ٨٩٥ هـ . والذي يؤخذ من بعض ما جاء فيها انها بخط أحد تلامذة المؤلف .

٣ — نسخة خزانة الازهر بالقاهرة : في مجلدين ، بخط علي بن داود الخطيب سنة ٨٧٩ هـ .

٤ — نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة : (رقمها ٢٤٧٦) في مجلدين ، نقلا سنة ١٣٢٩ هـ عن نسخة الأزهر المذكورة آنفاً [1] .

٥ — نسخة خزانة أياصوفية باستانبول : مجلد واحد رقمه ٢٩٧٤ .

٦ — نسخة خزانة نور عثمانية باستانبول . مجلد واحد رقمه ٣٠٥٦ .

٧ — نسخة خزانة ولي الدين باستانبول مجلدان رقمها ٢٣٤٠ — ٢٣٤١ وصحائفها ٥٣٦ و ٤٨٠

٨ — نسخة خزانة يكي [يني] جامع باستانبول : مجلد واحد رقمه ٨١٤

٩ — نسخة في الجزائر : مجلدان (انظر قائمة فنيان [2] ، ص ٤٤٣ ، الرقم ١٥٩٧ — ١٥٩٨) . في الاول ٢٢١ ورقة وهو ينتهي بحوادث سنة ٨١١ هـ . وفي الثاني أخبار السنين ٨١٢ — ٨٥٠ هـ .

١٠ — نسخة ثانية في الجزائر : مجلدان ايضاً (فنيان ، ص ٤٤٣ ، الرقم ١٥٩٩ — ١٦٠٠) الأول ينتهي بحوادث سنة ٨١٠ هـ ، والثاني من ٨١١ إلى ٨٥٠ هـ .

١١ — نسخة خزانة برلين : (أنظر قائمة اهلوردت [3] برقم ٩٤٦٠) وهي المجلد الثاني فقط ، كتبه جمال الدين يوسف ، سنة ٨٦٠ هـ . ويتقوم من ٢٣٣ ورقة .

١٢ — نسخة ثانية في خزانة برلين : (أهلوردت ، الرقم ٩٤٦١) . وهي جزء واحد قوامه ٢٣٦ ورقة ، كتب سنة ١٠٠٠ للهجرة .

١٣ — نسخة خزانة الفاتيكان : (انظر قائمة دلاّفيدا [4] ، الرقم ٧٣١) . وهي المجلد الثاني فقط ، أوراقه ٢٢٦ ، وتاريخه ١٦ شوال سنة ٨٧٦ هـ .

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية (٥ : ٢٠) .

(٢) Fagnan: Catalogue général des manuscrits d'Alger .[Paris,1893].

(٣) Ahlwardt ; Verzeichniss der arabischen Handschriften zu Berlin [Band IX, Berlin,1897,pp.66—67].

(٤) Della vida : Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana. [Citta del vaticano, 1935,p.70].

١٤ — نسخة خزانة باريس الوطنية (قائمة دي‌سلان [1] ص ٣٠١ — ٣٠٢ . الرقم ١٦٠١ — ١٦٠٢) . وهي مجلدان . أوراقها ٢٤٦ و ٢٧٩ كتبا في المائة الخامسة عشرة للميلاد

١٥ — نسخة ثانية في خزانة باريس : دي‌سلان ، الرقم ١٦٠٣ . وهي المجلد الاول فقط . كتب في المائة الخامسة عشرة للميلاد ، لخزانة امير كبير في القاهرة . المجلد يقوم في ٢٤٥ ورقة .

١٦ — نسخة ثالثة في خزانة باريس : (دي سلان) ، الرقم ١٦٠٤) . وهي المجلد الثاني . وعلى ما يظهر ، ان هذه النسخة كانت ثلاثة اجزاء . والجزء الحالي يبدأ بسنة ٨٠١ وينتهي بسنة ٨٢٣ هـ . تاريخ كتابته ٨٨٠ هـ وأوراقه ٢٤٦ .

هذا ، وانه لم يتحقق لدينا ، الى اية نسخة من هذه الثلاث استند العلامة محمد كردعلي في مصادر خطط الشام (١ : ١٨ ، الرقم ١٢٦) حيث قال في وصف تلك النسخة انها كتبت سنة ٨٠٢ هـ واشار الى « سلامتها من سقم الخط وخلوها من الغلط » .

١٧ — كما ان في خزانة باريس ايضاً : (دي سلان ، الرقم ١٦٠٥) « مختصر كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر » . وهو لمحمد بن [عبد] القادر الدميري . من مخطوطات المائة الخامسة عشرة للميلاد .

١٨ — نسخة خزانة غوطا : (قائمة پرتش [2] ، الرقم ١٦٢٢ — ١٦٢٣) وهي في مجلدين .

١٩ — نسخة خزانة المتحف البريطاني بلندن : (قائمة ربو [3] ، الرقم ٣١٦) . مجلد واحد ، اوراقه ٣٧٠ .

٢٠ — نسخة ثانية في المتحف البريطاني : (ربو ، الرقم ١٢٤١) وهي الجزء الثاني الذي يتناول اخبار ٨١٢ — ٨٥٠ هـ . وهناك قوله : « آخر ماوجد بخط مصنفه في المسودة ، ولله الحمد » .

فهذه ، وما ذكره المحقق محمد راغب الطباخ ، اربع وعشرون نسخة ، بين كاملة

---

(١) De Slane: Catalogue des manuscrits arabes de la bibliothèque Nationale de Paris. [vol.I., Paris, 1883].

(٢) Pertsch : die orientalischen Handschriften der herzoglichen Bibliothek zu Gotha.[1893].

(٣) Rieu: catalogus codicum manuscriptorum orientalium qui in museo britannico asservantur. [Pars II., Codices arabicos amplectens, Londini, 1846, p. 155].

وناقصة ، قد تفرقت بمرور الزمن بين سبع عشرة من خزائن الكتب العربية ، المنبثة في بلدان الشرق والغرب ، ولعل هنالك نسخاً أخرى لم نستطع حصرها في هذا الكشف ، نظراً الى تشتتها في بعض الخزائن الخاصة أو العامة ، مما لم نتوصل إلى فهارسها ، او مما لم يعن أربابها بنشر فهارس لها تقف الباحثين على ما تحويه .

ومهما يكن من أمرٍ ، فان هذه النسخ العديدة ، ثروة خطية عظيمة الشأن . ونحن نكاد نجزم بأنه لو أُتيح الرجوع اليها جميعاً ، وقوبل ما بين رواياتها بدقةٍ وإمعانٍ ، واعتمد على الوجوه الصحيحة من بينها ؛ لحصل من ذلك العمل الحري بالاعتبار والشكر ، نسخة مضبوطة يركن الى صحتها كل الركون ، ويحسن وضعها بأيدي القراء نظراً الى سلامتها من كل شائبةٍ او تحريف .

فهلا من يقوم بإخراج هذا الكتاب من مكامنه ومدافنه ، وإذاعته للملأ ، وتيسير الاستفادة منه على الدوام ؟

(بغداد) كوركيس عواد

حول كتاب الإمتاع والمؤانسة

جاء فيما كتبه رئيس مجمعنا العلمي عن هذا الكتاب (في الجزء الثامن من المجلد السادس عشر ص ٣٦٧) قوله وأخرجه الناشران الفاضلان احمد امين بك واحمد الزين من نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة والناسخ اعجمي جميل الخط لا يعرف ما كان ينسخ .

فعجبت لذلك لعلمي بوجود ثلاث نسخ منه ثنتان في مصر في الخزانة الزكية كان العلامة البحاثة احمد زكي باشا رحمه الله نقلها بالمصور الشمسي وكان قد عزم على طبعه ولما لم يكتف بهاتين النسختين واستشكل بما كتب على احداهما ارسل لي كتابا ذكر فيه عن اي مكتبة نقل هاتين النسختين ويسألني ان كان في مكاتب حلب نسخة او بعض نسخة وهل عندي ما يزيل اشكاله فأجبته بالسلب في الأمرين .

والثالثة عند الشيخ حمدي السفرجلاني الدمشقي نسخت له او استنسخ صورة عن كتاب العلامة احمد زكي لمكانته وبيان ما قام به من جهود في الاستحصال على النسختين

المتقدمين وبحث وتدقيق فيها كما هو شأنه . ولا أدري على اي نسخة من هذه النسخ الثلاث طبع هذا الكتاب ولعله على هذه الأخيرة اذ لم يقل الاستاذ الرئيس انها مأخوذة بالمصور الشمسي . واستنسبت ان اكتب كتاب العلامة زكي باشا بنصه ليعلم ما كان له فيه من جهود في الاستحصال على نسختين وما كان له من بحث وتحقيق واری ان ينشر هذا الكتاب او ان يشار اليه على الأقل في الجزء الأخير قال «دار العروبة في ١٢ محرم سنة ١٣٤٩ و٩ يونيو سنة ١٩٣٠»

تحية مباركة وسلاماً طيباً وبعد فانني احيط علم الاستاذ بانني كنت نقلت بالفتوغرافية من القسطنطينية كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان وهي كاملة تقع في ٨٥٤ صفحة وطالما بحثت عن نسخة اخرى حتى علمت بوجود جزء في بغداد ولكن الاستعلام افاد ان صاحبه مات وان الكتاب (الجزء الأول) اندثر ثم علمت بوجود نسخة في مكتبة ميلانو بايطاليا واستحضرت صورتها الفتوغرافية وهي في ٢٣٧ ورقة ولكنها مدشوشة دشتاً كله خلط من أولها لآخرها والذي زاد في خلطها ان بعض الأوراق قد انفصل نصفها الأول عن الثاني الى آخر ما هنالك

والمطلوب الآن :

١ — هل عندكم في حلب نسخة او بعض نسخة ام هل وصل الى علمك شيء عند شخص آخر

٢ — الجزء الثاني من نسختي مكتوب على طرته انه برسم خزانة السلطان الاعظم مالك رقاب الأمم مولى ملوك العرب والعجم مستخدم ارباب السيف والقلم باسط الأمن والأمان ناشر العدل والاحسان ابي المفاخر فخر الدنيا والدين سليمان بن غازي ابن محمد الأيوبي خلد الله تعالى مملكته وسلطانه واعلى في الخافقين عزه وبرهانه

ثم كتب نفس الناسخ للكتاب من اوله الى آخره في الختام ما هذا نصه بالحرف الواحد تمت الجزء الثاني من الكتاب المؤانسة والامتاع بحول الله وحسن توفيقه في شوال سنة خمسة عشر وثمانماية . ثم كتب هو أيضاً وبخطه أيضاً على هامش الصفحة الأخيرة ما نصه . من عواري الزمان دخل في نوبة العبد الفقير حسن المكني بابي الفضل المنشئ الشيرازي .

وهنا محل للعجب والاستغراب

أولاً — انه في سنة ٨١٥ لم يكن في الوجود اثر لسلطنة رجل من بني ايوب

ثانياً — يصح لنا ان نتصور ان الكاتب اراد ان يكتب ستمائة فخانه قلمه وكتب ثمانمائة . وقد راجعت التاريخ فوجدت موسوعات الإسلام تقول ان غازي الأيوبي سلطان حلب توفي سنة ٦١٥ ولكنك انت تقول في تاريخك المتمم ان ذلك كان سنة ٦١٣[1] (فربما ان المستشرق الافرنجي كتب 3 فجمعها صفاف الحروف 5)

فيكون سليمان هذا تولى الملك سنة وفاة ابيه غازي سنة ٦١٥ او كان على العرش بعد تلك الوفاة بعامين سنة ٦١٣ . وقد رأيت صاحب كشف الظنون ذكره هو وابنه وابن ابنه عند كلامه على « الدر الثمين في شعر الثلاثة السلاطين » وهو مجموعة اشعاره واشعار ابنه (السلطان احمد) وابن ابنه (السلطان خليل) وحينئذ يصح لنا ان نقول بأنه عند جلوسه على العرش اراد عملاً بسنة آبائه واجداده ان يزيد خزانة كتبه استنساخ هذا الكتاب او ان الناسخ (وهو شرف بن اميرة) اراد ان يتقرب اليه بهذه النسخة المكتوبة بخط جميل جداً والمزوقة في اولها باطار بديع من الذهب واللازورد (باسم الخزانة) ولا غرابة فالرجل شاعر وسليل بيت الملوك الصيد الذين كانت لهم اليد الكبرى في مناصرة العلم والفن والأدب والى هنا يصح لنا أن نحكم بأن الكاتب اراد ان يكتب سنة خمس عشرة وستماية فكتب (وثمانماية) وكتب اسم المالك القديم وهو ابو الفضل الشيرازي نقلا لما وجده في النسخة المنقول عنها نقل مسطرة . وكان حقه ان يقول هذه النسخة منقولة عن نسخة كانت في ملك الشيرازي او شيئاً آخر من هذا القبيل . وهنالك وجه آخر للتخريج ، ان هذا السلطان يكون جلس ومات او انقلب عن العرش في ذلك الزمان المشحون بالقلاقل والاضطرابات ولذلك لم أر له ذكراً في تاريخك او لم يساعدني وقتي على زيادة البحث والتحري . ويكون الناسخ قد باع نسخته للشيرازي وكتب بخطه ايضاً عبارة الملك طبقاً للنص الذي اعطي له ليحصل تناسق في الكتابة من الأول الى الآخر .

والذي ارجوك الجواب عليه هو ان تبحث وتفيدني عن هذا السلطان مع الاشارة

---

(١) الصواب ما ذكرناه في تاريخنا كما في أبي الفداء وغيره .

الى المراجع والمصادر فان النسخة تقول ان اباه غازي هو ابن محمد [؟] وهل هنالك ذكر لولديه . ولابن الفضل الشيرازي (حسن) المنشئ ولذلك الناسخ شرف بن امين .

كل ذلك لاتمام المباحث التي اباشرها لعلي اتمكن من طبع هذا الكتاب النادر النفيس وسلامي عليك ولكل الاخوان فرداً فرداً والسلام» «احمد زكي»

ثم اني عثرت منذ عهد قريب على ما يزيل عجب العلامة المرحوم واستغرابه وذلك فيما كتبه صديقنا الأستاذ الشيخ محمد احمد دهمان في الجزء السابع من المجلد السادس عشر من مجلة المجمع (ص ٣١٢) تحت عنوان حلقة مفقودة من سلسلة التاريخ وذكر فيها ما أهمله التاريخ بصورة متسلسلة من ملوك بني أيوب في حصن كيفا .

قال : الملك العادل فخر الدين سليمان وهو السادس من ملوك الحصن وهو ابن المجاهد غازي بن الملك الكامل محمد بن الملك ابي بكر بن شادي . ثم قال في التعليقات نقلا عن الشذرات والضوء : هو الملك العادل فخر الدين سليمان بن الملك الكامل غازي صاحب هذه الترجمة توفي سنه [٨٢٧] وجاء في ترجمته انه بقي ملكاً نحو خمسين سنة .

فغازى والد سليمان هو من ملوك الحصن كما ذكره الأستاذ دهمان وهو غير غازي ملك حلب الذي توفي سنة ٦١٣ وظنهما العلامة المرحوم واحداً حتى استشكل بما كتب على النسخة وهو سنة ٨١٥ فما كتب عليها هو صحيح والمراد بغازي ملك حصن كيفا المتوفى سنه ٨٢٧ لا غازي ملك حلب المتوفى سنة ٦١٣ ولا اشكال .

ومما يجدر ذكره هنا ان من جملة من اقتنى نسخة من كتاب الإمتاع والمؤآنسة الشيخ محي الدين بن العربي وقد ذكره في خطبة كتابه محاضرات الأبرار وانه من جملة مصادره في هذا الكتاب وعبارته .

«وكل ما سطرته في كتابي هذا فمنه ما شاهدته او حدثني من شاهده ومنه ما نقلته من كتب مشهورة رويتها سماعًا او قراءة اومداولة اوكتابة مثل كتاب الإمتاع والمؤآنسة للفاضل الاديب النحرير ابي حيان التوحيدي رحمه الله تعالى» . وقال في ص ٢٥٦ من الطبعة المطبوعة سنة ١٣٢٥ في مطبعة السعادة بمصر . «ذكر ابوحيان التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة ان الفرس» الخ .

حلب محمد راغب الطباخ

بين ابن تيمية وابن بطوطة أيضاً

قرأت ما كتبه[1] الأستاذ الطباخ تحت عنوان (افتراء ابن بطوطة على ابن تيمية) فرأيت ان اضيف اليه ماعندي في هذا الموضوع ، لينفي مثبتو الحقائق هذا البطلان الذي بعد عهده ، وضل مناصروه :

لم يكن ابن تيمية يعظ الناس على منبر الجامع كما زعم ابن بطوطة ، (١ : ٥٧ فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ على منبر الجامع) بل لم يكن يخطب او يعظ على منبر الجمعة كما يوهمه قوله : « ونزل درجة من درج المنبر » وانما كان يجلس على كرمي يعظ الناس ، ويكون المجلس غاصاً بأهله ، قال الحافظ الذهبي : « وقد اشتهر امره وبعد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرمي من حفظه » الخ وقال الشيخ علم الدين البرزالي في معجم شيوخه: «وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم» الخ .

وانما كان يخطب الناس على منبر الجامع الأموي في عهد دخول الرحالة ابن بطوطة دمشق – قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، وقد كان خطيب المسجد وامام الشافعية فيه، وكان سكناه بدار الخطابة (ج١ : ص٥٦ رحلة ابن بطوطة)

ومما تقدم يعلم ان ابن تيمية كان مدرساً واعظاً ، لاخطيباً ، وكان يلقي درسه في التفسير صبيحة كل جمعة وهو جالس على كرمي في الجامع الأموي ، لا واقف على منبر فينزل درجة عنه ، وقد اشار الى ذلك الحافظ المؤرخ ابن عبد الهادي بقوله : « ثم ان الشيخ جلس يوم الجمعة (اي بدمشق) على عادته ، وقال وهو يصف حاله وأعماله بمصر : « ويتكلم في الجوامع على المنابر من بعد صلاة الجمعة الى العصر » فهو لم يقل على منابر الجمعة ، ولا على منابر الخطابة ، والظاهر ان المراد بالمنبر كل ما ارتفع عن الأرض كما يؤخذ من مفهومه اللغوي ، فهو يعم هذه الكرامي التي يجلس عليها المدرسون في المساجد الكبرى بمصر والشام والعراق ليسمع منها الجماهير ، فكيف غفل ابن بطوطة عن ذلك ؟ وقال الحافظ ابن حجر : « وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث ، فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر احد على ان يورده في عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه (ص ١٥٣

(١) مجلة المجمع العلمي (ص ١٣٢ م ١٢)

ج ١ من الدرر الكامنة) وهذا مما يؤكد أنه كان يلقي درسه على كرسي يجلس عليه والمستمعون حوله ، فكلامه على طريقة المفسرين — من بعد صلاة الجمعة الى العصر ، وايراده من الآيات والأحاديث ونصوص اللغة وأقوال العلماء في مجلس واحد ، مـا لا يورده غيره في مجالس كثيرة كما تقدم — هو طريقة المدرسين المحققين في حلقات المجالس الكبرى ، لا خطباء المنابر وهم وقوف ، لاسيما وقد صرحوا بجلوسه في دروسه ، وهذا لا يتيسر على منـابر الخطب الجمعية .

وبعد فهذه كتبه المخطوطة والمطبوعة ، ورسائله وفتاويه وردوده في العقائد قد بسط الكلام فيها على آيات الصفات والأفعال وأحاديثها كالوجه واليدين والاستواء والنزول وغيرها ، بالمعقول والمنقول ، وكلها يتضمن إثبات الأسماء والصفات ؛ مع نفي مماثلة المخلوقات ، اثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما جاء في القرآن الكريم « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » فقوله « ليس كمثله شيء » رد للتشبيه والتمثيل وقوله : « وهو السميع البصير » دفع للإلحاد والتعطيل .

ألا وان العلوم الحديثة قد قربت فهم النصوص على طريقة السلف وبينت أنها الأعلم والأحكم ، دع كونها الأهدى والأسلم ، فمن ذلك حديث النزول الذي أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين : « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا » الخ فان الآلة التي تريك المتكلم الآن حاضراً عندك وهو لم يبرح مكانه (Télévision) تهدينا الى فهم النزول الى سماء الدنيا بلا انتقال ، وان هذا النزول هو صفة ذات لا صفة فعل كما قالـــ القاضي ابو يعلى ، ومثله اسناد صفة الكلام اليه تعالى في قوله : « وكلم الله موسى تكليما » وقول رسوله : اذا تكلم الله بالوحي ، فهو لا يحتاج الى تأويل فراراً من شبهة التشبيه ، فقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولا لسان كالحاكي مثلا ، أفتأبى قدرة الله وحكمته الا أن يتكلم بفم ولسان كالإنسان ؟ اليس هو القادر على أن يختم على فم الإنسان وينطق جسمه الصامت كما قال : «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم » الآية ، أفيعقل أن يكون هذا القادر الحكيم عاجزاً عن التكلم إلا بمثل فم المخلوق ؟

وختام القول ان هذه الرواية مختلقة على ابن تيمية شيخ الإسلام سواء صحت عن ابن بطوطة أم لم تصح ، فهو لم يره ولم يسمع منه كما قال الأستاذ الطباخ ، وكما

نشرنا من قبل مقالاً ضافياً في موضوعه ، (في الجزء العاشر من مجلة دمشق الصادر في تشرين الأول سنة ١٩٤٠ الموافق لشعبان سنة ١٣٥٩) ومؤلفاته جميعها ترد عنه هذه الكلمة الشاذة ، بل لو ثبتت الرؤية والسماع لقلنا ان ابن بطوطة شبه له ابن تيمية ، وحكايات الشبه والاشتباه في الأشخاص والأشياء لا تكاد تحصر ، وهي داخلة في باب الشخصية (Identification) من كتب الطب الشرعي وغيره . على ان ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ، وإنما أملاها على الكاتب الأديب ابن جزى الكلبي ، وقال هذا في المقدمة : ونقلت معاني كلام الشيخ ابي عبد الله بالفاظ موفية للمقاصد التي قصدها ، موضحة للمعاني التي اعتمدها ، فيجوز ان يكون ذلك من تحريف النساخ ، أو وسوسة بعض الخصوم ، والله عليم بذات الصدور .

محمد بهجة البيطار

ملاحظات لغوية

— أ —

للأب العلامة المحقق الكرملي همة بعيدة ودؤوب عجيب في خدمة لغتنا الكريمة ، وقد بدت لي في مقاله الأخير (الأوهام العائرة) ملاحظات أنا عارضها عليه :

١ — ذكر في ختام مقاله[1] قوله : « وأما اذا ثنيت المضاف فهذا معناه أن للمضاف المثنى مضافين اليه لا مضافاً واحداً . فقولك كتابا الملك والأمير معناه أن للملك كتابين وللأمير كتابين ، وانت لا تريد هذا . » اهـ والمعروف ان الامر أوسع من ذلك ، فلك أن تقول كتابا الملك والأمير أو (كتاب الملك والأمير) فاذا خفت اللبس غيرت في بناء الجملة حتى ينكشف . والله تعالى يقول : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » وهو لا يعني أن لكل منهما عدة قلوب . بل قلب واحد كما هو ظاهر . والعرب تتوسع في هذا الباب وتعتمد فيه على القرائن .

وفي كتاب (الصاحبي) للإمام الكبير أحمد بن فارس أبواب عقدها : للواحد يراد به الجمع ، والجمع يراد به واحد او اثنان ، والجمع الذي يراد به الاثنان الخ (ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ طبعة السلفية ١٣٢٨) فالأمر كما ترى أوسع من ان نضيقه .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد السابع عشر ص ١١٢ س ١

٢ — في اول المقال (ص١٠٦ س ٥) قوله « في نفس هذا البحث » وتقديم الفاظ التوكيد المعنوي (نفس ، عين ، جميع الخ) على المؤكد من اساليب الفرنجة ، والعرب تقول : « في هذا البحث نفسه » فهل للأب المحترم ان يدلنا على حجة ان لم يكن الامر سهواً .

٣ — ذكر في (ص ١٠٩ س ١١) أن : « الاسم المضاف عندهم دون المضاف اليه شرفًا وقدراً ، فقولهم كتاب الملك مثلاً ، يدل على أن الكتاب دون الملك قدراً وشرفًا . » وهذا غير مطرد ، ألا ترانا تقول : إله الناس ، نبي الامة ، وأستاذ فلان ، وشيخه ، واميره الخ والمضاف في كل ذلك أشرف من المضاف اليه وأجل قدراً . فليس هناك قاعدة وإنما الامر يختلف باختلاف المقامات .

— ب —

في ص ٨٣ س ١٥ ما يوهم ان « مهما » لا تدخل على الماضي . ولست أعرف حالاً تفرد « مهما » عن أخواتها الجوازم ، فكلها تدخل على ماضيين ومضارعين ومختلفين [1] فليس هناك ما يؤاخذ به من يقول : مهما كان ، ومهما استحدث . هذا مع اعجابي بأدب الاستاذ الفاضل المنتقد وصحة بصره . وبيت الالفية المشهور في فعلي الشرط صريح وهو :

وماضيين او مضارعين تلفيهما او متخالفين

سعيد الافغاني

(تصحيح خطأ مطبعي في اللسان والمختار)

الأسمران الماء والرمح

جاء في لسان العرب[2] (ابوعبيدة : الأسمران الماء والحنطة ، وقيل الماء والرمح) وفي بعض طبعات مختار الصحاح[3] : (الأسمران الماء والبر ، وقيل الماء والريح) وذكرت كلمة (الريح) فيهما بالياء المثناة التحتية ، وصوابها : (الماء والرمح) بالميم بدلا عن الياء ، ذلك ان العرب تصف الرمح بالسمرة كما تصف الحنطة ، وتضيف الى كل منهما الماء . وتطلق لفظ (الأسمرين) عليهما تغليبا . ولا يوجد فيما رأيناه من كتب اللغة وصف

---

(١) انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢ : ١٢٣ طبعة صبيح ١٩٢٧

(٢) في الطبعة الوحيدة المطبوعة ببولاق ، وفي نسخة خطية غير تامة في المكتبة الظاهرية بدمشق (رقم ١٤ لغة) (٣) في الطبعة التي رتبها محمود خاطر بك على اوائل الكلمات المطبوعة غير مرة بالمطبعة الأميرية ومطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٧ ، ومطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٥

الريح بالسمرة ، او تسمية الماء والريح بالأسمرين ، ولم يشر الى هذه الغلطة المرحوم احمد تيمور باشا في جزءي كتابه تصحيح لسان العرب واليك النصوص :

١ — في القاموس المحيط : (الاسمران : الماء والبر ، أو الماء والرمح)

٢ — في شرحه (تاج العروس) : (الاسمرانِ الماء والبر قاله ابو عبيدة او الماء والرمح ، وكلاهما على التغليب) .

٣ — في اساس البلاغة في مادة(س م ر) : [قناة سمراء ، وقَنىً سُمر] [1]

٤ — في جمهرة اللغة لابن دريد : [السمرة بين البياض والأدمة ، ورجل اسمر من قوم سُمر ، وامرأة سمراء ، وقناة سمراء] .

٥ — في المخصص[2] [أبو عبيد : من الرماح الأظمى وهو الاسمر]

٦ — في فقه اللغة للثعالبي:[3] [اذا كان الرمح أسمر فهو أظمى]

٧ — في كفاية المتحفظ للأجدابي[4] : [من صفات الرماح : الرمح الخطي ، والسمهريّ ، واليزنيّ ، والردينيّ ، والزاعبيّ ، والاسمر] .

٨ — في صحاح الجوهري[5] : [الاسمران : الماء والبرّ ، ويقال الماء والرمح]

٩ — في مختار الصحاح في غير الطبعات السالفة[6] الاسمران: الماء والبر، وقيل الماء والرمح

١٠ — في كتاب المجمل في اللغة لاحمد بن فارس[7]: الاسمران الماء والبر، وقيل الماء والرمح

١١ — في جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي : الأسمران الماء والبر، ويقال الماء والرمح ه

دمشق : محمد الكامل القصار

(١) القناة الرمح ، ويجمع على قنىً مثل حصاة وحصىً . المصباح (٢) الجزء السادس الصفحة (٣١) (٣) في الباب الثالث والعشرين في اللباس والسلاح (٤) المطبعة العلمية بحلب الصفحة ٢٦ (٥) في الطبعة الوحيدة المطبوعة ببولاق مصر ، وفي نسختين خطيتين بالمكتبة الظاهرية برقم (٢١٧ عام) ورقم (٨ لغة) ، وفي نسخة خطية نفيسة لدى اصحاب المكتبة العربية بدمشق . (٦) في مطبعة روضة الشام بدمشق سنة ١٣١٦ ، وطبعة مكتبة القصيباتي بدمشق سنة ١٣٥٨ ، وطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ ، وطبعة الحلبي في سني ١٣٢٠ ، ١٣٤٤ ، ١٣٥٥ ، وطبعة المطبعة الحسينية سنة ١٣٤٣ ، والمطبعة العثمانية سنة ١٣١١ وكلها بمصر ، وطبعة استانبول سنة ١٣١٨ ، وفي نسختين خطيتين في مكتبة القصيباتي ، ونسختين خطيتين اخريين في المكتبة الظاهرية (برقم ٩ و ١٠ لغة) ونسخة خطية اخرى في المكتبة العربية (٧) مخطوط غير تام بالمكتبة الظاهرية (رقم ٢٣ لغة)

فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد السابع عشر

الصفحة

مجلة المجمع العلمي العربي

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٢　　　　شعبان ورمضان سنة ١٣٦١

في سبيل العربية [١]

من أعظم نعم المدنية الحديثة هذه الآلة التي اطلقنا عليها اسم المذياع ، واطلق عليها العالم اسم الراديو . فقد اصبحنا بعد انتظام امرها نلجأ اليها في كل ما حزبنا من مهم ، ونتخذ منها اداة دعاية في معظم الشؤون البشرية ، ولا يمضي زمن قليل بعد الحرب الحاضرة حتى يصبح المذياع مدرسة مجهزة بأحسن جهاز ، يتلقى منها المستمعات والمستمعون دروس العلم والتهذيب كاملة ، كأنهم في حضرة مدرسة ذات طبقات ثلاث في التعليم يأخذ طالب الاستفادة في كل طبقة ما شاء له غرامه على ايسر حال . ولا شك ان من نعم المذياع على اللغة ان يوحد في المستقبل لهجات البلاد العربية ويقربها من الفصحى ، كما كان لانتشار الصحف ونشر التعليم الابتدائي أثر عظيم في تهذيب لغة التخاطب والتكاتب بهذه اللغة المحبوبة .

ومن اجل هذا عمدت الى المذياع احمله جواب اسئلة ثلاثة ، وجهت الي كما وجهت الى غيري ، وقد قصد بها سائلها وهو صاحب مجلة (الحديث) الحلبية خدمة الافكار الصحيحة ونشرها على الملأ ، قال وله الشكر على اقتراحه المفيد : ماهي الكتب التي قرأتموها قراءة كاملة وأفادتكم في ثقافتكم الادبية ؟ وهل تنصحون الأديب الناشئ ان يقرأ الكتب القديمة اولاً ثم الكتب الحديثة ام بالعكس ؟ وما هو الكتاب العربي الوحيد الذي تنصحون الناشئين بتلاوته وباعادة تلاوته أكثر من مرة . وأنا اقول في جوابه ، وأرجو أن اكون اصبت شاكلة الصواب فيه ،

(١) حديث القي في محطة الاذاعة بدمشق .

ومعظمه مما املته التجارب الشخصية ، وللبحث الخاص اثر بالغ في نفس السامع ، وهل كان العلم قبل ان يقيد في الصحف والاسفار الا تحليلاً وتركيباً قام به أفراد ، فلما دون تلقفه الجماعات وصار يطلق عليه اسم العلم .

أقول من الصعب ان اضع احصاء مدققاً في الكتب العربية التي اتممت قراءتها كلها او قرأتها مرات ، وربما كانت الكتب التي قرأتها بالفرنسية والتركية قد وسعت أفق تفكيري ، وافادتني في الثقافة العربية نفسها فعلمتني سذاجة التعبير . قرأت القرآن الكريم على وجوه كثيرة فكنت تارة أتدبره لأرى ما فيه من بلاغة اللفظ والتركيب وجلال المعنى والمبنى ، وطوراً كنت أرتله لآخذ منه الأحكام بهذا الإيجاز وهذا الإعجاز ، وآونة كنت اتصفحه لأدون ما فيه من مواعظ وزواجر ، وحيناً كنت اطالعه لاتفهم قصص الأنبياء والاحداث التاريخية التي سبقت الاسلام ، ومرة أطيل النظر فيه لارى كيف يحاجه للمشركين والمنافقين ؛ وأنظر في براهينه الدامغة على صدق صاحب الدعوة ويسر دينه ، وحرصه على توحيد الخالق وتوحيد صفوف الخلائق ، ومرة اقلبه لأرى فيه الالفاظ السريانية والنبطية والعبرانية والحبشية والقبطية من اخوات العربية ، وأقع على المفردات اليونانية والفارسية وغيرها من اللغات الآرية مما اندمج في العربية كما اندمجت في لغة قريش بواسطة القرآن بعض مفردات خاصة بالقبائل كهذيل وأزد شنوءة وعُمان وتميم وكندة وكنانة وطيء وجُرهُم وحمير وحضرموت وبني حنيفة ولَخم وغسان وثقيف وقيس عيلان ومَدْين ومُذحِج وسعد العشيرة وجُذام والأشعريين واليمن وسبأ وعُذرة وأنمار وهمذان والأوس والخزرج . وكلما قرأته على الوجه الذي اختاره اطيل التفكير في اسلوبه الرائع وفي اسلوب الفصحاء والبلغاء بعده ، وفي طراز عصره في الاداء وبما كان يستعمل فيه من الفاظ عند من انزل اليهم ولا نكاد نفهمه نحن ابناء هذه اللغة التي نتعلمها بالجهد في الدرس والحفظ .

وجملة الأمر فقد تدبرت القرآن كثيراً ولا ازال كل سنة اغتبط بقراءته دفعة واحدة على الأقل ، واستمع لبعض آياته دفعة او دفعتين في اليوم بلسان المذياع المفيد ؛ عدا سماعي له في الصلوات . فتظهر لي كل نوبة دقائق ما خطرت ببالي

آنفاً ، وتتكشف لي حقائق مطربة عجيبة ، ولا عجب فالقرآن كما قالوا لا تفنى عجائبه .

ولا اكتمكم ياسيداتي وياساداتي ان حسرة في قلبي لا أبرح أحسها وهي أني لم أوفق الى استظهار الكتاب العزيز برمته أول حياتي ، وندمت ان شغلت نفسي بمحفوظات من الأدب شوهت ملكتي لأول نشأتي . واني لاعتقد ان المصريين ما تفوقوا ببلاغتهم على سائر الشعوب العربية إلا لأن اكثر الخاصة يحفظون القرآن ، وناهيك بأمة يستظهر قبطيها هذا الكتاب الكريم كفعل أسرتي عبيد ودُوُس المحترمتين وغيرهما من غير المسلمين، يحفظه ابناؤهم التماساً لبلاغته، واسترشاداً بأحكامه . وما كان بعض ادباء لبنان وعلمائها في اواخر المئة الثالثة عشرة واوائل المئة الرابعة عشرة على عِرْقٍ من الفصاحة والبلاغة في ألسنتهم وأقلامهم الا لأنهم حفظوا القرآن واستشهدوا به في خطبهم ومقالاتهم . ولعله لا يقل من يستمعون الى القرآن في المذياع كل يوم من غير المسلمين عن مواطنيهم العرب من المسلمين ، يعجبون بنغمته وموسيقاه وبلاغته ورنته وبما يحدث من تأثير في نفس سامعه ، مهما كانت نحلته ، ويتذوقه في الأكثر من درس اللغة العربية سنين قليلة في المدرسة .

حفظت في صباي طائفة من المعلقات السبع وجانباً كبيراً من ديوان المتنبي . وحفظت اشياء من الشعر الذي كنت افهمه للمحدثين كديوان الطغرائي ، وكان معظم النثر الذي حفظته او تلوته لا يخلو من تكلف ، وافادني في تلقف مفردات اللغة كبعض مقامات الحريري ورسائل بديع الزمان الهمذاني ومقاماته ورسائل ابي بكر الخوارزمي ورسائل الصابي ومقامات الزمخشري ومقامات الاصفهاني وكتابي العتبي وابن الأثير صاحب المثل السائر ، وما انجاني من عسلطات هذا النثر المتكلف الا تعلقي بكتب الجاحظ بعد حين ، فكنت اقرأ ما يقع في يدي من رسائله وكتبه . وما فتئت في كل عام أعاود قراءة معظمه ، كما انظر في ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب واحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية المصري واحمد بن يوسف الكاتب العراقي وسهل بن هرون ومحمد بن عبد الملك الزيات وابي حيان التوحيدي والصولي والتنوخي وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون . وقد قرأت مقدمة ابن خلدون كثيراً وهي من الكتب التي احب كل حين معاودة قراءتها كالصحيحين

البخاري ومسلم، ونهج البلاغة المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب الخراج لابي يوسف والأموال لابي عبيد القاسم بن سلام والكامل للمبرد والأمالي للقالي، وكتب ابن قتيبة والماوردي والراغب الاصفهاني والغزالي وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن حزم والطبري والمسعودي والدينوري ومسكويه وابن عبد ربه وابن حبان والمزرباني وقدامة والباقلاني والاشعري ويحيى بن عدي وابن هندو وعلي بن عبد العزيز وغيرهم من ارباب الانشاء الشائق .

وانصح للشداة المبتدئين أن يقرؤا من شعر القدماء والمحدثين حماسة ابي تمام وحماسة البحتري ومختارات البارودي، ولا بد ان يخص بالدرس خمسة من دواوين للقدماء كديوان عمر بن ابي ربيعة والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وغيرهم وخمسة من دواوين المعاصرين كالبارودي وصبري وشوقي وحافظ والرصافي وغيرهم، ويكرر في قلبه وعلى سمعه بعض ما بقي من تراث كبار المنشئين(راجع كتابي امراء البيان وكتابي رسائل البلغاء)وعلى الناشئ ان يختار الجيد الذي سلست كتابته واستقامت موازين افكاره، وخلص من التكلف ومماجة التعقيد، وحوشي الالفاظ من الكتاب والمؤلفين، ومن اهم ما عليه تصفحه من كتابات المحدثين كتابات من جمعوا الى سلامة التفكير سلامة التعبير .

ولا يجب ان يفوت المتعلم التأدب بأدب من نقلوا من اللغات الاعجمية ورزقوا حظاً من البيان من المجودين في النقل لامتلاكهم ناصية اللغتين المنقول منها والمنقول اليها واهم تراث يتلقفه طالب المدنية العربية تلاوة كتب علماء الجغرافيا من العرب وهي التي نشرها علماء المشرقيات كما نشروا كثيراً من كتب التراجم والطبقات ومنها سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وطبقات الشعراء للجمحي والشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات القراء لابن الجزري والاشراف للبلاذري ووفيات الاعيان لابن خلكان وطبقات الحكماء للقفطي وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وطبقات الأدباء لياقوت والوافي بالوفيات للصفدي وتاريخ الوزراء للصابي وكتاب الكتاب والوزراء للجهشياري والأنساب للسمعاني وتهذيب الاسماء للنووي ومقالات الاسلاميين للأشعري . ومما طبعناه نحن العرب الأغاني للاصفهاني والأمالي للقالي والبيان

والتبيين للجاحظ ويتيمة الدهر للثعالبي والموشح للمرزباني ونقد الشعر لقدامة ونقد النثر المنسوب اليه أيضاً ومعاني الشعر للأشنانداني وأخبار غرناطة للسان الدين والذخيرة لابن بسام وصبح الأعشى للقلقشندي ونهاية الارب للنويري وعيون الاخبار لابن قتيبة وزهر الآداب وذيله للحصري والصناعتين للعسكري ودلائل الاعجاز لعبد القاهر وقلائد العقيان وذيله للفتح بن خاقان وأمالي السيد المرتضى وأمالي الزجاج والعمدة لابن رشيق والمضاف والمنسوب للثعالبي والمزهر للسيوطي والوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الى غير ذلك من الممتع المفيد .

هذا بعض ما اسعدني الحظ بمطالعته من امهات كتب الادب واللغة والشعر ، وهناك كتب في الدرجة الثالثة او رسائل في موضوع خاص طالعتها ايضاً واستفدت منها ما وسعتني الاستفادة ، والطالب يقع عليها اثناء الدراسة فيتصفحها كما يتصفح المجلات والجرائد ، ويقيد ما يروقه منها في كراريس وجزازات ليأخذ منها حين الحاجة . وأهم ما يتعين على من يريد التبريز في الكتابة ان يقرأ أكثر مما يكتب ويقرأ بترتيل وان يبتعد عن تناول الكتابات الجديدة التي خلت من مسحة البيان فانها تفسد الملكة وتقضي على البلاغة ، ويجب ان يكثر من الخوض في الموضوعات المختلفة منذ بداية امره ، فلا يغفل عن معالجة الكتابة في الرسائل الخاصة والمقالات العامة والخطب والمحاضرات . وعليه ان يقرأ ما يكتب على من يلاحظ انه عارف بهذا الفن ويقبل ملاحظاته ان كانت سديدة . وبعرض كلامه على العارفين تظهر له أمور ما كانت تمر في خاطره ، ولا يبادر الى النشر حالا ولا يتنطع فيتأخر عن النشر كثيراً توهمه نفسه ان الاتقان يكون مع الزمن وان من التهور المبادرة الى عرض بنات افكاره على الجمهور حال كتابتها . فالأولى ان يأخذ حالة بين بين لا يقدم متهوساً متهوراً ولا يتأخر جباناً .

ربما يقول بعض المتحذلقين وعلى هذا فاللغة العربية صعبة جداً يفنى العمر ولا يحسنها الطالب المستفيد وهذا كلام كثيراً ما فاه به بعضهم على غير هدى . فاللغة العربية ليست على خاطبها بأصعب من غيرها من اللغات ولكن كتب اللغات العلمية الكبرى اليوم ان تبادر قبل العربية الى تقريب اصول تلقينها على الطلاب . وهذه النغمة تسمعها في المدارس الأجنبية على الأكثر ، ولو صرف طالب العربية بضع

سنين كما يصرف الطالب سنين في تلقف احدى لغات اوربا لجاء منه رجل تام الأدوات في لغته يتذوق لغتها ولا يصعب عليه معالجة كل موضوعاتها ، ولكن القوم يريدون ان تكون لهم الاولية بدون درس مستديم سابق ، والبيان اليوم لا يوحى ايحاء بل يدرس درساً ويعالج معالجة ، ولا بد من اتخاذ عامة اسباب النجاح الى بلوغ الغاية فيه .

اشرت الى بعض ما يجب على طالب الأدب ان يأخذ نفسه به ، وارى قبل الاتيان على آخر الحديث ان استعين بما كتبه سيد البلغاء ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ثم ما نقله ابو حيان التوحيدي خليفته في طريقته في الانشاء الذي اعجب واطرب . فقد خوف الجاحظ طالب هذه الصناعة من التكلف والتعمل قال : والوجه الضار ان يحفظ الطالب الفاظاً بعينها من كتاب بعينه او من لفظ رجل ثم يود ان يعد لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ، فهذا لا يكون الا بخيلا فقيراً او خائفاً مروقاً ، ولا يكون الا مستكرهاً لالفاظه متكلفاً لمعانيه ، مضطرب التأليف منقطع النظام ، فاذا مر كلامه بنقاد الالفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله وبهرجوا علمه ، ثم اعلم ان الاستكراه في كل شيء سمج ، وحيث ماوقع فهو مذموم ، وهو في الظرف اسمج وفي البلاغة اقبح . قال والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهواً رهواً مع قلة لفظه وعدد حروف هجائه أحمد أمراً وأحسن موقعاً من القلوب ، وانفع للمستمعين ، من كثير خرج بالكد والعلاج .

ومما قال ايضاً : وليس في الأرض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ، ويعتريه الغلط في شعره وفي ولده ، الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط . فمنهم المغرق المغمور ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسن حاله ما لم يمتحن بالكشف ، ولذلك احتاج العاقل في امتحان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ، ومن اعادة النظر والتهمة ، الى اضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك .

وروى التوحيدي قال : وليس شيء انفع للمنشئ من سوء الظن بنفسه ، والرجوع الى غيره وان كان دونه في الدرجة وليس في الدنيا مخلوق الا وهو محتاج الى

تثقيف ، والمستعين احسن من المستبد ، ومن تفرد لم يكمل ، ومن شاور لم ينقص ، وقد يستعجم المعنى كما يستعجم اللفظ ، ويشرد اللفظ كما يند المعنى ، وينتثر النظم كما ينتظم النثر ، وينحل المعقد كما يعقد المنحل .

وقال : أحسن الكلام ما رق لفظه ولطف معناه . وتلألأ رونقه ، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم ، يطمع مشهوده بالسمع ، ويمتنع مقصوده على الطبع ، حتى اذا رامه مريم حلق ، واذا حلق اسف ، اعني انه يبعد على المحاول بعنف ، ويقرب من المتناول بلطف .

هذه هي الجهة الأدبية من الموضوع بقيت الجهة المادية وهي تنحصر في كيفية الوصول الى هذه الكتب وهل تبتاع صبرة واحدة ام تشترى بالتدريج ، فالطريقة التي سار عليها اهل البصر ان يقتني طالب العلم كتبه شيئاً فشيئاً لا يدخل خزانته بضعة كتب جديدة حتى يكون أتم قراءة ماسبق له اقتناؤه على ان من الكتب التي اوردناها لا يتأتى لغير الموسع عليهم ابتياعه ، وهي في الاكثر من غرض الخزائن العامة . وكيف كانت الحال فاقتناء الكتب فرض على كل انسان يحاول ان يعد في البشر ، والناس في ديارنا زاهدون في هذه العادة اكثر من كل شيء ، فقد يقتني صاحب اليسار أخس الأشياء ، ولا ترى في داره كتاباً ، وعرفت اناساً يعيشون من معلوماتهم الحقوقية وما سبق لهم ان اشتروا شيئاً من الأسفار ، وليس عندهم من الكتب إلا ما أهداه لهم بعض المؤلفين من كتبهم ولكنهم ما طالعوها . ورأيت أناساً درسوا في المدارس الثانوية ومنهم في العالية فما أهمتهم دراستهم وظلوا على المعلومات التي تلقفوها في المدرسة ما زادوا عليها شيئاً في المطالعة ، فما هي الا بضع سنين حتى اصبح حكمهم حكم العامة ضيق عقل وقلة معرفة . والعلم درة دونها كل الدرر لا تصل اليها الا يد من انفق اجمل ساعات حياته في المطالعة والدرس ، ولا ينتهي دور الدراسة الا بانتهاء الحياة . كالتجارب لا يزال المرء منها في ازدياد مادام نفسه يصعد ويهبط .

محمد كرد علي

صلة الجاهلية بالعالم القديم[1]

(١)

سادتي الاماثل : السلام عليكم ، اما بعد فقد ابى المجمع العلمي الكريم إلاّ ان يحفزني الى القول ، ويخرج بي من سدفة العزلة ، فنزلت على حكمه المطاع ، وارهفت من غرب اليراع ، وبعد فمن ذا الذي يدعوه العلم فيجمجم ، ويهيب به الأدب فيحجم .

ايها السادة : لقد وقع اختياري على نبذة لي انشأتها عن « العصر الجاهلي وموقف اهله من العالم القديم في السياسة والتجارة » ولقد توفرت على استقراء ذلك من امهات الكتب الغربية ، وفي اللمع المبثوثة بين تضاعيف المؤلفات العربية .

تعريف العصر الجاهلي

لا جرم ان للعرب صلتهم السياسية والاقتصادية بالامم الغابرة ، وذلك ما اود ان اجمله في هذه المحاضرة ، فالعرب امة عريقة في المجد والسؤدد ، ترجع في نسبتها الى الدوحة السامية ، وكذلك اللسان العربي سواء اكان قحطانياً ام عادياً .

ويراد بالعصر الجاهلي ما كان عليه العرب قبل الإسلام من دأب وسيرة ، وقال ابن خالويه انه اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة ، وما تعدو تلك الحقبة في التاريخ المتداول مئة وخمسين عاماً قبل الهجرة عند جمهرة الأُدباء ، وان ذلك ليكون صحيحاً لا غبار عليه اذا عنينا بأُولئك العرب « اهل الحجاز ونجد » فقد كانوا الى مدى غير بعيد عن الشعوب بمعزل ، لما في باديتهم من جدب ، وما في طباعهم من عنجهية ، ولم يرزقوا حظاً من الشهرة وترامي الذكر الا بعد ان تحولت الى ارضهم الطرق التجارية ، فحملتهم على الاتصال بالأُمم الأُخرى ، واغرتهم بعقد الاسواق في عكاظ ومجنة وذي المجاز ، فوق ما قيض لهم من طول صحبتهم للانباط الذين كانوا قد انتشروا بينهم متفرقين على أثر هزيمتهم في سلع .

قدم العرب

ومن الخطأ المحض ان بعض الناس اذا ذكروا العرب في جاهليتهم ذهب بهم

(١) محاضرة ألقاها الشيخ فؤاد الخطيب في المجمع العلمي العربي بدمشق .

الظن الى الأمة قاطبة ، والى الامصار العربية باسرهـا ، خلطوا بينها وبين القبائل الضاربة في اودية « الحجاز ونجد » على ان سائر العرب في اصقاعهم الأخرى الخصبة وقبل تلك الفترة الجاهلية بقرون متطاولة ، كانوا لدات الفراعنة ، والبابليين ، والآشوريين ، والرومان ، وحسبي ان ارجع بكم الى ذكر « بني عاد » فانهم اقتحموا مملكة الكلدان القديمة وحكموها ما يقرب من قرنين (سنة ١٥٤٦ قبل الميلاد) وكذلك « المملكة الآشورية » فقد خضعت للعرب البائدة فولي الأمر فيها تسعة ملوك منهم استتب لهم فيها الحكم ٢٤٥ عاماً كما يقول المؤرخ الكلداني بروسيوس ، ولما افضى الامر الى سرجون الأشوري قاتل بني ثمود وقضى بجلائهم الى مدينة غزة في فلسطين ، وكانت مواطن ثمود كما يقول بطليموس مدينة « اومن » في جنوبي العقبة الى المويلح ، وكانت هذه البقاع من قبلهم لبني لحيان كما نص على ذلك الجغرافي بلينوس ؛ ثم ان الاسكندر الاكبر المكدوني يوم غزا مدينة غزة التي فيها حكومة عربية من « بني معين » وكانت هذه القبيلة العربية العجيبة قد غادرت وطنها الأول في جوف اليمن وانتشرت في الالف الثاني قبل الميلاد في جميع انحاء الحجاز وهضاب سيناء ؛ ويعتقد الاستاذ « جلازر » ان الهكسوس الذين هبطوا مصر فاتحين ؛ انما كانوا من بني معين ؛ واما أثر بني معين في الشعوب القديمة فتومىء اليه نقوش مكتوبة ظهرت في مدينة « اور » في العراق ؛ ويقول العلامة هومل ان الخط العربي المسند هو الاصل الذي انشعب منه الخط الكنعاني ؛ ومن جملة أدلته على صحة ذلك ان هنالك نماذج من الكتابة المعينية وصلت الينا أقدم من أختها الكنعانية .

حظ سورية من العروبة

ان الرومان عندما افتتحوا سورية وجدوا بين أهلها العرب ؛ وان لهم فيها دولتين شامختين — أما الاولى فدولة الانباط في سلع المعروفة عندنا بالبتراء أخذاً من اسمها العربي ؛ والى عاملها على دمشق أشار بولس الرسول في الاصحاح الحادي عشر من رسالته الثانية الى اهل كورنثوس فقال :

« في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد ان يمسكني فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه »

أما الدولة الثانية فحكومة آل السميذع في تدمر ؛ ومن أشهر ملوكها اذينة الثاني زوج الزباء الطائرة الصيت ؛ وقد وقف الاستاذ ليتمن خلال التنقيب في النقوش الصفوية على اسم أذينة هذا مما يشعر بنباهة قدره ؛ وذيوع ذكره ·

ثم انه لا يخفى عليكم ان احد رجال العرب قد تبوأ العرش الروماني فكان قيصراً للرومان ويعرف باسم فيليبوس العربي (٢٤٤ — ٢٤٩ م) وذلك أثناء احتفاء الرومان بذكرى الف سنة مرّت على تأسيس رومة ·

ولعل من ادعى الامور الى الدهشة في هذا الوطن السوري الكريم ان سيادة العرب فيه كانت متصلة متتالية ؛ فلم ينتكث لها حبل ؛ ولا انطمس لها عهد ؛ فكلما انهدمت لهم دولة فيه ؛ نجمت اخرى مكانها ؛ فانه عندما انهارت المملكة النبطية ؛ نشأت بعدها التدمرية ؛ فلما تداعت أركانها ؛ قام بأمر العرب بنو غسان ، فلما استشرى الضعف فيهم ، اذن الله بظهور الاسلام ، فجمع كلمة العرب بعد الشتات والانقسام ، ونهض بهم من ذات الصدع ، الى ذات الرجع ، « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » ·

الموقف السياسي

وقد حان لي بعد تلك اللمحة الخثيثة ان أشرف بكم ايها السادة على الحالة السياسية في الحقبة الاخيرة الجاهلية ، وموقف العرب منها ·

إنّ ما يعرف اليوم بالشرق الادنى ، كان قبل ظهور الاسلام العامل السياسي في الحرب الطاحنة بين فارس والروم ، لنشوب اكثر المعارك فيه ، ولأن مملكة الروم كانت في أمس الحاجة الى متاجر الهند ، وسائر آسيا ، وبلاد العرب نفسها ولذلك كان من مرامي فارس ان تجد مستقراً لها في بلاد العرب ، لخطورة ذلك الموقع من الناحية الجغرافية ، ولأن في طاقة فارس ان تنفذ منه الى غرضها فتمنع خيرات الشرق عن الروم ·

وأما مملكة الروم فكانت تذود عن مصالحها بمحالفة الاحباش ، لما بين الروم وبينهم من أواصر الدين ، فكانت تغريهم باليمن وتقيم منهم في تلك الاصقاع السحيقة سداً دون مطامع فارس ، ما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠

فكأن النفوذ السياسي في الشرق والجنوب من بلاد العرب لفارس ، وفي الغرب للروم ، وكانت مكة اميل الى هؤلاء منها الى خصمهم ، لصلتها التجارية بهم عن طريق سورية ، ولأن اكثر المكيين كانوا من القبائل الشمالية اي من بني عدنان ، أما يثرب فكانت لمكة بالمرصاد ، تنافسها في التجارة وتنقم عليها ثروتها الطائلة ، وكان أهلها من القبائل الجنوبية أي من بني قحطان ٠

لقد نزل العرب على تخوم فارس والروم في العراق وسورية منذ احقاب خلت فأكرهوا الدولتين فيما بعد على محالفتهم ، وأصبح للعرب عمال وامراء في المملكتين ، وكان كل قبيل منهم ينصر حليفه ، على ان العرب كانوا الفينة بعد الفينة يتناسون ما يبرم بين العاهلين من هدنة كما فعل القائد العربي الغساني المعروف باسم خالد في الغارة على عاصمة المنذر في العراق (٥٤٠ م) فانه لم يعبأ البتة بما كان بين الفرس والروم من مهادنة فشكاه كسرى الى جستنيان ، ولما لم يتلق منه جواباً ، أغار كسرى على اماسيا وحلب ومدن أخرى حتى كاد يكتسح سورية لو لم يهرع الروم الى طلب الصلح والنزول لكسرى عما استولى عليه من أمصار ٠

اما المملكة النبطية فكانت في الزمن الاخير أشبه بما نسميه اليوم (الدولة الحاجزة) ولكن الرومان غلب عليهم الجشع والطمع فلم يكترثوا لذلك فتيلا وقضوا عليها في عام ١٠٦ م ، وكان آخر ملوكها مالك الثالث بعد ان تعاقب عليها ما شاء الله من أزمنة بلغت ستة قرون او شيعها أدركت فيها الذروة من الحضارة والعمران ، ورواج الأسواق ، وقد اتخذت مدينة بصرى العربية من تلك الكارثة الفادحة بداية تؤرخ بها الحوادث جرياً على عادة العرب في مثل هذه الامور الجسام كعام الفيل ، وعام الختان ، ونحو ذلك ، اما الرومان فقد رزحوا بعد زوال الانباط تحت مشاكل مرهقة

فكانوا في عجز فاضح عن سد الثلمة ، ورأوا من الصحراء حلبة نزاع دائم بينهم وبين القبائل البدوية بله المملكة الفارسية ، أما العرب فحمل لواءهم بعد الانباط آل السميذع في تدمر ، وتحولت الى تدمر الطرق التجارية حتى بلغت قمة المجد في القرن الثالث للميلاد ، وقبل ان ينتصر عليها الرومان كانت صحراء سورية تنغش مكتظة بالقبائل البدوية النازحة من جوف الجزيرة وأطراف العراق ، واصبحت المدن السورية عرضة للغارة عليها في كل أوان ، فعقد الروم حلفا مع بني غسان ونفحوهم بالهبات المالية واتخذوا منهم ردءاً لهم في النوازل والخطوب ، ثم تضاءل ما بين الامتين من سبب وذريعة ، فالعرب في صفاء نفوسهم ، ومقتهم للغدر ، قد طالما زلت بهم القدم ، واستلتهم الفطنة ، وران عليهم من الروم الدس والختل ، فجشمهم ذلك من عنت البلاء ضروباً ، ومن أذى المحن افانين ، أما الروم فكان نصيبهم الويل وقت العضد ، وان تاريخ العترة الغسانية لمفعم بتلك الصور السافرة ، مترع بما يعززها من مشاهد متواترة ، وحسبي في الدلالة عليها ماسنح وطفّ من سيرة ملوك ثلاثة هم الحارث الرابع ، وابنه المنذر ، وحفيده النعمان .

الحارث الرابع

لقد كان الحارث الرابع أشهر ملوك العرب المتأخرين من بني غسان ، واعظمهم شأناً وقد خلع عليه الامبراطور جستنيان لقب بطريق وفيلارك (٥٢٩ م) وذلك على أثر ما أحرز من نصر على المنذر الحيري ، وجزاء لما أسدى من يد للروم في اخماد فتنة السامريين ، اما فيلارك العرب في فلسطين فكان يعرف بأبي كرب وقد شدّ أزرهم في تلك الثائره فكافأه القيصر بعشرين الف أسير باعهم أرقاء للفرس والاحباش .

ولقد قاتل الحارث تحت قيادة بليساريوس ولكنه في الاوبة ركب غير الطريق التي سلكها جيش الروم فظنوا به الظنون ، وانه دلس عليهم الرأي ، وانّ له بالفرس صلة مستسرة ، وكذلك كان الروم يصدرون في معاملتهم للعرب عن ريبة تساورهم ، وحذر يملي عليهم ، فأخرجوا العرب من سجيتهم مكرهين ، وسلخوهم عن فطرتهم مرغمين .

... لقد كان الحارث خصماً عنيداً للمنذر الحيري وهو المعروف بابن ماء السماء

وجد النعمان ابي قابوس آخر ملك لخمي في الحيرة ، وكان مثار النزاع في الاكثر بين الملكين العربيين تلك البادية الواقعة جنوبي تدمر ، فقد ادعاها كل منهما لنفسه ، وانه الحقيق وحده بجباية الاتاوة منها ، وقد تجدد القتال بين الحارث والمنذر في سنة ٥٤٤ م فوقع ابن الحارث أسيراً بيد المنذر فقدمه قربانا لإلهته العزى (افروديت) وفي خلال سنوات عشر من تلك الحرب الضروس نشبت المعركة الحاسمة بين الملكين فسقط فيها المنذر الحيرى قتيلا وصرع احد انجال الحارث الغساني ويقول العلامة نولدكي عنها انها هي وقعة الحيارين ويوم حليمة وانها معركة واحدة لا اثنتان ، وان حليمة ليست امرأة بل اسم مكان . وقد رحل الحارث في أواخر حكم جستنيان (٥٦٣) م الى القسطنطينية وفاوض القيصر فيمن يخلفه على سورية من اولاده ، وكان لهيبته سلطان كبير على ابن اخي القيصر جوستين ، وكان وليا للعهد ، فلما آل اليه الملك واصابه الخرف كان رجال البلاط يروعونه باسم الحارث كلما نشز عليهم واعياهم امره ، وقد رجع الحارث من العاصمة الى سورية ومعه اسقف من القائلين ببدعة الطبيعة الواحدة ، رعاية لشعور قومه الديني ، فقد كانت تلك العقيدة بينهم فاشية ، ولفظ اسقف معرب (ابسكبيوس) باليونانية ، ومعناه رقيب او ناظر والمعروف عن الحارث انه قد توفي في غضون ٥٧٠ م بعد ان تولى الأمر اربعين عاما ، وقد ورد اسمه في الوثائق الكنسية لسنتي ٥٦٨ ، ٥٦٩ م .

كان الحارث كسائر العرب ، يهزه الأدب ، وله بصر بمذاهب الكلام ، وقد اتخذ المرقش الاكبر كاتبًا له ، ومما اوصاه في ذلك قوله « اذا نزع بك الكلام الى ابتداء معنى غير ما أنت فيه ، فصل بينه وبين ما تبتغيه من الالفاظ ، فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن ان تمذق به نفرت القلوب عن وعيها وملتها الاسماع ، واستثقلتها الرواة » .

ومن كلام المرقش يصف البادية والذئب

ودوية غبراء قد طال عهدها تهالك فيها الورد والمرء ناعس
وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقس
ولما أضأنا النار حول شوائنا عرانا عليها اطلس اللون بائس

نبذت اليه حزّةً من شوائنا حياء، وما فحشي على من اجالس
فآض بها جذلان ينفض رأسه كما آب بالنهب الكميُّ المخالس

ومن أخبار الحارث انه مر بافاريق من تغلب ، وكانت بنو تغلب قد لحقت بالشام بعد ثورتها على ملك العراق ؛ فلم يستقبلوا الحارث ، وركب عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبي فلقيه فقال له الملك : ما منع قومك ان يتلقوني ؟ قال : لم يعلموا بمرورك ؛ قال : لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم ايقاظاً لقدومي ؛ فقال عمرو : ماستيقظ قوم قط الا نبل رأيهم ، وعزت جماعتهم ، فلا توقظن نائمهم .

جوستين الثاني والمنذر

ولما أفضى الأمر الى جوستين الثاني عمل على اغتيال المنذر نجل الحارث ، وكان قد خلف أباه ، وقاتل الفرس وعرب العراق تحت لواء الروم ، ولكن المؤامرة حبطت وثار المنذر على الروم سنوات ثلاثاً أغار الفرس في خلالها ومعهم أنصارهم من عرب الحيرة على سورية ، فأوفد طيباريوس ، وكان وصياً على العرش، مفوضاً من القسطنطينية اسمه يوستنيانوس لعقد الصلح مع المنذر فاجتمع به عند ضريح القديس سرجيوس في الرصافة ، وكان ذلك القديس موضع احترام السوريين قاطبة ، وتم الصلح في صيف ٥٧٨ م وقد توفي جستين الثاني في هذا العام وقام بالامر بعده طيباريوس وكان اكثر تودداً للعرب ، فسافر المنذر الى القسطنطينية ومعه ولداه ولبس فيها التاج (٥٨٠ م) وكان القياصرة قبل ذلك لا ينعمون على العرب الا (بالاكليل) ثم انقلب المنذر الى سورية وهاجم عرب الحيرة الا انه لم يتجاوزهم الى ارض فارس فارتاب الروم بأمره ورموه بالتواطوء مع الفرس وكلفوا القائد ماغنوس في سورية ان يقبض عليه ، فدعاه الى احتفال في كنيسة حوارين وهناك اعتقله وأرسله مخفوراً الى العاصمة .

ثورة بني غسان

وقطعت الروم الاعانة المالية عن العرب ، فاستعرت لظى الثورة تحت زعامة النعمان النجل الاكبر للمنذر يعززه اخوته الثلاثة فاشاعوا الرعب في سورية جمعاء حتى انخلعت

منهم قلوب الحامية في بصرى فتخلت لهم عن الذخائر الحربية وغيرها من أموال ابيهم المودعة في بصرى ، فعبأ طيباريوس جنوداً أخرى وضعها تحت قيادة ماغنوس لقمع الثورة ، وكان مع الجيش اخ للمنذر أعده الروم تضليلاً للعشائر الغسانية ولكن المنية ادركته في الطريق فأسقط في يد القائد الرومي الا انه احتال على النعمان فدعاه الى المفاوضة السلمية فأجاب الدعوة ولكن ماغنوس غدر به فقبض عليه وأرسله الى القسطنطينية فبلغها في عهد القيصر موريقوس وكان يعامل فيها كأسير حر فانتشرت الفوضى بعد ذلك بين العرب السوريين ، وانقسموا حول شيوخهم شيعاً عزين ، حتى اذا زحف الفرس على الروم واثخنوا فيهم (٦١٣ — ٦١٤ م) لاذ العرب باذيال الحياد، بل انضم بعضهم الى الفرس ، ولحق منهم عدد قليل ببلاد الروم ، الا ان هرقل أعاد تأسيس المملكة الغسانية (سنة ٦٢٩ م) ونصب عليها جبلة ابن الأيهم ولكن الطلائع العربية كانت في خلال ذلك قد أخذت تحت راية الاسلام تقرع بظبات سيوفها ابواب مملكته من الجنوب .

العرب والفرس

اما فارس فشمرت لطرد العرب من العراق بعد ان بثوا المستعمرات العربية على حدود الفرثيين وتفاقم امرها حتى شملت الارض التي عرفت فيما بعد بالسواد ، فحاصر ازدشير اول ملوك بني ساسان المستعمرة العربية المعروفة باسم (الحضر) ثم ان ابنه سابور انتصر على العرب (٢٤٠ م) ولكنه عي باخراجهم من البلاد فعقد اتفاقاً معهم ينص على ان يتناول العرب اعطيات مالية من الملك الأعظم وان يخضعوا له ، وان يدافعوا عن الحدود قال الشاعر :

أقفر الحضر من نضيرة فالمر باع منها فجانب الثرثار

والثرثار واد عظيم بين سنجار وتكريت كانت فيه منازل بكر بن وائل واختص باكثره بنو تغلب منهم ويمر بالحضر ثم يصب في دجله قال عدي بن زيد .

واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلساً فللطير في ذاره وكور

نظام الاستعمار الفارسي

لقد كانت المملكة الفارسية تتألف من ولايات شتى يتولى شؤونها رئيس يكون مسؤولاً لدى الملك الاعظم وقد تنتخب الولاية رجلاً ينصبه الملك وقد يولي غيره ، وقديماً تم تكوين الجالية اليهودية تحت زعامة رئيسهم في الامر جرياً على هذه القاعدة ، وعندما عظم أمر المسيحيين انفردوا بولاية مستقلة تحت رئاسة سلوقية ، فماهل فارس وان كان في الظاهر مستبداً الا انه كان يحكم المقاطعات المترامية الاطراف وفقاً لرغبة أهلها بخلاف ما كانت عليه دولة الروم من تزمت في الادارة وضيق عطن ، ولذلك استمتع العرب تحت حكم فارس بنوع من (الحكم الذاتي) واسع النطاق ، فكان لهم استقلالهم تحت سيادة ملوكهم ، وكانت التزاماتهم للملك الاعظم تجري طبقاً لميثاق بعقد ، فكان الملك الاعظم يختار على العرب ملكاً من لخم أرباب القصور والحضارة ، اما بنو تنوخ فكانوا من سكان الخيام . ولقد بلغ من علو شأن العرب عند الفرس ان ملك فارس يزدجرد الاول (٤٢٠ م) بعث ابنه الاكبر بهرام الى الحيرة لينشأ فيها على البطولة والفروسية ، ولكي ينعم بالهواء الطلق ولذة الصيد ، وقد سمت الحيرة الى اوج العظمة في عهد المنذر الثالث ، وعندما عقدت مملكة الروم صلحاً مع كسرى انوشروان (٥٣٢ م) دفعت غرامة لملك فارس ومثلها لملك العرب المنذر .

الموقف الداخلي في بلاد العرب

لقد كانت مملكة حمير في مطلع القرن السادس بعد الميلاد مشرفة على الزوال ، وكانت حكومة نجران في اليمن قد دب اليها هي الاخرى الضعف وكانت تتألف من أمير يلقب بالعاقب ، ووكيل يعرف بالسيد ، ومن اسقف ينظر في أمور الدين ، وكان ملوك القسطنطينية قد شرفوا العاقب ومولوه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه ، ولذلك كله خلا المجال (لملك الحيرة العربي) وأصبح (سيد العرب) في القسم الجنوبي من الجزيرة وخضعت

له معظم القبائل في أواسطها ، وكان سلطان الفرس مرتبطاً بذلك التوسع والنفوذ ، فأصبحت السيادة لفارس على الجنوب الشرقي من الجزيرة ، وعلى الجنوب الغربي منها ، فلا غرابة والحالة هذه اذا رأينا الملك عمرو بن هند يشير الى البحرين ، وهي عنه البعيدة النائية بأنها تحت حكمه ، وداخلة في نطاق أعماله ، ويأمر المتلمس وطرفة الشاعرين الشهيرين بالسفر اليها ، لقبض الجائزة من عامله عليها ، وقد حملها اليه كتاباً منه ، وانكم ايها السادة لتعلمون ان المتلمس انكر تلك الصحيفة فدفعها الى غلام من اهل الحيرة يقرؤها له ، لأنه كان أمياً ، فاذا فيها (أما بعد فاذا اتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً) فقذف المتلمس بالصحيفة في اليم وهرب الى بصرى وأخذ يهجو الملك ابن هند ، وكان قد بلغه ان الملك كان يقول: (حرام عليه حب العراق ان يطعم منه حبةً ولئن وجدته لأقتلنه) وكان مما قاله المتلمس :

يا آل بكر الا لله امكم طال الثواء وثوب العجز ملبوسُ
أغنيت شاتي ، فأغنوا اليوم تيسكم واستحمقوا في مراس الحرب او كيسوا

ثم قال :

آليت حب العراق الدهر احرمه والحب يأكله في القرية السوس
لم تدر بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكداديس

وقال عن الصحيفة :

قذفت بها في اليم من جنب كافر كذلك اقني كل رأي مضلل
رضيت بها لما رأيت مدادها يجول به التيار في كل جدول

أما طرفة فانتهى الى البحرين وأمضى فيه العامل أمر الملك ، وقد رثته أخته الخرنق فقالت :

عددنا له خمساً وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما
فجعنا به لما انتظرنا ايابه على خير حال لا وليداً ولا قحما

ولقد كان عمرو بن هند هذا على مافيه من قسوة وعتو ، وهو الملقب بمضرط الحجارة ، يروقه الشعر ويطرب لانشاده ولما انشده الحارث بن حلزة قصيدته . وكان

بينهما سبعة ستور اعجب الملك بمنطقه وكانت هند ام الملك تسمع ، فقالت لابنها (تالله ما رأيت كاليوم رجلاً يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور) فقال الملك (ارفعوا ستراً وادنوا الحارث) وما زالت هند يزيد اعجابها به ، والملك يقول ارفعوا ستراً وادنوا الحارث حتى ازيلت الستور السبعة ، واقعده الملك قريباً منه ثم اطعمه من جفنته وأمر ان لا ينضح اثره بالماء لأن الحارث كان به وضح أي برص ، واطلق الملك السبعين بكرياً الامرى ودفعهم الى الحارث ، وفضل قصيدته على قصيدة عمرو بن كلثوم ، فعاد التغلبيون الى أحيائهم ومعهم شاعرهم وهم يحملون في جوانحهم للملك كل ضغن ، ولبثوا كذلك ماشاء الله حتى جمعهم الملك مرة أخرى فثاروا عليه وانتهبوا رواقه ، وساقوا نجائبه ، وعلاه عمرو بن كلثوم بالسيف فأودى به ٠

الممثل الفارسي

أما الممثل الفارسي فكان بمنزلة المندوب السامي في السياسة الحاضرة ، ومقامه فى صنعاء ومنها يشرف على سائر اليمن وعمان والبحرين ، ويمتد نفوذه الى الصميم من نجد عن طريق اليمن وذلك ان كندة من القبائل القحطانية كانت قد التفت حولها قبائل بني بكر من اليمامة في أواسط القرن الميلادي الخامس لاتساع شقة الخلاف بين البكريين ، فأجمع عقلاؤهم على أن يولوا منهم ملكاً يختاره لهم سيد اليمن نفسه فانتقى لهم رجلاً من كندة اسمه حجر وهو والد امرئ القيس الشاعر الكبير فذهب الى نجد وجمع البكريين تحت لوائه ٠

حكاية عجيبة

ومن أعجب ما حدثتنا به السير أن أحد ولاة فارس في صنعاء وهو المسمى باذان أوفد بعض الجند الى الرسول الأعظم ﷺ في المدينة المنورة ، ولم يوفد اليه جيشاً لجباً بل رجلين اثنين من رجاله لأن الحجاز كانت من (مناطق نفوذه) ولذلك لم تنكر قريش على باذان ما فعل ولا وقع لديها أمره موقع الاستغراب بل فرحت برؤية جنديه وظنت بالله الظنون فانه لما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كتب كسرى الى باذان

عامله على اليمن (بلغني ان في أرضك رجلاً تنبأ فابعث به الي) فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وكان كاتباً حاسباً وبعث معه برجل من الفرس يقال له خرخسره فكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى وقال لبانويه (ويلك انظر ما الرجل وكلمه وائتني بخبره) فلما بلغا الطائف وكان فيه حينئذ جمع من أشراف قريش مثل أبي سفيان وصفوان بن امية وغيرهما فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انه بيثرب فلما سمع ابو سفيان وصفوان بن أمية مضمون كتاب باذان فرحا وقالا (مثل كسرى قام بعداوته) وقدم بانويه وخرخسره المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدما عليه انزلها وامرهما بالمقام أياماً ثم أرسل لهما ذات غداة ولما دخلا عليه قال لهما (اجلسا) فبركا وجلسا على ركبهما وكلمه بانويه وقال (ان شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك لتنطلق معي فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان أبيت فهو من قد علمت وهو مهلك قومك ومخرب بلادك) وأعطياه كتاب باذان ولما اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتاب باذان وسمع حكايتهما تبسم ودعاهما الى الاسلام ثم قال لهما (ارجعا حتى تأتياني غداً) فلما أتيا الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغد قال (ان ربي قد قتل الليلة ربكما بعد ما مضى من الليل سبع ساعات ، سلط عليه ابنه شيرويه حتى بقر بطنه ،) وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء العاشرة من جمادى الاولى من السنة السابعة من الهجرة ثم قال (اذهبا واخبرا صاحبكما — يعني باذان — بهذا الخبر) فقالا (هل تدري ما تقول ؟ انا قد نقمنا منك ماهو أيسر من هذا أفنكتب بها عنك ونخبر الملك) قال النبي (نعم أخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر وقولا له انك ان اسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الابناء) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى خرخسره منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر فقال (ما هذا بكلام ملك واني لأرى الرجل نبياً كما يقول ولننظرن ما قد قال فلئن كان ماقاله حقاً سيأتي

الخبر اليّ يوم كذا ولا كلام انه نبي مرسل ولا يسبقني عليه أحد من الملوك في الايمان به ، وان لم يكن فنرى فيه رأينا) فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه (أما بعد فاني قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل اشرافهم فنفرق الناس فاذا جاءك كتابي فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه) فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال (ان هذا الرجل لرسول الله حقاً) فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن وبعث باذان بإسلامه واسلام من كان معه الى رسول الله ﷺ .

امرؤ القيس ورحلته الى قيصر

لقد كان العرب في ذلك الزمن الغابر كلما ضاقوا ذرعاً بالسيطر عليهم من غير بني جنسهم فزعوا الى خصمه ولذلك سافر امرؤ القيس الى القسطنطينية بعد مقتل ابيه مستصرخاً القيصر « جوستنيان » على بني أسد ، وعلى المنذر ملك العراق ، فوعده القيصر خيراً ثم عرض عليه أن ينصبه أميراً على فلسطين فأبى امرؤ القيس تلك الامارة وكرّ راجعاً الى نجد ومات في أنقره .

ان في سفر امرئ القيس الى العاصمة الرومية لدليلاً على معرفة العرب باستغلال العداوة القائمة بين الروم والفرس ، وبرهاناً على علمهم بأسباب النزاع بين الدولتين ، فقد طمع امرؤ القيس في نصرة الروم له لما وقر في نفسه من أنهم يرغبون في ان يصيبوا من أعدائهم الفرس مقتلاً من مقاتلهم الاقتصادية ، وان امرأ القيس لم ينس أن يشيد بما عزّ له من ضروب الطرف التجارية في قصيدته الرائية فذكر السنا ، والمسك الموضوع في حقة يمانية ، والبان والعود والبخور المدخن وذلك في قوله :

وريح سنا في حقة حميرية تخص بمفروك من المسك اذفرا

وبانا ، والوّيا من الهند ذاكياً ورنداً ولبنى والكباء المقترا

ولقد كان لبني أسد النصيب الأوفر ، في اخفاق امرئ القيس عند قيصر ، فقد دسوا اليه وفداً منهم أتى القسطنطينية وعلى رأسه الطماح بن قيس فأفسد رأي القيصر في امرئ القيس ، وحمله على التبرم به والاعراض عنه قال امرؤ القيس :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا
الا ان بعد العدم للمرء قِنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وقد رزيء امرؤ القيس ببعض أصحابه في الطريق الى قيصر فمات منهم الحارث ابن حبيب السلمي فرثاه بقوله :

ثوى عند الودية جوف بصرى ابو الايتام والكل العجافِ
فمن يحمي المضاف اذا دعاه ويحمل خطة الانس الضعاف

والودية النخلة الصغيرة ، وقد بكى رفيقه عمرو بن قميئة شاعر بني بكر المشهور وهو المعني بقوله :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبكِ عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

منازل بني أسد والحارث الاعرج

ولقد كانت منازل بني أسد تقع الى الجنوب من تيماء اي الى الشرق من الطريق التجارية الكبرى وكانت قبائل بني عذرة ، وجذام ، وبلي ، منتشرة على طول تلك الطريق التي أصبحت اليوم طريق الحجاج من معان الى المدينة وأما سلاسل الجبال اجأ ، وسلمى ، وعوارض ، فكانت تشرف من الغرب والجنوب على بني أسد الذين تؤلف منازلهم التخم الشمالي لعنزة والنمر النازلين على الطريق المؤدية من ناحية الجنوب الى فلسطين وسورية . قال حسان بن حنظلة الطائي :

غضبت علي ان اتصلت بطيءٍ وأنا امرؤ من طيءٍ الاجبالِ

أي اجاء وسلمى وعوارض . وأما بنو كلب وهم قبيلة يمانية كذلك فتنزل في الشمال وفي الشمال الشرقي من مواطن تلك القبائل اعني في المنخفضات التي تعرف اليوم باسم الجوف ووادي السرحان ؛ وكانت كثبان الرمال المترامية التي تسمى اليوم صحراء « النفود » هي الحاجز بين تلك القبائل اليمانية وبين بني أسد ، وكانت ديار بني أسد هدفاً لهجوم الغسانيين عليهم ، وأشهر من غزاهم الملك المعروف في القسطنطينية باسم (الحارث الاعرج) وقد مزق شملهم بجيوش جهزها عليهم خاصة لاعتدائهم بالغارة بعد الغارة على الحدود (٤٩٧ — ٥٠١م) ولجأت بقية السيوف منهم الى اوزاع غيرهم من اخوانهم الآخرين .

قال شاعر بني أسد عبيد بن الابرص يذكر الحارث الاعرج :

نحن قدنا من أهاضيب الملا الـ خيل في الارسان امثال السعالي
فانتجعنا الحارث الاعرج في جحفل كالليل خطار العوالي

ثم يصف ديار بني أسد فيقول :

ولنا دار ورثنا عزها م الاقدم القدموس عن عم وخال
مالنا فيها حصون غيرما م المقربات الجرد تردي بالرجال

وقال عن بني غسان :

بجحفل كبهيم الليل منتجع ارض العدو لهام وافر العدد
وكل أجرد قد مالت رحالته نهد المراكل فعم ناتئ الكتد
حتى تعاطين غساناً لحربهم يوم المرار ولم يلووا على احد
غوت بنو أسد غسان أمرهم وقل ما وفقت غسان للرشد

وقال فيهم :

وجمع غسان لقيناهم بجحفل قسطله ذائلُ

وقال يسخر من امرئ القيس وذهابه الى قيصر

ياذا المخوفنا بمقتل شيخه حجر تمني صاحب الاحلامِ
ازعمت أنك سوف تأتي قيصراً فلتهلكن اذا وأنت شآم

وقال يعيره :

وأنت امرؤ ألهاك دف وقينة فتصبح مخموراً وتمسي كذلكا
ظللت تغني ان اصبت وليدة كأن معداً أصبحت في حبالكا

أما امرؤ القيس فأودع دروعه عند السموأل بن عادياء فجعلها في قصره الابلق بالقرب من تيماء ولما ذاعت الانباء بوفاة امرئ القيس ظهر الحارث الغساني امام الابلق بصفة أنه حامي الحدود الرومانية وطلب الدروع من السموأل وهدده ان لم يفعل بقتل ابنه على مرأى منه ومسمع ، وكان قد قبض عليه خارج الحصن أثناء عودته من الصيد فأبى السموأل تسليم الدروع وقتل الحارث ابنه ونكص عن الحصن بجر

أذيال الخيبة أما حجة الحارث فكانت تقوم على أن امرأ القيس أصبح من (التابعية الرومانية) بطلب مساعدة القيصر ، وأما الحارث فقد أصبح بصفة كونه ممثل الامبراطورية على حق في ان يرث امرأ القيس .

النظام العسكري في الحيرة

أما النظام العسكري فليس لدينا نبأ عنه مسهب الا ما كان منه في بلاط النعمان بن المنذر، فقد كانت للنعمان كتائب خمس وهي الرهائن — والصنائع — والوضائع — والاشاهب — ودوسر .

أما الرهائن فكانوا خمسماية رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ثم يستبدلون بخمسماية آخرين وينصرف أولئك الى احيائهم، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره

أما الصنائع فبنو قيس وبنو تيم اللات ، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه أي أنهم كانوا له « الحرس الخاص » .

اما الوضائع فكانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك فارس في الحيرة نجدة لملك العرب وكانوا كذلك يقيمون سنة ثم يخلفهم الف رجل وينصرف أولئك الى ديارهم إي انهم كانوا « جيش الاحتلال » .

أما الاشاهب فأخوة ملوك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم وسموا الاشاهب لأنهم كانوا بيض الوجوه ، قال الاعشى :

وبنو المنذر الاشاهب في الحير ة يمشون غدوة كالسيوف

وأما دوسر فكانت اخشن كتائب الملك وأشدها بطشاً ، ومن كل قبائل العرب ، ومعظمهم من ربيعة ، وكانت دوسر تعد أربعة آلاف رجل ، وسميت دوسراً اشتقاقاً من الدسر ، وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها .

وكان الملك في رأس كل سنة من أيام الربيع يأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن وقد صير لهم أكلاً عنده وهم (ذوو الآكال) فيقيمون عنده شهراً ويأخذون آكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم .

(يتبع)

فؤاد الخطيب

المترادف

هل نجد في اللغة ألفاظاً تترادف في معانيها ترادفاً متكاملاً ، هذا سؤال خطر بالبال وأنا أطالع كتابين متناقضين : الألفاظ الكتابية للهمذاني ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي .

يقول الهمذاني في مقدمة كتابه : فليست لفظة منها ، أي من الألفاظ التي جمعها ، الاّ وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة او تقوم مقامها في المحاورة ، اما بمشاكلةٍ او بمجانسةٍ او بمجاورة .

قبل أن أسأل هذا السؤال : هل تنوب في اللغة لفظة عن لفظةٍ مناباً كاملاً ، أحب ان اشير الى بعض ألفاظ ذكرها الهمذاني في كتابه ، فقد وقعت عيني في هذا الكتاب على باب ترادف السلب ، أشار الهمذاني الى انه يقال : اغتصب فلان مال فلان وسلبه .

فلننظر في معاني هاتين المادتين ، ذكر الفيروزابادي مادة غصب فقال : غصبه أخذه ظلماً كاغتصبه ، وغصب فلاناً على الشيء قهره .

وذكر مادة سلب فقال : سلبه اختلسه كاستلبه .

فالقارئ يرى ان الاغتصاب يستلزم الظلم والقهر ، أما السلب فليس يستوجب شيئاً من هذين الأمرين ، وانما يحتاج الى الخفة والسرعة فان من جملة معاني السلب السير الخفيف السريع !

يستنتج من هذا أن سلبه لاتنوب عن غصبه نوباً متكاملاً اذا توخينا دقة التعبير .

ومثل هذا الباب في الألفاظ الكتابية باب اللوم مثلاً ، فقد ذكر الهمذاني انه يقال : لمت الرجل لوماً وفندته تفنيداً .

فالفند بالتحريك الخرف وإنكار العقل لهرم او مرض والخطأ في القول والرأي والكذب وفنّده تفنيداً كذّبه وعجّزه وخطّأ رأيه ، فانظر الى اتساع معاني هذه المادة .

أما اللوم فليس فيه شيء من كل ماذكر فقد تلوم الانسان وليس من الضروري

أن يكون خرفاً او ان تنكر عقله لهرم او مرض أو غير ذلك ، فهل تقوم لفظة لمت الرجل مقام فندته اذا كنا نعنى بأسرار التعبير .

ونقيض كتاب الهمذاني كتاب : فقه اللغة ، للثعالبي ، فقد جعل لكل لفظة أسرارها وروحها بحيث لا نكاد نجد في ألفاظ متقاربة المعاني لفظة تنوب عن أختها او تقوم مقامها .

انظر مثلاً في تفصيل أوصاف السيد ، قال الثعالبي : الخلاحل السيد الشجاع ، والهمام السيد البعيد الهمة والقمقام السيد الجواد والصنديد السيد الشريف ، الى آخر هذه الاوصاف .

فأنت ترى ان لكل لفظة من هذه الالفاظ أسرارها وروحها ، فالشجاعة غير بعد الهمة ، وبعد الهمة غير الجود والجود غير الشرف ، فقد يكون السيد شجاعاً ولا يكون بعيد الهمة ، ويكون بعيد الهمة ولا يكون جواداً ، ويكون جواد ولا يكون شريفاً .

فهل تشتمل اللغة على ألفاظ مترادفة تكامل ترادفها ، هذا ما أحببت الوصول الى السؤال عنه .

* * *

أنشأ « فنلون » في القرن السابع عشر كتابه الى « الأكادمية » الفرنسية ، بحث في هذا الكتاب عن أمور شتى ، فقد بحث عن المعجم وقواعد النحو واللغة والبديع والشعر والأنواع الأدبية والتأريخ وأشباه هذا كله .

من جملة كلامه في فصل اللغة قوله : إذا فحصنا عن كثب عن معاني الألفاظ فقد يتبين لنا أنا لا نكاد نجد بين هذه الألفاظ لفظتين مترادفتين على وجه متكامل .

وقد قرأت تعليقاً على هذه العبارة لناشر كتاب « فنلون » وهو مفتش عام في وزارة المعارف ، جاء فيه اننا اذا لم نجد لفظتين مترادفتين فهذا سببه انه لا يمكن وجود هاتين اللفظتين ، ففي أية لغة من اللغات لا نستطيع ان نشير في مختلف ألفاظ هذه اللغة الا الى صلات في الترادف متقاربة لا متكاملة ، لأننا اذا ذهبنا الى أصل هذه الألفاظ او اذا نظرنا في اختلاف الأشياء الدالة عليها فقد يسهل علينا ان نجد فرقاً بين لفظتين نزعم انهما مترادفتان ، ثم أتى هذا الكاتب على ذكر طائفة من

الألفاظ الفرنسية لا نجد لها نظائر في لغتنا العربية ، من حيث وجه الشبه ، لأن في اللغة الفرنسية ألفاظاً من أصل لاتيني وألفاظاً من أصل يوناني ، فاذا ذكرت لفظتان مترادفتان من هذين الأصلين المختلفين فقد يهون على الباحث ردّهما الى أصلهما أما نحن معاشر العرب فلم نعرف حتى اليوم أصل لغتنا العربية ، على أن أهل اللغة بحثوا عن المترادف وسيأتي الاشارة الى هذا البحث .

وقال الاستاذ « دارمستتر » في كتابه الجليل : حياة الالفاظ في فصل المترادف : لا نجد في لغة خُلقت في أحسن تقويم مترادفات على وجه متكامل ، على أنا نجد في لغتنا الفرنسية ألفاظاً كثيرة مختلفة للدلالة على شيء واحد ، فلبعض النبات مثلاً أو لآلة من الآلات ، او لمحصول صناعي ، خمسة أو ستة او ثمانية أسماء ، ولكن هذه الاسماء اذا كانت مستعملة فان استعمالها لا يقع الا في اماكن متفرقة ، او في صناعات متباينة ، اذ ان كل طائفة من الرجال ليس لها الا لفظة واحدة للدلالة على الشيء الواحد ، على ان هذه الأسماء المختلفة تدل على صفات مختلفة سميت الاشياء بها في أصل تسميتها ، وفعلاً لا يمكن ان يكون في اللغة العامة مترادفات متكاملة ، الا اذا كان أحد اللفظين المترادفين أقل استعمالاً من الآخر ، واذا كان اللفظان مستعملين فان ترادفهما لا يطول زمنه لأن فكر الانسان لا يريد أن يزعجه حمل لا فائدة فيه ، فهذا الفكر اما ان يطرح في النهاية احد اللفظين واما ان يستعمله .

* * *

لقد بحث علماء لغتنا في المترادف البحث نفسه ، ولم يكن تفننهم فيه أقل من تفنن علماء لغة الغرب ، فقد ذهبوا في المترادف مذاهب شتى أشار اليها السيوطي في المزهر ، فمنهم من قال ومن الناس من أنكر المترادف وزعم ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات ، فقد يسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام ولكن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الالقاب صفات ، فكل صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى .

وخالف في ذلك قوم فزعموا ان هذه الاسماء وان اختلفت ألفاظها فانها ترجع الى معنى واحد وذلك قولنا : سيف وعضب وحسام .

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة الا ومعناه غير معنى الآخر ، وكذلك الأفعال ، فني قعد معنى ليس في جلس ، وكذلك القول فيما سواه مثل مضى وذهب وانطلق ورقد ونام وهجع وغير ذلك .

فأنت ترى ان فريقاً من علماء لغتنا أنكروا المترادف كما أنكره فريق من علماء الغرب ، وكيف يكون السيف والصمصام مترادفين تكامل ترادفهما ، فمن أين جاءت هذه المادة : الصمصام ، يقال : صمم السيف كصمصم اصاب المفصل وقطعه او طبّق ، ومنهم من قالوا : ان التصميم هو المضي في العظم وقطعه ، والتطبيق هو اصابة المفصل وقطعه ، ومنه : والصمصام السيف لا ينثني ، فلفظة الصمصام لا تقوم مقام السيف ، فان لها صفة خاصة : السيف الذي لا ينثني ، واذا زعمنا ان هاتين اللفظتين مترادفتان ، فهل تنوب الواحدة عن أختها ، من كلام الجاحظ : كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها ، فكيف يكون وقع كلامه لو قال : كان عبد الملك بن مروان صمصام قريش ، أفلا نجد ان لفظة السيف اذا استعملت في موضعها فلا تقوم مقامها لفظة أخرى من أخواتها القريبة منها مثل الصمصام . وكذلك القول في كثير من الألفاظ التي زعموا انها مترادفة .

فني كل اللغات الفاظ لم يتكامل ترادفها ، فان بعضها ينفصل عن بعض بشيء من الاختلافات والبراعة كل البراعة في تمييز هذه الألفاظ وفي استعمالها في المواضع المناسبة وهذا ما نسميه : فقه اللغة ، وكلما ملكت اللغة ألفاظاً كثيرة للافصاح عن اختلافات الفكرة الواحدة او العاطفة الواحدة كلما ازداد غناها ، فاذا عرضت لنا مثلاً فكرة السيادة ، وكان لهذه الفكرة الواحدة أوصاف مختلفة كالشجاعة وبعد الهمة والجود والشرف استطاعت لغتنا ان تفصح عن كل صفة من صفات هذه السيادة وهذا من كمال حسن اللغة ، اما الترادف المتكامل فلا أثر له في اللغة ، فلكل لفظة سرها وروحها .

شفيق جبري

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول

(٣)

قلت في الجزء السابق من مجلتنا هذه أن لديّ عشرين لفظة أخرى من ألفاظ مجمع فؤاد الأول للغة العربية لا أدري متى يتسع وقتي لذكر اوجه الصواب فيها · وقد اختلست فرصة لذكرها وهي :

(٤٦) مشقوقات اليد · — ج ٤ ص ٥٢ البُرْثُنيات Fissipida · قلت في هذه الترجمة غلط واضح · فالكلمة الاعجمية معناها مشقوقة اليد (او الرجل او القائمة) · وهي تطلق على ثدييات ذوات حوافر (او اظلاف) رجلها مشقوقة في منتصفها كالبقر والغنم والإبل والخنزير الخ · أما البرثن في العربية فالكف مع الاصابع ، ومخلب الأسد ، اوهو للسبع كالاصبع للانسان · ويتضح من ذلك ان كلمة البرثنيات لا تصلح بتاتاً للدلالة على الحيوانات التي تعنيها الكلمة الأعجمية · ولو قالوا ظلفيات لكان لهذا القول وجه ·

(٤٧) مُجنَّحات اليد · — ج ٤ ص ٥٣ الخُفَّاشيات Chiroptera · قلت ترجمة الاسم العلمي مجنحات اليد · ويجب الاحتفاظ بهذه الترجمة المشهورة لكي تستعمل الخفاشيات اي فصيلة الخفافيش مقابل Vespertilionidés

(٤٨) مُفرَدات الاصابع · — ج ٤ ص ٥٣ الحافريات Perissodactyla · قلت الكلمة الاعجمية هذه معناها مفردات الاصابع · وهي تطلق على رتبة من الثدييات ، سميت كذلك لأن لها أصابع مفردة احداها ، وهي الوسطى ، قد نمت اكثر من رفيقاتها · وهذه الرتبة تشمل الخيليات والكركدنيات والتابيريات ·

وثمة رتبة ثانية تسمى Artiodactyles أي مزدوجات الاصابع · وهي تعرف بأصابع مزدوجة ، منها المجترات Ruminants وفيها فصائل عديدة كالجمليات والغنميات والبقريات والزُرَّافيات والأيليات الخ · ومنها الجَسّيات (من الجَسْ وهو

الجلد الصلب) وتسمى صفيقات الجلود Pachydermes واليها ينسب الخنزير ·

ويوجد رتبة ثالثة وهي الخرطوميات Proboscidiens منها الفيل ·

والذي جعلني أذكر هذه الرتب الثلاث هو انهم يجمعونها في حلقة واحدة يسمونها Ongulés وهي من اللاتينية Ungula بمعنى الحافر · فالحافريات اذن تصلح للدلالة على Ongulés هذه · اما الرتب الثلاث فيجب ان نترجم أسماؤها بما ذكرته ·

واذا قيل ان الحافر بالعربية لا تشمل رجل كل هذه الحيوانات أجبنا بأنها (أي كلمة الحافر) لا تشمل أيضاً رجل الكركدّن مثلاً وهو من مفردات الاصابع التي سماها مجمع مصر الحافريات · ففي وضع المصطلحات العلمية لا يمكن التقيد دائماً بحرفية المعاجم ، وهو أمر معروف ·

(٤٩) تعدُّد الخلايا · — ج ٢ ص ١٦٧ التعدُّدية Multicellularity · قلت الترجمة الصحيحة هي تعدد الخلايا · أما التعددية فلا معنى لها هنا ، ولا يفهمها أحد · والدليل على ذلك انهم ترجموا Multicellular بقولهم متعدد الخلايا لا بكلمة متعدد وحدها (ج ٢ ص ١٦٦) ·

وهنا يجب أن ننبه مجمع فؤاد الأول الى قضية هامة وهي ان حرصه على ايجاد كلمة عربية واحدة لكل كلمة علمية اعجمية هو حرص كثيراً ما يكون في غير محله · فالاوربيون يستطيعون ان ينحتوا كلمات مفردة من اللاتينية واليونانية · اما نحن فليس بوسعنا دائماً ان ننحت كلمات ثقيلة لا يفهمها احد ، كما انه ليس بوسعنا دائماً ان نجتزئ بأحد جزئي الكلمة الاعجمية ، فنترجم معنى جزء واحد ، ونطرح الجزء الآخر · ولنأخذ كلمة Cheiroptères التي مر ذكرها مثلاً · فهي من اليونانية Cheïr اي يد و Ptéron أي جناح · والمراد المجنحات اليد اي ذوات الأيدي المجنحة · وهي الوطاويط والخفافيش التي استطالت أيديها وامتد بينها غشاء فصارت تستعمل للطيران كأجنحة الطيور ·

فالطالب الفرنسي او المثقف الفرنسي الذي يقرأ هذه الكلمة الفرنسية يدرك على

الفور مدلولها ، لأنه يدرس مبادئ اليونانية واللاتينية وأصول الكلم الفرنسية في مدارس التجهيز • وهكذا حاله تجاه سائر الاسماء العلمية • أما الطالب العربي فانه اذا قرأ كلمة منحوتة من كلمتي جناح ويد مثل (جَنْبَدِيات) وامثالها من الرطانات فماذا يفهم ؟ واذا اجتزأتَ بأحد جزئي (مجنحات اليد) فقلت(مجنحات) او قلت (يَدَوِيات) تكون قد أضعت معنى الكلمة الفرنسية باطراحك نصفها • اما اذا قلت مجنحات اليد فقد بلغت المراد • ويجب ان يعلم اعضاء مجمع فؤاد الاول ان اللغة العربية لغة اختزال ، وانه لا يضيرها في كثير من الاحوال كون الكلمة الفرنسية الواحدة يعبر عنها بكلمتين عربيتين • فحروف (مجنحات اليد) ليست اكثر من حروف Cheiroptères وحروف (تعدد الخلايا) أقل من حروف Multicellularity

ويتضح من ذلك انه لا لزوم لكلمة التعددية اي لهذا المصدر الصناعي الذي معناه التعدد Multiplicité • ولا لزوم للحرص في غير محله على ترجمة كل اسم علمي منحوت من كلمتين او اكثر بكلمة عربية واحدة ناقصة لا تؤدي معنى ذلك الاسم العلمي • وأمثلة هذه الكلم العربيات الناقصة كثيرة في مجلة مجمع فؤاد الأول وسأذكر بعضها فيما يلي •

(٥٠) القطار الفاخر • — ج ٢ ص ١٢٤ الفاخر Train de luxe • قلت الصحيح القطار الفاخر • فأنت لا تقول ركبت الفاخر ولا نزلت من الفاخر ولا مرّ الفاخر بل لا بد لك من ذكر القطار في كل من هذه الجمل • وهكذا الحال بالفرنسية •

(٥١) القطار السريع والقطار الوقّاف • — ج ٢ ص ١٢٤ السريع Express والوقّاف Train-omnibus قلت يقال للأول القطار السريع وللثاني القطار الوقاف للاسباب التي ذكرتها في المادة السابقة •

(٥٢) أُحادي الخلية • — ج٢ ص ١٨٨ الأُحادي — الأُحادي الخلية Unicellular قلت الترجمة الصحيحة هي أُحادي الخلية • أما أُحادي فلا وجه لها بتاتاً للاسباب التي مر ذكرها • واذا اعترض أحدهم بقوله إن لفظة (أُحادي) هنا تصبح في الاستعمال

علماً لأحادي الخلية ، أجبناه بأن ذلك غير وارد . فأحادي لفظ ينعت به أسماء عديدة ، فلا يجوز أن يكون علماً لأحدها . مثاله Unicole أحادي الساق او وحيد الساق و Unicolore أحادي اللون و Unicorne أحادي القرن و Unisexuel أحادي الشق الخ الخ . فبأي هذه الأسماء العديدة يجب ان نخص لفظ أحادي على رأي المتحذلقين ؟ ولماذا نجعل الأحادي علماً لأحادي الخلية ولا نجعلها علماً لعشرات الأسماء الاخرى ؟

(٥٣) شوكيات الجلد . — ج ٤ ص ٥٥ الشوكيات Echinodermata . قلت هي شوكيات الجلد . وقد كنت ذكرت الشوكيات وشوكيات الجلد جميعاً في مقالي الذي عنوانه (الفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا) والمنشور في عدد أيار (مايو) سنة ١٩٣٥ من المقتطف . لكن الأصلح شوكيات الجلد . أما شوكيات وحدها فناقصة . ومع هذا ربما التمس لها وجه ، خلافاً للكلمة السابقة .

(٥٤) النقيعيات . — ج ٤ ص ٤٩ النقعيات Infusoria . قلت الصحيح النقيعيات نسبة الى النقيع اي المنقوع . وقد سميت هذه الحيوانات المجهرية بالاسم المذكور لأنها تكثر في نقيع المواد النباتية والحيوانية وتغتذي بها .

(٥٥) مرعوبيات . خزيات . سمّوريات . — ج ٤ ص ٥٢ : العرسيات mustelidae . قلت كلمة العرسيات هنا منسوبة الى ابن عرس . ولكنها قد تكون أيضاً منسوبة الى عرس وهي لبؤة الأسد . ويعرف اللغويون ان اسماء المعرفة المركبة كابن عرس وابن آوى لا تنصرف ، وانه يكره فيها (أولا يجوز في رأي بعضهم) فصل (ابن) عن (عرس) وعن (آوى) . ومن المعروف ان النسبة الى المضاف اليه فيها صحيحة . ولكن ما للمجمع ولهذا التعرض للالتباس بأن تكون العرسيات نسبة الى ابن عرس والى عرس جميعاً ، وقد سهل عليه صاحب معجم الحيوان الأمر بقوله فصيلة السراعيب نقلاً عن الأب أنستاس بأن السرعوب هو ابن عرس كما في كتب اللغة . فكان على المجمع أن يسمي الفصيلة مرعوبيات . أما انا فأرجح خزيات

أو دَلقيات او سموريات لأن الخز والدلق والسمور من جنس Mustela الذي تنسب اليه الفصيلة . اما ابن عرس فهو من جنس Putorius القريب من الاول .

(٥٦) الأموال الموقوفة لا الموات . — ج ٤ ص ١٥٠ : الأموال الموقوفة (Biens wakfs (Mortes قلت كلمة Mortes الفرنسية زائدة وفي غير محلها ، لأنها في قانون الاراضي تدل على نوع من الأرضين تسمى بالعربية الخالية والمباحة والموات ، وبالفرنسية Immeubles libres و Terres mortes أما الأموال الموقوفة فشيء آخر معروف . وليس هنا مجال تعريف هذه الأشكال من الأموال وتفريق بعضها عن بعض .

(٥٧) الطُحلُب والأُشنَة والحزاز . — ج ٤ ص ١٧ الطحالب Alga(Pl.Algae) قلت لقد خلط العرب في القديم كما خلطنا في الحديث مدلولات Mousse و Algue و Lichen بعضها ببعض . وقد انعمت النظر كثيراً في هذا الموضوع وكتبت فيه بضع صفحات . وانتهيت الى ان اصلح ترجمة للكلمات الفرنسية الثلاث المذكورة هي طحلب Mousse وأشنة Algue وحزاز او حزاز الصخر Lichen .

(٥٨) سُنيبلة . سَفاة . شَعاعة . — ج ٤ ص ٥٨ الشوكة Spicule . قلت الكلمة الفرنسية من Spicula اللاتينية أي السُنيبلة تحقير سُنبلة . وهي تطلق على قطع صغار صلاب كلسية او صوانية او قرنية على شكل إبرة او شوكة او صليب او نجمة او مرساة او غير ذلك . ومنها يتألف هيكل الاسفنج . وتوجد في غير الاسفنج كالشعاعيات . فتسمية واحدتها بالشوكة غير مستحسن ، لأن الشوكة تستعمل لمسميات أخرى نباتية وحيوانية ذكر المجمع أحدها في ج٤ ص١١٩ فقال (شوكة — Spine) ، ولأن هذه القطع قد تكون غير شائكة في بعض الحيوانات . فعلى هذا يرجح اما ترجمة Spicule بسنيبلة ، واما استعارة كلمة سفاة او شعاعة وهما بالفرنسية Barbe اي ما نسميه حسك السنابل في الحنطة والشعير وهما أصلح .

(٥٩) الجبلة . — ج ٤ ص ١٢ الجبلة الحيوانية Sarcode . قلت في معجم

التاريخ الطبيعي الذي كنت اشرت اليه ان هذه الكلمة مرادفه لكلمة Protoplasme اي الجبلة . فتكون لفظة الحيوانية زائدة .

(٦٠) جدار الخلية . — ج ٢ ص ١٣٨ القَيْض — جدار الخلية Cell wall . قلت هو جدار الخلية . اما القيض فقشرة البيضة اليابسة . ووضع كهذا على التشبيه لا يجيزه احد . وكنت متفقاً والدكتور امين باشا المعلوف على هذا الرأي . واظنه قد سبقني الى بيانه في المقتطف .

(٦١) شَذَاة لاسعة . — ج ٤ ص ٥٦ العَذَّام البقري glossi na morsitans .

قلت هذه الحشرة من فصيلة الذبّان Muscidés ورتبة ذوات الجناحين من الحشرات . امـا العذام فهو بالعربية البرغوث (القاموس) . والبرغوث من فصيلة البراغيث Pulicidés عديمات الاجنحة ، فهو بعيد عن الذباب . ولهذا وجب ان نفتش عن كلمة مهجورة من كلمـات الذباب فنطلقها على هذه الحشرة التي تسمى ذبابة تسي تسي Mouche Tsé - Tsé والتي توجد في افريقيا ولا توجد في بلاد العرب . فاذا راجعنا المخصص نجد فيه ان الشذَاة (ج شذاً) ذبابة تلسع الابل والكلاب والخيل وانها اسم عام على الذباب الخ . ولما كانت هذه الكلمة مهجورة على ما نعلم جاز لنا اطلاقها على جنس الذبابة التي نحن بصددها . ونعتها باللاسعة دلالةً على نوعها وترجمةً للكلمة العلمية الدالة على النوع . ولا وجه لنعتها بالبقرية لأن هذا النوع يلسع البقر وغير البقر من الحيوانات الدواجن .

وعلى ذكر هذه الذبابة نقول ان المجمع وضع كلمة عَذَّاميات امام Trypanosomes واذا جوزنا هذه التسمية يصبح اسم هذه الحيوانات المجهرية شَذَويات اي الحيوانات التي تنقلها ذبابة الشذاة . وهو تخريج بعيد عن الصواب . فلا الشذويات ولا العذاميات بصالحتين للدلالة على الحيوانات المذكورة . والأصلح ترجمة المعنى الاصلي لاسمها الفرنسي فهو من اليونانية Trupanê أي بَرِيمة ومِثقب وأُشرة ومِطوَى وغيرها ، ومن Sôma اي جسم . فعلى المجمع اذن ان يسميها بَريميـات او مثقبيات او أُشريات . ولعل الثانية أصلحها .

(٦٢) بعض الغلطات المطبعية :

جزء وصفحة	خطأ	صواب
٤ — ٥٢	Scuiridae	Sciuridae
٤ — ٢٣	vert émraude	vert émeraude
٢ — ١٥٤	Crustocea	Crustacea
٤ — ٥١	العالم الطِفليلي	العالم الطُفَيلي
٤—١٤	البَنقراس	البنقِراس

الخ . والبنقراس هذه تكتب بياء قبل الألف اي بنقرياس . ثم لا لزوم لها مادام يعرف لمدلولها اسماء عربية كالحلوة والمِقَد .

عود الى علم الحياة . — زارني أحد الاساتيذ النبهاء وقال لي انه لم يتبين الفرق بين قولنا علم الحياة وعلم الأحياء بمعنى Biologie . وكان امامي كتاب فرنسي في علم الخيل أقرأ فيه بحثاً عنوانه Biologie du cheval . فقلت له دع جميع الاسباب الجوهرية التي سردتها في أول كلمة من كلمات بحثي هذا [1] وأجبني بماذا تترجم هذا العنوان ؟ أو تقول معي علم حياة الفرس وهي الترجمة الصحيحة لفظاً ومعنى ، ام تقول مع مجمع فؤاد الأول علم أحيــاء الفرس ، او علم الفرس الأحيائي ، او علم الأحياء الفرسي ، او علم الاحياء المقتصر على الفرس او غير ذلك من التعابير التي تبعد عن الحقيقة ؟ فاكتفى الاستاذ بهذا المثال .

وقد وجدت اخيراً اصطلاحات أخرى فيها نظر ربما ذكرتها في الاجزاء التالية .

وأعود فأقول ان مجمع فؤاد الأول قد خدم العربية خدمة جلى ، وان امامه مجالاً لاصلاح الاغلاط وتعديل المصطلحات وفاقاً لقراره الحكيم في هذا الصدد . وفقنا الله واياه لخدمة لغتنا الضادية .

مصطفى الشهابي

(١) انظر ذلك في عددي ايار وحزيران من هذه السنة .

كلمة الاشتيام

قرأت في الصفحة ٢٤٥ من الجزء ٦ من المجلد ١٧ من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق كلمة للاستاذ المغربي عنوانها : كلمة الاشتيام في شعر البحتري . ولقد رأيته أغرب في مواطن من هذه الكلمة منها

١ — جعله احمد بن دينار رئيس المركب ورئيس الملاحين .

٢ — قوله ان البحتري أطلق لفظة الاشتيام على احمد .

٣ — تهكمه ببيت البحتري الذي فيه لفظ الاشتيام وتشبيهه اياه بقول القائل

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

٤ — قوله وليس شأننا في هذه العجالة ان ننقد ما عاث في شعر البحتري من الأغلاط وانما شأننا تحليل كلمة الاشتيام الواردة في شعره .

٥ — وهو أغرب ما فيها ما تكلفه من الوجوه لجعل الاشتيام محرفة عن الاشناء . ولا بد لايضاح الحقيقة الناصعة بحسب ما نراه من ذكر امور تتبين بها قيمة هذا البيت وقيمة القصيدة التي هو منها وقيمة الشاعر الذي نظمها .

البيت

ورد هذا البيت بروايات مختلفة فقد جاء في ديوان البحتري المطبوع في بيروت على هذا الوجه .

يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر

وهو الذي ذكره الاستاذ في كلمته هذه . ورواه ابو العلاء في عبث الوليد ص ١٠٣ والشريف المرتضى في أماليه ج ٣ ص ٥١ . دون الاشتيام .. وفوق السماط .. ورواه ابو هلال العسكري في ديوان المعاني ج٢ ص٦٣ دون الاستنام . وفوق السماط .. وروى صاحب نهاية الارب في ج ٦ ص ١٩٧ اكثر هذه القصيدة ولم يذكر هذا البيت .

ومما لا شك فيه ان في رواية العسكري دون الاستنام تحريفاً من النساخ . وان أقرب الروايات الى براعة البحتري وحذقه رواية المعري والمرتضى . دون الاشتيام

تفسير البيت

غض — يقال غض بصره وطرفه اذا خفضه وكسره ويقال غض طرفه اذا دانى بين جفونه ونظر . وغض الطرف بهذا المعنى من الصفات المحمودة ففي الحديث كان اذا فرح غض طرفه أي كسره وأطرق ولم يفتح عينه . يفعل ذلك ليكون أبعد من الأشر والمرح . ويقال فلان غضيض الطرف نقي الظرف والعرب تمدح بهذه الخلة قال الفرزدق:

يغضي حياء ويغضى من مهابته

وأغضى وغض بمعنى واحد أي دانى بين جفونه . وغض الطرف بين يدي العظيم امارة على الطاعة وحسن الادب وقد قال ابن عباس في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى . مازاغ البصر يميناً ولا شمالاً ولا جاوز ما أمر به . وعلى هذا المفسرون . وقال ابن قيم الجوزية في التبيان ص ٢٦١ نفى عن نبيه ما يعرض الرائي الذي لا أدب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام ... اذ لم يلتفت جانباً ... بل قام مقام العبد الذي أوجب ادبه اطراقه واقباله ... وهو مع ذلك يدل على عظمة من يغض الطرف دونه .

الاشتيام

ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من أهل اللغة لم يذكروا كلمة الاشتيام وان البحريين الذي يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام ولم يجزم بأنها عربية او اعجمية وانما قال اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وهمزتها حينئذ همزة وصل وبين وجه التسمية بالمصدر . وان كانت أعجمية فهمزتها همزة قطع وعلى الاول يكون في البيت زحاف . هذا كل ماذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الاصل وانما هي من وضع المتأخرين .

وقد قال صاحب اللسان الاشتيام رئيس الركاب وفي التاج رئيس الركاب والملاحين

السماط

جاء السماط بمعنى جانب الشيء وبمعنى صدر الوادي الى منتهاه وبمعنى الصف من الناس يقال قام القوم حوله سماطين اي صفين وكل صف من الرجال سماط

وقد ذكرنا ان البيت روي على وجهين . وقوف السماط . وفوق السماط

ونزيد الآن ان فاعل يغضون في هذا البيت لم يتقدم له مرجع معين في كلام البحتري فان كان يريد الملاحين فهو يصفهم بالادب وغض الطرف امام رئيسهم ووقوفهم له وقوف السماط بين يدي الامير المظيم احتراماً له هذا على الرواية الأولى : وقوف السماط وهذا معنى غير غث ولا مستهجن لأن المعروف ان الذين يقفون سماطاً للأمير يتأدبون أمامه ويعظمونه حتى جعلوا مثلاً على ما نبين لك من كلام ابن القيم السابق والملاحون قد يكونون على غير هذا الوجه ولذلك مدح البحتري هؤلاء ونعتهم بما يدل على الادب والاحترام امام الاشتيام .

وعلى الرواية الثانية : وفوق السماط يكون المعني انهم يغضون ابصارهم في موضعين أمام رئيسهم الاشتيام . وبين يدي الامير فوق السماط اي جانب السفينة أو ما بين صدرها ومنتهاها .

وان كان البحتري يريد الجند والمقاتلين الذين معه في السفينة فهو يصفهم مع شجاعتهم باحترام الاشتيام وغض العيون بين يديه ووقوفهم له وقوف السماط للامير على الرواية الاولى . ويصفهم بغض العيون في موضعين كما تقدم على الرواية الثانية . وقد جاءت كلمة دون بمعنى امام وقدام

ومثل هذا التشبيه لا ينكر ولا يعاب الا تري انك لو قلت تلاميذ فلان او بنو فلان يقفون بين يدي استاذهم او ابيهم وقوف السماط للامير العظيم ويغضون أبصارهم امامه لكان ذلك حسناً مستحسناً . ومن هذا يتبين لك ان بيت البحتري هذا لا يشبه قول القائل : (كأننا والماء من حولنا .) بوجه من الوجوه على أي تأويل أولته او محمل حملته

الاغلاط في البيت او القصيدة او شعر البحتري

اذا تأمل الانسان قول الاستاذ ... وليس من شأننا في هذه العجالة ان ننقد ما عاث في شعر البحتري من الاغلاط ... خيل اليه ان شعر البحتري كله غل قمل اوجرح نغل او أديم تعيث فيه الديدان والقردان . وقد استعرضت ابيات هذه القصيدة كلها وأعدت النظر فيها مرة بعد أخرى فما رأيت فيها شيئاً من الغلط ولا من السقط وانما كنت أرى فى كل بيت نوعاً من الروعة والجمال يخيل الي ان

الحسن انتهى اليه ووقف عنده فما له متقدم عنه ولا متأخر فاذا انتقلت الى البيت الذي يليه انتقل هذا الظن اليه واعتقدت فيه ما اعتقدته في سابقه فلما انتهيت الى آخر القصيدة وجدتها كأنها حديقة غناء تضم انواعاً من الازاهير الجامعة بين الألوان الرائعة والريح الطيبة وفيها من حسن الترتيب والتنسيق والبراعة في الصناعة مالا يستكثر مثله على البحتري ولا يتأتى لغير البحتري

القصيدة في رأي المتقدمين

ولقد رأى مثل ما رأيت وفوق ما رأيت في هـذه القصيدة من الروعة والدقة والاحكام والجودة وجمال الديباجة وحسن التشبيه والاستعارة وغير ذلك من ضروب المحاسن وأنواع المحسنات جماعة من المتقدمين من اعلام الادباء وجلة العلماء العارفين دقائق الصناعة والواقفين على اسرار البلاغة منهم عبد الله بن المعتز وابو هلال العسكري والشريف المرتضى والخليفة المكتفي بالله وجماعة كثيرون .

قال ابو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني ج ٢ ص ٦٣ ولم يصف احد من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب الا البحتري أخبرنا به ابو احمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحتري الا قصيدته السينية في وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها . وقصيدته في البركة . ميلوا الى الدار من ليلى نحييها . واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها وقصيدته في دينار [١] بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه احد قبله اولها : (ألم تر تغليس الربيع المبكر) ووصف حرب المراكب في البحر لكان اشعر اهل زمانه فكيف اذا اضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه وكان كثيراً ما ينشد له ويعجب من جودته

غدوت على الميمون صبحاً وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر
اذا زمجر النوتي فوق علاته رأيت خطيباً في ذؤابة منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر

(١) كذا في ديوان المعاني .

وقال في نهاية الارب ج ٦ ص ١٩٧ بعد ان نقل شيئاً من كلام العسكري ..
وعدوا قصيدته هذه من عيون قصائده وفضلوها على كثير من الشعر ...

اما شعر البحتري فمن الاسراف ان نذكر ما قاله العلماء والائمة في مدحه واطرائه وكتب الادب طافحة بما يغنينا عن الاطالة فيه وهذا ما حملنا على ان ننكر على الاستاذ المغربي كلمته المتقدمة على ما فيها من الايهام والابهام

ويزداد انكارنا عليه في هذه القصيدة المقولة في غرض لم يتقدم ابا عبادة احد من الشعراء في ابتكاره ولم يشق احد من المتأخرين غباره فيه ·

واذا استطاع ابو العلاء واضرابه ان يعثروا على بعض الخطأ في كلام البحتري · فليس ذلك بمسوغ ان يقال ان الاغلاط تعيث في شعره والمثل يقول لا تعدم الحسناء ذاما والآخر يقول كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

أما ما ذكره ابو العلاء في عبث الوليد في هذا البيت فخلاصته ان لفظ الاشتيام اذا كان عربي الاصل فان همزته همزة وصل وعلى هذا التقدير فان في البيت زحافا · ونحن نقول يلزم على التقدير المذكور أحد امرين اما قطع همزة الوصل في اشتيام وحينئذ يسلم الحشو من الزحاف ويبقى في العروض وهو واجب · واما ابقاؤها وصلية وحينئذ يكون الجزء الثاني من الحشو والعروض مقبوضين · وكلاهما وقع في كلام المتقدمين اما الاول فكقول قيس بن الخطيم

اذا جاوز الاثنين سر فانه   بنث وتكثير الوشاة قمين

وقول جميل

ألا لا أرى اثنين احسن شيمة   على حدثان الدهر مني ومن جمل

وقول الآخر

مناقب في الجلاح كانت قديمة   فسار عليها ابنه يتتبع

وأما الثاني فكثير في كلام العرب كقول امرئ القيس في معلقته

أصاح ترى برقاً أريك وميضه   كلمع اليدين في حبي مكلل

ومر على القنان من نفيانه   فأنزل منه العصم من كل موئل

وقوله في سينيته

مغرثة زرقًا كأن عيونها من الذمر والايحاء نوار عضرس

وقوله في تائيته

وعنس كألواح الإران نسأتها على لاحب كالبرد ذي الحبرات

وقوله في رائيته

كأن صليل المروحين تشذه صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقوله في ضاديته

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيض

وقوله في نونيته

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا وان

وقوله في بائيته

كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله في لاميته

ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

وقول طرفة

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقول النابغة في بائيته

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار اجرب

وقوله في عينيته

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت اني المنتأى عنك واسع

وقول الشنفرى

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل

وقول زهير في معلقته

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا اباك يسأم

الى غير ذلك من الأبيات التي لا تكاد تحصى وكلها وقع فيها قبض العروض والحشو الذي قبلها كما وقع في شعر البحتري على تقدير ان الاشتيام عربية وقلما سلمت قصيدة للمتقدمين والمتأخرين من ذلك ومنهم ابو العلاء واذا وعيت ما ذكرنا اتضح لك ان أبا عبادة احتذى على مثال الشعراء المفلقين وطبع على غرار النوابغ المفيقين . وان بيته هذا لم يعث فيه شيء من الاغلاط

أما قول الاستاذ المغربي . [احتمال ان تكون الاشتيام عربية احتمال بعيد . واستدلاله على ذلك بأمرين الأول ان المعاجم لم تذكر في مادة شام ان الاشتيام اسم لرئيس المركب . . . والثاني ان اشتام البرق لم يرد بمعنى شامه فهي في غالب الظن اعجمية . . .]

ففيه نظر من وجوه منها ان كتب اللغة لم تحط بكل مفرداتها وكثيراً ما استدرك اللاحق على السابق ومنها ان اكثر كتب اللغة لا تستوفي ذكر المشتقات . ومنها ان اللغويين كثيراً ما يغفلون ذكر الكلمة في مادتها ويذكرونها في غيرها عرضاً أما الأول فلا يحتاج الى تمثيل ولا الى اقامة دليل وأما الثاني فمثاله لفظة تكشر فانها وردت في قول الفرزدق

فقلت له لما تكشر ضاحكاً وقائم سيفي من يدي بمكان

ولم يذكرها اللسان ولا القاموس ولا التاج ولا الصحاح ولا المصباح ولا الاساس ولا النهاية ولا مختار الصحاح ولا مفردات الراغب ولا . ولا . مع أنها مشتقة من المزيد على الثلاثي بحرفين

ومثال الثالث لفظ الخصائص فقد ورد في نهج البلاغة في خطبة لعلي رضي الله عنه وسمى به جماعة من العلماء كتبا لهم منها : خصائص في فضل علي رضي الله عنه للنسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ومنها خصائص الطرب لكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ ومنها الخصائص لابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ ومنها خصائص السواك لأبي الخير احمد القزويني ومنها الخصائص النبوية للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ وغيرها .

وان أصحاب كتب اللغة المذكورين آنفاً لم يذكروها في مادة خص . وانما ذكرها

كل من صاحب اللسان والتاج والنهاية في مادة ضن فهي شبيهة بالاشتيام من هذا الوجه

ولو كان ابو العلاء يعلم انها غير جائزة لذكر ذلك عند كلامه على هذا البيت واذا كان ابو العلاء يجهلها على شدة اضطلاعه وسعة اطلاعه وطول باعه فان رحمة الله التي وسعته لا تضيق عن البحتري اذا جهلها وهو أقل منه اطلاعاً على اللغة وانزر حفظاً لفصيحها وغريبها ·

على ان الاستاذ المغربي ذكر في مقالته هذه لفظ تحليل في ص ٢٤٦ سطر ٢ و ١٤ وأعادها في ص ٢٤٧ سطر ٤ وكذلك ذكر لفظ المعاجم ص ٢٤٦ سطر ٣ وص ٢٤٧ س ٦ وذكر لفظ العجالة ص ٢٤٦ س ١ ولم يذكر احد من اللغويين الذين سبق ذكرهم واحداً من تلك الالفاظ بالمعنى الذي يريده الاستاذ منه ولا وقع في كلام أحد ممن يوثق بعربيته فهلا وسع البحتري في كلمة واحدة ما وسع الاستاذ في ثلاث كلمات وكلمة البحتري أقرب الى الصحة منهن · واذا كانت الاغلاط تعيث في شعر أبي عبادة من أجل كلمة واحدة فماذا يجب ان يقال في مقال الاستاذ وفيه اكثر من كلمة والبحتري في شعره مقيد بوزن وقافية وليس في قصيدته شيء من كلام غيره

وبهذا القدر يظهر ان الاستاذ أسرف في الغض من كرامة البحتري واشتط في الحكم عليه وعلى شعره · هذا ما يتعلق بالاشتيام والبيت الذي ذكر فيه والقصيدة التي هو منها

هل كان أحمد بن دينار رئيساً للملاحين

ذكرنا ان الاستاذ المغربي جعل احمد بن دينار رئيس المركب مرة ورئيس الملاحين أخرى وقال · ان البحتري اطلق لفظ الاشتيام عليه ·

ولم أر احداً ذكر ان احمد بن دينار كان رئيساً للملاحين في المركب وان ما وقع في كلام القوم لا يدل على ذلك ·

فقد قال الشريف المرتضى انه غزا الروم في مراكب · ولا يتأتى بحسب العرف ان يكون رجل واحد رئيساً للملاحين في مراكب بل في مركب واحد

وفي ديوان البحتري · وقال يمدح احمد ··· ويصف مركباً كان اتخذه وهو والي البحر وغزا فيه بلاد الروم ·

وقال البحتري في هذه القصيدة .. ولما تولى البحر .. وحولك ركابون للهول .. تميل المنايا ... اذا أصلتوا حد الحديد .. اذا رشقوا بالنار .. صدمت بهم صهب العثانين ... تقارب من زحفيهم ...

والمعروف ان الذي يقاتل في البحر أمير الجند بالجند لا رئيس الملاحين بالملاحين لأن هؤلاء يعملون في تسيير السفينة لا في مقاتلة الاعداء

وكثيراً ما وقع في كلام المتقدمين ، غزا فلان البحر وغزا فلان جزيرة كذا وهم يريدون انه كان أميراً او رئيساً للغزاة لا للملاحين قال ياقوت ارواد جزيرة غزاها المسلمون مع جنادة في أيام معاوية ، وقال احمد بن جابر غزا جنادة بعد فتحه جزيرة أرواد اقريطش ، وقال ياقوت غزاها حميد بن معيوف ، وقال ياقوت غزا معاوية قبرس وردوس .. ولم يحدثنا التاريخ ان معاوية كان ملاحاً ولا رئيساً للملاحين

فاذا عرفنا هذا تبين لنا ان احمد بن دينار كان والي البحر ورئيساً او أميراً على الجند الذي كان يحارب به الروم وليس رئيساً للملاحين ولا اشتياماً

جعل أشنا أصلاً لاشتيام

لقد أفاض الاستاذ في البحث عن أصل كلمة اشتيام وردها الى اشنا الاعجمية ولكن ما ذكره من المراحل التي قطعتها هذه الكلمة في نشأتها وما تعاقب عليها من الأطوار من تنكير وتعريف وتغيير وتحريف وزيادة ونقص وتحويل الهمزة الى ميم ذات ذنب قصير ونحو ذلك من ضروب العمليات كله قائم على الظن لا يعهد له نظير فيما عرب من الالفاظ الاعجمية ولو ساغ مثل هذا في الاشتيام لجاز لنا ان نقول انها محرفة عن الاستيار بمعنى الامتيار او الاستيار المأخوذة من معنى السير ، او الاشتيار بمعنى أخذ العسل من خلاياه او ، او ..

ولكان جعلها محرفة عن مثل هذه الكلمات أقرب الى فهم ما يراد منها وأقل تكلفاً وتغييراً وتحويلاً مما ذكره ،

على أننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا التأويل والتطويل هذا ما بدا لي في كلمة الاشتيام وعسى ان يكون بريئاً من الغلط بعيداً من الشطط ان شاء الله تعالى

سليم الجندي

ردنا على المقال السابق

من أسوء ما نشكو ونألم منه عقم مناظراتنا العلمية . واصرافنا عنها الى الإطالة في ما لا علاقة له بموضوعها . ولا يحقق الغرض منها . ويكاد يكون ردّ الاستاذ الجندي علينا من أوضح الأمثلة على ذلك :

كتبنا اربع صفحات في الجزء الماضي مهدنا فيها الطريق الى الاستنجاد بالزملاء على معاونتنا في تعيين اللغة التي أُخذت منها كلمة (الاشتيام) الواردة في شعر البحتري إن كانت أعجمية . ومن أي مصدر اشتقت إن كانت عربية . فكتب الاستاذ الجندي زهاء عشر صفحات لا في معاونتي على ما طلبته منه وانما هو (فتح جبهات) جديدة في الجدل حول مسائل لغوية وأدبية وعروضية وتاريخية لا ناقة لموضوع مقالي فيها ولا جمل . ولا يخطر في بال أحد أن أكون ممن يشك أو ينازع فيها . وفوق ذلك ان الاستاذ نسب اليَّ أشياء لم أقلها : مثل أن في بيت البحتري عيباً عروضياً . وردّ عليَّ بان في أشعار البلغاء مثله . وذكر سبعة عشر بيتاً فقط شاهداً على ما قال . وأنا غافل القلب عن هذا البحث بل ربما كنت أعتقد اعتقاده فيه .

أما كلمة (الاشتيام) نفسها التي أتساءل عنها وعقدت مقالي لأجلها فلم يهتم الاستاذ بها ولم يرد أن يُتعب نفسه في استقصاء البحث عن أصلها او بيان شيء جديد مفيد غير ما قلته ورويته عنها :

قلت في مقالي المذكور ان الاشتيام يكون بمعنى رئيس المركب كما يكون بمعنى رئيس الملاحين وتساءلت أعربية هي ؟ ونقلت عبارة ابي العلاء المعري في (عبث الوليد) وقد صرح فيها باحتمال أن تكون أعجمية . فرجحت أن تكون أعجمية من اصل فارسي . وخطر لي احتمال أن تكون محرفة من كلمة (الآشنا) بمعنى الخبير بالسباحة . ولم ارد بذلك الا تمهيد الطريق بين يدي الباحثين إلى معرفة الحقيقة بدليل ما قلته في ختام مقالي وهو : (نعتمد على هذا الحل في تحقيق كلمة (الاشتيام) ريثما تقع على نسخ أخرى لاشعار البحتري ومخطوطات ديوانه أو على نصوص في كتب اللغة غير التاج واللسان تبين منها

حقيقة كلمة (الاشتيام) واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة) فالاستاذ الجندي شُغل عن معاونتي بنقد كتابي التي جاءت عرضاً في تمهيدي ومقدماتي . وانتهى من معرفة (الاشتيام) الى مداورتنا على الجهل بها . وان نبقى على الحيرة من أمرها . بدليل قوله في ختام رده علينا وهذا نصه بالحرف (على اننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا التأويل والتطويل) ثم قال (هذا ما بدا لي في كلمة (الاشتيام) . وبذلك انتهى مقاله .

أما ما ذكره ابو العلاء وقال الاستاذ الجندي ان فيه غنية (او فيه رقية !) فهو قوله وننقله من مقاله (ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من اهل اللغة لم يذكروا كلمة (الاشتيام) وان البحريين الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب (الاشتيام) ولم يجزم ابو العلاء بأنها عربية او اعجمية وانما قال : اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وان كانت اعجمية فهمزتها همزة قطع) ثم قال الاستاذ الجندي (وهذا كل ما ذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الأصل انتهى) هذا رأي ابي العلاء الذي ينصح لنا الاستاذ الجندي أن نستغني به ثم لا نعيد ولا نبدي . ولكن اساطين نهضتنا الحاضرة يريدون منا غير هذا التحقيق عن آثار السلف وتحرير نصوصها كي يتسنى لنا ان نبني ادبنا الجديد عليها على مثال ما فعله الاب انستاس الكرملي في تحقيق كلمة (الاشتيام) : فانه قد ارسل الى ادارة المجمع مقالاً مسهباً لم يخرج فيه عن صدد تحليل تلك الكلمة . وقد وصل الينا مقاله مع مقال الاستاذ الجندي وسننشره له في الجزء القادم . وهذا ما قاله الاب (ان في كتاب العين وهو اقدم معجم عربي ما نصه (والاشتيام رأس ملاحي السفينة وهو بالنبطية اشتياما اه) اي بألف مقصورة في آخره

* * *

آن ان اختم القول وادع الاطالة لئلا اقع في ما نهيت عنه . غير ان هناك ثلاث مسائل أرى من الواجب ان انصف نفسي فيها ما دامت قد حُرمت انصاف الآخرين فاذكرها بايجاز وهي :

١ — لم آت نكراً مذ قلت ان الاغلاط تعيث في اشعار البحتري وهذا ابو العلاء المعري ألف كتاباً خاصاً عدّد فيه أغلاط البحتري في نحو اربعمائة بيت من شعره وسماه(عبث الوليد) . والعبثُ وصفُ سوء ابشع من وصف الغلط . بل كان (ابو العلاء) احياناً يذكر في كتابه اغلاط البحتري ويعبر عنها بقوله (عجائب) : عابه في زحاف عروضي مرةً ثم قال ما نصه (ولأبي عبادة (البحتري) في شعره عجائب وما أظنه كان يستحسن مثل هذا الزحاف على ان الكسر وجد في ديوانه وهو شرٌّ من الزحاف) (راجع عبث الوليد النسخة الفوتوغرافية المحفوظة في المجمع ص ٩٩)

واذا قلنا ان في شعر البحتري اغلاطاً كثيرة لا نعني ان كلها منه بل ان القليل منها منه والكثير من نساخ اشعاره . واشعاره تبلغ (١٥) الف بيت تعاورتها أيدي النساخ اكثر من الف سنة فليس العجيب ان تقع فيها اغلاط بل العجيب أن لا تقع .

٢ — بيت :

(يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر)

ليس فيه تشبيه الشيء بنفسه كذا يقول الاستاذ الجندي . ويكون قوله صحيحاً اذا أردنا من معني (الاشتيام) رئيس الملاحين . وهو يرى ان رئيس الملاحين واحد منهم فلا يوصف بالعظمة . فيكون المعنى ان الملاحين من فرط تأدبهم يحترمون الاشتيام كما يحترم الناس أمراءهم العظام . وهو قول وجيه ومع هذا يمكن الردّ عليه بأن رئيس الملاحين عظيم في نفوس اتباعه أيضاً فتكون شبهنا احترامهم لعظيمهم باحترام الناس لعظيمهم . وهل هذا الا تشبيه الشيء بنفسه . اما اذا اريد بالاشتيام معناه الآخر وهو (رئيس المركب) الذي يدير حركة القتال فيه كان المراد به اذ ذاك الامير احمد بن دينار : فقد كان رئيس المقاتلين لا رئيس الملاحين واذ ذاك تكون هجنة تشبيه الشيء بنفسه في البيت أبين وأظهر . اذ يكون المعنى ان المقاتلين يحترمون رئيس مركبهم العظيم كما يحترم الناس رؤساءهم العظام . وليس البحتري بمعصوم عن زلة تشبيه الشيء بنفسه : فقد سبق له ان شبه الاثافي بالاثافي : ذكر ابو العلاء في كتابه (عبث الوليد) أن البحتري قال في القصيدة التي اولها :

(أَلِما فاتَ من تلاقٍ تلافِ أم لشاكٍ من الصبابة شافِ)

ثم قال: (وأثافٍ أنت لها رِججٌ دو ن لظى النار — مُثَّلٌ كالأثافي)

فاستشكل ابو العلاء تشبيه الاثافي بالاثافي . وأراد الاعتذار والتلافي . فقال (اذا صحت الرواية على هذا فالمعنى كذا وكذا . ثم اخذ في تأويل هذا العبث أو الغلط كما يفعل الشراح اذا رأوا في النصوص ما يدعو الى تأويلها . ولكن تأويل الغلط لا ينفي عنه وصف الغلط . وبالجملة فان بيت البحتري : يغضون الخ اذا لم يكن من تشبيه الشيء بنفسه كما يرجح الاستاذ الجندي فهو قريب منه

٣ — يرى الاستاذ اننا عبنا البحتري في استعماله كلمة (الاشتيام) وهي لم تذكر في كتب اللغة ليتوصل بذلك الى نقدنا في استعمال كلمات (العجالة) و (المعاجم) و(التحليل) في مقالنا وهي مما لا يعرفه علماء اللغة . أما نحن فلم نعب البحتري باستعمال (الاشتيام) قط وانما اشكل علينا أصلها كما اشكل على غيرنا . والكلمات الثلاث المعدودة من اغلاطنا ظاهرٌ عنا عارها : فالعجالة كلمة فصيحة في المعنى الذي استعملناها فيه . فليراجعها القارئ في الصحاح يجده يقول (العجالة بالضم ما تعجلته من شيء) ونحن استعملناها في ما تعجلناه من الكلام . والكلام شيء : قال في (الجوهرة) (والشيء عندنا هو الموجود) . اما كلمة (المعاجم) فقد اصطلح المتأخرون على تسمية كتب اللغة والتراجم بها لأن مواد الكلم فيها مرتبة على حروف المعجم . وهل أحد منا لا يستعمل كلمة معجم ومعاجم قولاً وكتابةً . ونسي الاستاذ ما سمي بالمعاجم من مصنفات كبار علمائنا كمعجم الادباء والبلدان ومعجم ما استعجم الخ وان لم نقل معاجم نقل (قواميس) وهل نكون آمنين من النقد اذا قلناها يا ترى ؟

وأما كلمة (تحليل) فاصطلاح علمي قديم وهو جائز الاستعمال من دون نكير كسائر الاصطلاحات العلمية وليراجع القارئ كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) ص ٣٨٦ فان فيه مايدل على ان استعمال كلمة (التحليل) اصطلاح لاسلافنا من أطباء ومناطقة وغيرهم وهو عند الكيماويين بمعنى ارجاع المادة الطبيعية الى عناصرها الاصلية . وقد استعار كتابنا المعاصرون كلمة التحليل واستعملوها في ارجاع الكلمة اللغوية الى معانيها المعقدة المختلفة . ولم تزل كلمة (التحليل) مستعملة الى اليوم في

معاهدنا العلمية وعلى ألسنة اساتذة الكيمياء خاصة . واتفق لي بالامس ان صادفت طالبي تجهيز بيدهما دفتر كيمياء فاذا فيه ما نصه بالحرف (هدف التحليل المباشر هو فصل المركبات المختلفة الموجودة في المواد العضوية بحالة خليط الخ . ولكل علم حتى علوم الدين اصطلاح لا يعرفه العرب ، سئل اعرابي : أتهمز الفارة ؟ أي أتلفظها بالهمزة . قال الهر يهمزها . اي يشد عليها ليأكلها . وهذا معنى الهمز في اللغة . ولو سألت ذاك الاعرابي عن إعراب (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) لقال متعجباً : إن معناه من الوضوح بحيث لا يحتاج الى إعراب . لأنه يفهم من كلمة الاعراب معناها اللغوي وهو الابانة والافصاح عن الشيء أما معناها الاصطلاحي التعليمي فهو تطبيق القواعد النحوية على جملة ما . وهذا مما يجهله العرب . وكم تظنون الاستاذ الجندي استعمل كلمة (الاعراب) الاصطلاحية وهو يعلم اللغة العربية ؟ تقولون مئة الف مرة . أقول بل اكثر قليلاً . يستعمل الاستاذ كلمة (الاعراب) بألوف المرات ويلومني على استعمال (التحليل) ثلاث مرات فقط . وهذا ابن أبي الحديد يقول في خاتمة شرحه لنهج البلاغة : «وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمي بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم الخصوصيات وقولهم (الكل والبعض) وقولهم (الصفات الذاتية) وقولهم (الجسمانيات) وقولهم (أما اولاً فالحال كذا) ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب . ولكننا أستهجنا تبديل ألفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم اه» . وكنت استفتيت أعضاء مجمعنا العلمي في الكلمات غير القاموسية . ومنها كلمات الاصطلاحات العلمية . فأجمعوا على جواز استعمالها وهم (١٨) عضواً . فيهم الاسكندري والكرملي والنشاشيبي والخضر . ويكفي ان تذكر اسماؤهم فتذكر بجانبها الغيرة الملتهبة على اللغة . وقد سكت بقية الاعضاء عن الجواب على سؤالي ومضى على ذلك عشر سنين فاكتسبت الكلمات الاصطلاحية الصفة القانونية وحق الاستعمال كما يستعمل الكلام الفصيح (راجع مجلة المجمع مجلد ١٢ ص ٥٢٧) و (مجلد ١١ ص ٤٣٢)

المغربي

نصاب الاحتساب

١ — تمهيد

ليس الغرض من كتابة هذا الفصل ، أن نتكلم على الحسبة ذاتها ، أو أن نصف ما كان يناط بأربابها من الاعمال والواجبات ، أو ما كانوا يؤدونه لبلادهم وأمتهم من جليل الخدمات . فتلك أمور قد سبقنا الى البحث فيها جماعة من أفاضل العلماء والكتاب ، فوفوها حقها من العناية بها وتحقيقها .

ونحن نرمي الى التعريف بأحد التصانيف العديدة الموضوعة في هذا الباب ، ونعني به كتاب « نصاب الاحتساب » الذي وقفنا على بعض نسخه بنفسنا ، وعلى الباقي — وهو الاغلب — بمراجعتنا فهارس المخطوطات العربية لدور الكتب الكبرى في بلدان الشرق والغرب .

٢ — مؤلف الكتاب

جاء في مستهل مخطوطة المتحف العراقي لهذا الكتاب ، أن اسم المؤلف « عمر بن محمد ابن عوض السنامي » . وفي هامش تلك الصفحة ما يفيد أن « السنامي » نسبة الى قرية قريبة من بخارى اسمها سنام .

وقد أغفل كتبة الأنساب ، كالسمعاني وابن الاثير والسيوطي ، ذكر هذه النسبة . وقد رجعت الى كتب البلدان ، فألفيت بعضها يذكر « سناماً » بكونها قلعة في ما وراء النهر [1] ، كما وجدت بعضها الآخر يقول إنها جبال هنالك أيضاً [2] .

والغريب ، أن لفظة « السنامي » قد تلاعبت بها أيدي النساخ أيما تلاعب ، فجعلتها تقرأ في أوجه متغايرة : فهي في بعض النسخ « السنامي » وفي بعضها الآخر

(١) كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (ص ٣٢٢) . ومعجم البلدان (٣ : ١٤٠ و ٣ : ١٥٥ من طبع الافرنج) . ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق (٢ : ٥٦ من طبع الافرنج ايضاً) . (٢) الأعلاق النفيسة لابن رسته (ص ٩٣).

« الشامى » أو « الشافعي » أو « الشيامي » أو « السنائي » أو « النسامي » ... ! وغير خافٍ ، أنّ هذه الالفاظ كثيراً ما يلتبس بعضها ببعضٍ ، خاصةً إذا أُهملَ إعجامُها .

وعلى كل حالٍ ، انا نرى أنّ « الشافعي[1] » أبعدهنّ عن الصواب ، خاصةً بعد أن صرح الحاج خليفة[2] بأنّ المؤلف حنفي كما سنذكره .

أما ترجمة المؤلف ، فلم نقف على أثر لها في المظانّ التاريخية أو تراجم رجال الحنفية التي بيدنا . وقد أسلفنا القول إن الحاج خليفة ذكر أنه كان حنفياً ، غير انه سكت عن ذكر سنة وفاته .

وفي الصفحة ١٤٠ من المخطوطة المذكورة هذه العبارة : « قال العبد[3] أصلحه الله تعالى : وقد ظفرتُ على هذا الحديث [كذا] بعد ان كنتُ اجلس للعامة في المنابر بتوفيق الله عزّ وجلّ ، اكثر من ثلاثين سنة ... »

ففي هذه العبارة ما يوضح ناحيةً من حياة المؤلف التي قضى منها نحو ثلث قرنٍ — وهو شطر لا يستهان به من حياة الانسان — في المنصب الذي ذكره .

وقد بدا لنا من مطالعة الكتاب ، ان المؤلف كان متوفراً على بحثه متمكناً من موضوعه ، وانه كثيراً ما يستشهد بآراء غيره ، ثم يردّ على بعضها فيما يرى انه الأصح .

وفي مطاوي الكتاب ، فقرات ذات علاقة بالمؤلف ، منها قوله[4] :

« قال العبد اصلحه الله : فبهذا الحديث[5] عملتُ في وقت اشتغالي بشيءٍ من الحسبة ، فكنتُ امرتُ ان لا يترك في المسجد الجامع يوم الجمعة صبي ولا مجنون ولا شيءٌ يباع من الماء والمروحة والمسواك وغير ذلك مما كان جرت العادة ببيعه قبل ذلك » .

أو قوله :[6]

---

(١) نسخة خزانة نور عثمانية باستانبول (وهي برقم ١٨٨٤) .

(٢) كشف الظنون (٦ : ٣٥٠ طبع لندن ، او ٢ : ٦٠٠ من طبع استانبول) .

(٣) قصد المؤلف بهذا نفسه . وهو يردّد هذه العبارة كلما أبدى رأياً خاصاً في مسألة من المسائل او عقب على رأي لغيره .   (٤) مخطوطة المتحف العراقي (ص ٣١) .

(٥) الحديث هو هذا : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم وبيعكم وشراءكم وإقامة حدودكم » .   (٦) المخطوطة (ص ٢٦) .

« قال العبد أصلحه الله : ولذلك كنتُ امنع الجصاصين عن اتخاذ مطبخ الجص بين سوق البزّازين » .

وكم تكون قيمة هذين النصين عظيمة ، لو ان المؤلف عين اسم البلدة التي ذكر مسجدها الجامع ، او سوق البزّازين فيها ؟

ويلوح لنا من بعض عبارات المؤلف ، انه كان صريحاً جريئاً ، لا تأخذه في قول الحقّ لومة لائم . انظر قوله[1] :

« ومما سنه القضاة في بلادنا الآن ، ظلم صريح ، وهو أن يأخذوا من الانكحة شيئاً ثم يجيزون اولياء الزوج والزوجة بالمناكحة ، فانهم ما لم يُرضوا بشيء من أوليائهما لم يُجيزوا بذلك » !

أو قوله الآخر الذي يندّد فيه بخطباء عصره[2] :

« وفي هذا الزمان نوعان من منكرات الخطباء : أحدهما انهم يقولون في خُطبهم من كلماتٍ يجب النهي عنها ، والثاني انهم يلبسون طيالسة[3] الحرير والنهي عنها واجب » .

أو قوله الآخر فيهم[4] :

« سئل داود الظاهري[5] رحمه الله تعالى عن الخطباء الذين يخطبون على المنابر يوم الجمعة ما قالوا في القاب السلطان فانهم يقولون : السلطان العادل ، والسلطان العالم الأعظم ، شهنشاه الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، سلطان الارض ، مالك بلاد الله ، ناصر عباد الله ، معين خليفة الله . هل يجوز ام لا ؟ قال : لا يجوز على الاطلاق والتحقيق ان بعض هذه الألفاظ كفر وبعضها كذب ... » .

(١) المخطوطة (ص ٢٧) . (٢) المخطوطة (ص ٣٩) .

(٣) الطيالسة : واحدها الطيلسان . ضرب من الاكسية . يقال : تطلست بالطيلسان وتطيلست . واللفظة فارسية الاصل وفي كتاب « الالفاظ الفارسية المعربة » لادّي شير (ص ١١٣) انه « كساء مدور اخضر لا اسفل له » ، لحمته او سداه صوف . يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ » .

(٤) المخطوطة (ص ٤٠) . (٥) فقيه اصبهاني الاصل ، قدم بغداد فسكنها وصنف كتبه بها . مات سنة ٢٧٠ هـ . وترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨ : ٣٦٩ — ٣٧٥) .

أو استمع الى نقده لأحوال سلاطين عصره حين يقول [١] :

« قال العبد اصلحه الله تعالى : ومن الظلم المعروف من السلاطين انهم يضربون دراهم في نوبتهم ويروجونها بين الناس بأكثر من قيمتها ، فاذا انتهت نوبتهم عادت قيمتها الى قدرها فيتضرر بها كثير من الناس . فانهم خصماء على ذلك الظالم يوم القيامة » .

أو قوله الآخر [٢] :

« وكان بشر [٣] رحمه الله تعالى يقول : تقبيل يد المأمون [٤] فسق .

قال العبد اصلحه الله تعالى : فلو كان بشر حياً في زماننا ويرى افعال أئمتنا عند دخولهم على ذي سلطان ، ماذا يقول في شأنهم ؟ ولما كان تقبيل ايديهم هكذا ، فكيف يكون تقبيل ارجلهم ؟ واسوأ من ذلك تقبيل حافر الفرس إذا اعطى السلطان واحداً فرسه ! » .

او انظر الى انتقاصه المجتمع وانتقاده ما كان يغلب عليه من جهل وخرافات ، حين يقول [٥] :

« قال العبد اصلحه الله تعالى : ونستدل بهذا الحديث [٦] ، على منع الناس ان يعلقوا على اولادهم التمائم والخيوط والخرزات وغير ذلك مما يختلف انواعه ويظنون ان ذلك ينفعهم او يدفع عنهم العين او مس الشيطان ونحو ذلك . وهي نوع من الشرك اعاذنا الله تعالى من ذلك ، فان النفع والضر بيد الله تعالى لا بغيره . بخلاف الرتيمة وهي الخيط الذي يربط بالاصبع او بخاتم للتذكر فانه لا بأس به للحاجة » .

وفي النبذة التالية ما يقفك على رأيه في المعتزلة [٧] :

« قال العبد اصلحه الله تعالى : ولما اطلعت على هذه الرواية ، بأن كتب

(١) المخطوطة (ص ٦٠) . (٢) المخطوطة (ص ٩٩) . (٣) هو بشر بن الحارث المعروف بالحافي . كان ورعاً زاهداً . مات ببغداد سنة ٢٢٧ هـ . وترجمته معروفة في كثير من التصانيف . (٤) كان المأمون يقول : لم يبق احد في هذه الكور يستحى منه غير هذا الشيخ يعني بشر بن الحارث (انظر تاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٧٢) . (٥) المخطوطة (ص ٦٧) .

(٦) الحديث هو : « لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر اوغيره الا قطعت » .

(٧) المخطوطة (ص ٧٠) .

المعتزلة المشتملة على اعتقادهم وبيان مذهبهم الخبيث لا يجوز امساكها في البيت ،
فكان عندي الكشاف للزمخشري ، وفيه مذاهب الاعتزال في كل صفحةٍ وورقة ،
فأخرجته عن بيتي وما بعته بثمن !» .

والمهم ذكره هو اننا عرفنا من الفقرة الآتية احد اساتذته ، فقد قال [1] :
« قال العبد اصلحه الله تعالى : سمعت شيخي واستاذي الإمام العالم الكامل كمال
الدين السنامي طال عمره ، ان شاباً من اصلٍ بخاريّ سأل ... الخ »

ولم نقف على شيءٍ من ترجمة استاذه هذا . والذي يلفت الانظار في تسميته
هو لفظة « السنامي »

كما اننا لم نعثر في الكتاب من اوله الى آخره ، على ذكر تصنيف آخر لمؤلفنا .

ويلاحظ ، ان مصنف كتاب نصاب الاحتساب ، يستند في بحوثه الى
مؤلفاتٍ عديدة في التفسير والفقه والاحكام واللغة ، بالعربية والفارسية . واحدث
مراجعه يعود الى المائة السابعة للهجرة . والذي أحصيناه من تلك المراجع بلغ
الاربعين كتاباً ، نذكر منها :

١ — بستان العارفين : لأبي الليث السمرقندي الحنفي ، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ .
٢ — الملتقط في الفتاوى الحنفية : لناصر الدين السمرقندي (٥٥٦ هـ) .
٣ — شرعة الاسلام : لامام زاده (٥٧٣ هـ) .
٤ — المغرب في اللغة للمطرّزي (٦١٠ هـ) .
٥ — الفتاوى الظهيرية : لظهير الدين ابي بكر القاضي المحتسب ببخارى (٦١٩هـ) .
٦ — عوارف المعارف في التصوّف : لشهاب الدين عمر السهروردي (٦٣٢هـ) .
٧ — تذكرة الاولياء (بالفارسية) للشيخ فريد الدين محمد بن ابراهيم المعروف
بالعطار الهمداني (٦٣٧ هـ) .
٨ — سير الاتقياء (بالفارسية . وحين نقله من هذين الكتابين الأخيرين
وغيرهما من المؤلفات بالفارسية ، يورد النصوص بلغتها الأصلية [2]

(١) المخطوطة (ص ٧٣)

(٢) اقحم المؤلف ، في كتابه نصوصاً عديدة بالفارسية ، تفرقت في اكثر من ثلاثين موطناً .

ويؤخذ من النسخ الخطية المؤرخة لهذا الكتاب ان اقدمهن عهداً كتبت سنة ٩١٢ للهجرة . ويتضح من المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ان أحدثها توفي مؤلفه سنة ٦٣٧ هـ فتكون وفاة مؤلفنا اذاً ، داخلة في المدة المنحصرة بين سنة ٦٣٧ و ٩١٢ هـ

٣ – موضوعات الكتاب

افتتح المؤلف كتابه بهذا الكلام :

«الحمد لله الحسيب الرقيب على نواله ايماناً واحتساباً والصلاة على رسوله محمد وآله مالا يحصي كتاباً ولا حساباً اما بعد : فقد جمع عبده الغريق في بحر فضله الطامي ، عمر بن محمد بن عوض السنامي ، ألهمه الله تقواه فيما يكتسب ، ويجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب في تصنيفه هذا الكتاب ، وهو نصاب الاحتساب ، مسائل اختصت بالنسبة الى حسب منصب الحسبة ، من كتبٍ معتبرة بين الفقهاء ، ومعوّل عليها عند العلماء ، بعد ما تحمل في جمعه نَصباً ، وكمل في قيده نُصباً ، وصرف الى تنقيحه وتصحيحه مدةً مديدة ، وتكلف في ترتيبه وتهذيبه شدّةً شديدة ، ليكون للمبتلى به آية يعرف بها فيما يحتاج اليه غاية ، وهو مرتب على أبواب» .

وابواب الكتاب التي يشير اليها المؤلف ، عبارة عن اربعة وستين ، تتفاوت طولاً وقصراً . وقد بان لنا من مقابلتها بموضوعات بعض الكتب الأخرى في الحسبة ، انه تفرّد ببعضها دون غيره ، وفي هذا ما يزيد في قيمته . ولا نرى لتعريف ابواب هذا السفر خيراً من ان نذكر عناوينها بحسب ترتيبها فيه :

١ – تفسير اللفظين المتداولين في هذا الكتاب : الاحتساب والحسبة .
٢ – الاحتساب على من يستخفّ بالحروف والكواغد ونحوهما .
٣ – الاحتساب على المخنث .
٤ – الفرق [بين] المحتسب المنصوب والمتطوّع .
٥ – التعزير .
٦ – الاحتساب على الفقراء

٧ — الاحتساب على الظالم بإعانة المظلوم .
٨ – الاحتساب على النساء .
٩ — الاحتساب بسبب الغلمان .
١٠ — الاحتساب في الاكل والشرب والتداوي .
١١ — الاحتساب على اللعب .
١٢ — الاحتساب على القضاة واعوانهم .
١٣ — الاحتساب على من يتصرّف في المقابر بما يجوز وبما لا يجوز .
١٤ — فيمن يخبر المحتسب بالمنكرات .
١٥ — فيما يحتسب في المسجد .
١٦ — الاحتساب على من يحضر الندبة في المساجد والمقابر في اليوم الثاني والثالث من الموت وبيان ما فيه من الأمور المحرّمة والمكروهة .
١٧ — الاحتساب على الخطباء .
١٨ — الاحتساب على من حلف بغير الله تعالى او حلف فيه .
١٩ — الاحتساب على من تكلم بكلام الكفر .
٢٠ — الاحتساب على الوالدين والأولاد .
٢١ — الاحتساب في الخصومة الواقعة بين الجيران .
٢٢ — تفضيل منصب الاحتساب .
٢٣ — الاحتساب على من كشف عورته او نظر الى عورة غيره .
٢٤ — الاحتساب على من يُظهر القبور الكاذبة ويشبه المقابر بالكعبة .
٢٥ — الاحتساب بسبب الصورة في البيت .
٢٦ — الدراهم والدنانير وغيرهما من انواع الاثمان .
٢٧ — الاحتساب على اهل الذمة .
٢٨ — الاحتساب على المسافرين .
٢٩ — الاحتساب بالاحراق .

٣٠ — الفرق بين المحتسب والمتعنت ٠

٣١ — الاحتساب على من يكتب التعويذ ويستكتبه ٠

٣٢ — الاحتساب على من يأخذ شيئاً على الاحتساب من الناس ٠

٣٣ — الاحتساب في باب العلم والمعلم ٠

٣٤ — الاحتساب على السحرة والزنادقة والرقية [كذا ٠ والصواب والرقاة] ونحوهم ٠

٣٥ — الاحتساب فيما يجوز التصرف في ملك الغير وغير الملك عقاراً او عروضاً ٠

٣٦ — إطلاق البنج على المسلم والذمي وتعزير آكله وشاربه ٠

٣٧ — الاحتساب على من استعمل الذهب والفضة وغيرهما ٠

٣٨ — الاحتساب في الثياب ٠

٣٩ — الاحتساب على من ينظر بغير حلّ ٠

٤٠ — الاحتساب على أهل بيع الكعب المفضض من الرجال ٠

٤١ — الاحتساب على المماليك ٠

٤٢ — فيما يتعلق بمسائل الموتى ٠

٤٣ — إراقة الخمر وقتل الخنزير ٠

٤٤ — الاحتساب على اصحاب الزروع والباغات [١] ٠

٤٥ — الاحتساب على من يفعل في جسده او شعره او في اسمه بدعة ٠

٤٦ — الاحتساب في فعل البدع من الطاعات وترك السنن ٠

٤٧ — فيما يسقط به فريضة الاحتساب ٠

٤٨ — الاحتساب على المفرط في تواضع الناس ٠

٤٩ — الفرق بين المحتسب المنصوب وبين المحتسب المتطوّع [٢] ٠

٥٠ — بيان سبب انتساب الاحتساب الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ٠

---

(١) الباغات ، واحدها الباغ : لفظة فارسية بمعنى البستان (شفاء الغليل للخفاجي ، ص ٥٨ طبعة الوهبية : او ص ٤٢ طبعة الخانجي) ٠ ومعجم ردهوس :
Redhouse: A Dictionary of Persian, Arabic, and English [vol. I, Oxford, 1777, p. 334]٠

(٢) هذا هو غير الباب الرابع ، وإن تشابه عنوانهما ٠

٥١ — في أواني الخمر .

٥٢ — آداب الاحتساب .

٥٣ — الاحتساب على ما يظهر من البدع في البيوت ، وفي هجوم المحتسب على بيوت المفسدين بلا اذنهم .

٥٤ — فيما يمنع المحتسب عن الطريق ومالا يمنع

٥٥ — الاحتساب في الصلاة .

٥٦ — الاحتساب في الدواب .

٥٧ — الاحتساب على الطيرة والتكهن والتنجيم والتفاؤل ونحوها .

٥٨ — الاحتساب على الطباخ .

٥٩ — في بيان كلمات الكفر والمعصية .

٦٠ — الاحتساب على البدع في الانكحة .

٦١ — الاحتساب على بدع شعر الرأس .

٦٢ — الاحتساب على المذكر وعلى سامع التذكير .

٦٣ — الاحتساب فيما يقام به التعزير، وتعليق الدرّة [1] على باب المحتسب .

٦٤ — الاحتساب بالاخراج .

هذه هي أبواب الكتاب . وقد كان العلامة محمد كرد علي [2] نقل الباب الأول وقطعاً من بعض فصوله الأخرى ، عن النسخة التيمورية .

وللمؤلف إشارة الى ان كتابه مختصر ، حيث يقول [3] :

« ... وانه كثير لا يحتمله هذا المختصر » .

بقي علينا ان نقول انه ورد في تعليق على كشف الظنون [4] ذِكرُ كتابٍ آخر بعنوان « نصاب الاحتساب » للقاضي ضياء الدين البرني المحتسب من علماء بغداد ، وزاد المعلق عليه قائلاً ان هذا الكتاب هو غير الذي لعمر بن محمد بن عوض السنامي . ويغلب على ظننا ان كتاب البرني أخذته يد الضياع .

٤ — نُسخ الكتاب

لقد تتبعنا نُسخ هذا الكتاب ، وتعقبنا أثرها في قوائم المخطوطات العربية في

(١) الدرّة : السوط يضرب به . جمعها : الدرر . (٢) مجلة المقتبس (٣ [١٩٠٨] ص ٦٠٩ — ٦١٢) . (٣) المخطوطة (ص ١٢٧) . (٤) هامش الصفحة ٥٣ من المجلد الاول من طبع استانبول .

كثير من خزائن الكتب ، فأدّى بنا الأمر الى الوقوف على عشرين نسخة خطية من هذا الكتاب ، وهذه هي :

١ — نسخة المتحف العراقي ببغداد [١] : وهي في ١٤٦ صفحة ، في كل منها ٢٥ سطراً ، كتبت سنة ١٠٧٩ هـ بخط أحمد بن الشيخ علي القناوي .

٢ — نسخة خزانة الأوقاف العامة ببغداد .

٣ — نسخة دار الكتب المصرية [٢] : وهي بخط شمس الدين بن حجيج بن سعد الدين الحموي ، سنة ١٠١٠ هـ .

٤ — نسخة الخزانة التيمورية [في دار الكتب المصرية الآن] . كتبت سنة ١١٧١ هـ . في ١٣٤ ص . ذكرها الاستاذ محمد كرد علي في مصادر خطط الشام (١ : ١٤ ، الرقم ٦٣) كما انه استوفى الكلام عليها في المقتبس . وقد بينا ذلك آنفاً .

٥ — نسخة خزانة نور عثمانية باستانبول [٣] ، رقمها ١٨٨٤ .

٦ — نسخة خزانة اسعد افندي باستانبول ، رقمها ١٠٢٤ .

٧ — نسخة خزانة لاله لي باستانبول ، رقمها ١٢٣٠ .

٨ — نسخة الخزانة السليمانية باستانبول ، رقمها ٦٨٥

٩ — نسخة خزانة عاشر افندي باستانبول ، رقمها ٤٠٧ .

١٠ — نسخة الخزانة الحميدية باستانبول ، رقمها ١٠٦ .

١١ — نسخة خزانة فاتح باستانبول ، رقمها ٤٨٤ .

١٢ — نسخة خزانة الجمعية الآسوية البنغالية في كلكتة [٤] : برقم (Ac 72) ، تاريخها ١١٠١ هـ .

---

(١) النصوص الواردة في هذا البحث ، منقولة من هذه النسخة . (٢) انظر فهرست الكتبخانة الخديوية (٣ : ١٦٣) . (٣) لكل خزانة من خزائن كتب استانبول ، قائمة (بالتركية) تعرف باسمها ، ولم نجد داعياً لذكرها في الهوامش لوضوح أمرها .

(٤) Catalogue of the Arabic books and manuscripts in the Asiatic Society of Bengal, By Shamsu-l-'ulama mirza Ashraf 'Ali. [Calcutta, 1904, p. 20].

١٣ — نسخة الخزانة الشرقية في بانكي بور[١] بالهند : رقمها ١٠٩٣ ، وهي في ٢٣٥ ورقة صغيرة ، كتبت سنة ١٢٥٦ هـ

١٤ — نسخة الخزانة البارودية الكبرى في بيروت[٢] : في ٢٢٤ صفحة ، كتبها أحمد بن محمد القونوي سنة ١٠٣٩ هـ .

قلنا : هذه النسخة هي بعينها التي وُصفتْ في قائمة مخطوطات جامعة برنستن[٣] بأميركة ، برقم ١٧٧٥ حيث ذكر هنالك انها اقتنيت من البارودي في بيروت سنة ١٩٢٥

١٥ — نسخة خزانة المكتب الهندي[٤] بلندن : رقمها ٢٧٧ وهي في ٩٢ ورقة ، في الصفحة ١٩ سطراً .

١٦ — نسخة ثانية في خزانة المكتب الهندي بلندن ، رقمها ١٦٩٣ .

١٧ — نسخة خزانة برلين[٥] : رقمها ٤٨٠٤ . كتبت سنة ١٢٥٠ هـ في ١٤٩ ورقة .

١٨ — نسخة ثانية في خزانة برلين[٦] : رقمها ٤٨٠٥ . كتبت سنة ١٠٥٠ هـ في ٧٥ ورقة .

١٩ — نسخة الخزانة الآصفية في حيدر اباد الدكن : رقمها (١٢٢ فقه حنفي) وقد كتبت سنة ٩١٢ هـ وهي أقدم النسخ المعروفة .

٢٠ — نسخة ثانية في الخزانة الآصفية : رقمها (١٥٠ فقه حنفي) وهي غير مؤرخة .

٥ — ترجمة الكتاب الى التركية

ذكر الاستاذ المحامي عباس العزّاوي ، في بحثٍ له عن الحسبة[٧] ، ان هذا

(١) Catalogue of the Oriental public library of Bankipore. [vol. I., 1918, p. 108].

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٥ [١٩٢٥] ص ١٨٩) من مقال للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، في وصف خزائن الكتب العربية .

(٣) Descriptive catalog of the garret collection of Arabic manuscripts in the Princeton university library [1938, p. 528].

(٤) Loth: Catalogue of the Arabic manuscripts in the library of the India office. [London,1877, p. 67].

(٥) Ahlwardt: Verzeichniss der arabischen Handschriften zu Berlin [Band IV, 1892 pp. 251-252].

(٦) Ahlwardt, IV, 253.

(٧) الحسبة في الاسلام (مجلة العالم الاسلامي ١ [١٩٢١] ص ٥٠٦ — ٥١١) . وقد احصى الاستاذ العزّاوي في مقالته هذه عشر نسخ من كتاب نصاب الاحتساب ، منها سبع في استانبول واثنتان في بغداد وواحدة في القاهرة .

الكتاب تُرجم الى التركية غير مرة ، وان من هذه الترجمات نسخاً في خزائن كتب استانبول ، لم نرَ داعياً الى سردها هنا .

٦ — طبع الكتاب

ذكر مؤلف « اكتفاء القنوع »[1] بأنَّ كتاب « نصاب الاحتساب » طبع في كلكتة ، باعتناء العلامة اسبرنغر[2] . غير انه لم يُشر الى اسم مؤلفه او الى سنة طبعه .

أما سنة طبعه — اذا صحَّ ان يكون قد طبع — فيجب ان تكون قبل سنة ١٨٩٣ م التي توفي فيها اسبرنغر المذكور .

ثم جاء الباحث يوسف أليان سركيس[3] ومفهرسو مخطوطات جامعة برنستن[4] ، فتابعوا صاحب اكتفاء القنوع وقالوا انه مطبوع ، ولم يزيدوا على ذلك شيئاً قط .

وعبثاً حاولنا ان نقف على نسخةٍ مطبوعةٍ من هذا الكتاب في مكتبات الشرق ، بل اننا سألنا أشهر الكتبيين في اوربة ان يبحثوا لنا عن نسخة واحدةٍ منه بأيّ ثمنٍ كان ! غير انهم ابدوا أسفهم معتذرين لعدم وقوفهم على شيء من أمره . . !

ولقد رجعنا الى فهرس المطبوعات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني ، واستقرينا فيها جميع ما نشره اسبرنغر ، فاذا هذا الكتاب ليس فيها !

على اننا في شكٍ من صحة ما جاء في تلك المراجع الثلاثة المشار اليها ، خاصة أقدمها عهداً ، وهو اكتفاء القنوع ، الذي نقل عنه من جاء بعده . ولو سلمنا بكون هذا الكتاب قد نشر ، نعود فنتساءل : ما قولك في كتابٍ مطبوعٍ هذا شأنه من الندرة ؟ أليس الأحرى انْ يعاد نشرُهُ ويقابل طبعه على النسخ المتعددة التي ذكرناها ، ليعم نفعه القراء ، وتتيسر الاستفادة منه ؟

[بغداد] كوركيس عوّاد

---

(١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لادوَرد فنديك (ص ٥٠٦) .

(٢) A. Sprenger (٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص ٢٠٢٣) .

(٤) Descriptive catalog (p. 528).

صفحة من التاريخ الشامي لم يدون اكثرها

أتيح لي عام ١٣٥١ وانا بضيافة الشريف عباس آل مرتضى في دمشق الوقوف على مراسيم وسجلات خلفها اجداده من وثائق بعض الوقوفات ومن تثبيت لها في محاكم دمشق الشرعية وما الى ذلك مما له قيمته التاريخية وبعضها يمتد تاريخه الى عهد سيف الدين تنكز سنة ٧٣١ ه ومنها مجموع صغير الحجم دوّن فيه كاتبوه من أجداد الشريف شؤوناً خاصة وحوادث تاريخية واسماء رجال لم اعثر على ذكر لجلهم في كتب المؤرخين المتأخرين فرأيت اخراج هذه الصفحة المطوية التي لها صلتها بتاريخ تلك الايام بعبارة كاتبيها غير متصرف بشيء منها إلا بتنسيق الحوادث التي لم تنسق في المجموع حسب حدوثها في سنيها معلقاً عليها ببيان ما لم يعرض له المؤرخون او ما فيه بعض المخالفة لما دونوه منها .

مدينة بعلبك

موطن أشراف آل مرتضى فيها وفي دمشق وولاية اجدادهم نقابة اشرافها

إن موطن هذه الاسرة العريقة الاول هو مدينة بعلبك واول من عرف من قدمائها هو السيد حسن الحسيني . فقد جاء في تثبيت وقفية النبي نوح في الكرك المؤرخة في عام ٩٠٥ ما هذا ملخصه :

حضر لدى مجلس ابي المناقب شمس الدين محمد ابن مفتي المسلمين ملك الفقهاء والمحدثين المرحوم طاهر قاضي قضاة الاسلام وهو بمجلس حكم العزيز بدمشق حضرة الامير الجليل محمد ابن المرحوم الامير الجليل ناصر الدين المعروف بالحنش[1] الامير علي

(١) هو الامير سيف الدين ابو سعيد تنكز احد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولاه الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ ه ١٣١٢ م ثم تغير عليه السلطان عماد الدولة اسماعيل بن الناصر فقبض عليه وقتله في الاسكندرية في سنة ٧٤٤ ه هكذا جاء في التعليق على اسمه في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى واما ابن الوردي فقد ارخ قتله في سنة ٧٤٠ ه ... وقال : وله بدمشق والقدس وغيرها آثار حسنة واوقاف .

البقاع مع كرك نوح عليه السلام ونواحيها وأحضر معه مفخر السادة الاجلاء في الديار البعلية وامير السادة الاشراف الحسينية قدوة العلماء السادة الشافعية ودرتهم الباهجة المضية مولانا وسيدنا مفخر السادة الاجلاء الاشراف الكرام السيد علوان[1] ابن المرحوم شيخ الاسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين مولانا السيد علي ابن المرحوم شيخ الاسلام والمسلمين جامع الشرف والتقوى والدين مولانا السيد حسين وهو النقيب على السادة الاشراف الكرام والمتولي والناظر على اوقاف حضرة النبي نوح عليه السلام الى أن قال: وأن يكون ذلك متابعاً لما شرطه المرحوم المغفور له تنكز أمير الامراء بدمشق الشام سابقاً في وقفه رحمه الله تعالى المبرز من يد مولانا السيد علوان المزبور في المجلس فتأمله الحاكم المشار اليه ثم أمر بنقله حرفاً بحرف هذا الكتاب .

ومضمونه وقف سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي كافل ولاية دمشق الشام واحضاره معه لاجراء الوقف والتولية السيد حسين ابن السيد موسى ابن السيد علي الحسيني ما وقفه على حضرة نبي الله نوح عليه السلام الى أن قال :

وأشهد بذلك أي بما وقفه من القرى على وجوهها في العشر الاخر من ذي القعدة الحرام سنة احدى وثلاثين وسبعمائة من الهجرة وذكر شاهدا تثبيت هذه الوقفية كما يلي : شهد بذلك فخر الاماثل والاعيان الاميرحسن ابن الحرفوشي وشهد بذلك فخر الاماثل والاقران المقدم علي بيدمر .

وجاء في وقفية السيدة زينب المعروف مشهدها بقرية راوية من ضواحي دمشق واعمالها:

وكان المتقرب الي الله تعالى بهذا المعروف الذي لا يضاهى والعمل الذي اجوره ومثوباته لا تتناهى شيخ الفقهاء والاصوليين علم النحاة والمعربين شيخ الاسلام صدر مكة والمدينة والشام مولانا السيد الشريف حسين ابن المرحوم شيخ الاسلام علم الائمة الاعلام السيد الشريف موسى ابن المرحوم شيخ الاسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين السيد علي الحسيني الشافعي وهو النقيب على السادة الاشراف الكرام والناظر

(١) تتفرع منه اسرتا مرتضى في دمشق وبعلبك .

في الاحكام الشرعيـة وشيخ الفتوى والتدريس بمدينة بعلبك اعزه الله تعالى .

ثم ذكر اسماء ما وقفه ومنه بقرية الراوية البستان الكبير المشتمل على مقسمين شرقي وغربي . وجعل ولاية الوقف لنفسه مدة حياته وبعده لولده السيد علي ثم من بعـده لاولاده واولاد اولاده واعقابه وانسابه ابداً ما داموا للارشد فالارشد وسلم الوقف لولده هذا بعد ما جعله شريكاً له في أمر التوليه والنظر ليتم التسجيل وجرى ذلك في اواخر شهر ربيع الاول سنة ٧٦٨ ﻫ (١٣٦٦ م) .

اما ولاية رجال من هذه الاسرة نقابة اشراف مدينة بعلبك فليس لدينا مستند يحدد اول عهدهم بها ووقته ولكن ذلك لا ينفي أن تكون قديمة فيهم وكيف كان فان اول معروف فيهم وهو السيد حسين الحسيني كان نقيب اشراف بعلبك كما هو ظاهر من وقفية السيدة زينب سنة ٧٦٨ ﻫ ووقف نبي الله نوح الذي وقفه سيف الدين تنكز جاعلاً التولية له سنة ٧٦١ ﻫ (١٣٥٩ م) .

وممن ذكرت اسماؤهم في المجموع من نقباء الاشراف في بعلبك من هذه الاسرة :

[١] الشريف علوان جد فرعي بعلبك ودمشق من آل مرتضى رأيت بخطه كتاب الدرة المضية في شجرة انساب الحسنية والحسينية والجعفرية والعقيلية والعباسية والهاشمية تاريخ كتابته في عام ٩٤٥ وهو من تقدم ذكر تثبيت ولايته على وقف النبي نوح . توفي سنة ٩٤٥ ﻫ (١٥٣٨ م) عن خمسة وسبعين عاماً .

[٢] تولى النقابة بعده ولده السيد علي المتوفى سنة ١٠٣٠ ﻫ (١٦٢٠ م) .

[٣] وتولى بعده السيد محمد ابو طالب المتوفى في غرة شهر رجب سنة ١٠٨٦ ﻫ (١٦٧٥ م) .

[٤] وتولى بعده ابن عمه السيد زين العابدين بن علوان وانتقل اليه تعالى ليلة الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة سنة ١١٠٤ ﻫ .

[٥] وتولى النقابة السيد ابراهيم توفي في رابع سنة ١١٣٧ ﻫ (١٧٢٤ م) .

[٦] وتولى النقابة بعده ابن اخيه السيد حسن .

اما الحوادث المدونة في المجموع ، فانا نرويها بنصها :

قتل صالح آغا ابن صدقة في ابتداء سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م)[١]

ورد الامر بقتل اغاوات الوجاق لما طغوا وبغوا في سنة ١١٠٣هـ (١٦٩١) م وهم خليل بن طالو · وموسى آغا ابن الترجمان اسماعيل · ومصطفى آغا بن كيوان · وموسى آغا بن القوشجي · وسلمان آغا ابن الترجمان بن اسماعيل (؟) · ومجيد آغا ابن الديكي · وكان في الشام محمد باشا الكرجي وأرسلوا رؤوسهم الى السلطنة[٢]

ورد الامر بالنفير العام على الجبل وصارت الجمعية في البقاع من سائر الاطراف وتوجهوا جميعاً لدير القمر ونصبوا الامير موسى بن علم الدين مقام الامير احمد بن معن · وكان في الجمعية خمسة (؟) باشاوات منهم التفكجي محمد باشا واحمد باشا ومتسلم حلب وحاكم بلاد ديار بكر يقال له كوروا · وأرسلان باشا باشاوية طرابلس وهو صاحب الرأي منهم · وكان في الشام اسماعيل باشا ارسل متسلمه وذلك في سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣م)[٣]

ورد الامر السلطاني في نفي حضرة السيد عبد الكريم افندي النقيب الى طرابلس الشام في خامس شهر رمضان سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) ونفي معه سليمان افندي

---

(١) لم اجد ذكراً لصالح بن صدقة هذا ·والذي في خطط الشام في اخبار هذه السنة ··· انه لما عين كورجي محمد باشا اجريت عليه التنبيهات اللازمة ليطهر البلاد من اعيان قاموا باعمال شنيعة راضين علم الثورة فدعا الوالي تسعة منهم كما دعا الناصين محمد آغا صدقة ومحمد آغا قوشجي وبطش بهم وارهب غيرهم من الخوارج ·

(٢) لم نجد لهؤلاء ذكراً في غير هذا المجموع ·

(٣) وروى المطران الدبس في تاريخ سورية هذا الحادث كما يلي : وصدر الامر السلطاني الى اسماعيل باشا والي دمشق · ومصطفى باشا والي صيدا · واحمد باشا والي غزة · ومحمد باشا والي حلب بان ينهضوا مع ارسلان باشا والي طرابلس لقتال الامير احمد بن معن وازاحته عن الاعمال اللبنانية فاجتمع هؤلاء الوزراء بوطا عرموش بالبقاع وعسكرهم ثمانية عشر الفاً وخمسمائة · ورواية الامير حيدر الشهابي تشبه هذه الرواية مع شيء من الاختلاف ·

ابن محاسن خطيب الجامع الاموي الى قلعة القسطل · والشيخ عثمان القطان ثم يعاد كل منهم الى محله عقب أربعين يوماً من التاريخ المزبور والله المعين · و كان والي الشام عثمان باشا السلحدار [1]

ورد الامر الشريف الى الشام بالنفير العام وأصاب الناس شدة عظيمة ولطف بهم بوجود مصطفى باشا الوزير كافل الشام وذلك في شهر رمضان المعظم سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) ·

تولى محمد باشا بيرم اوغلي ايالة الشام وامارة الحج في سنة ١١١٤ هـ (١٧٠٢ م) وعاد من الحج ونزل في المرجة وأقام الى غرة رجب سنة ١١١٥ هـ (١٧٠٣ م) وعزل من الشام وتولى اورفة وتوجه من المرجة الى اورفة ولكن بعد ما نال الناس منه ما لا يطاق من الظلم وكان حبسه اغلال الحديد بين الاوطاق من غير خيمة وكانت شمس النهار تؤذيهم وبرد الليل أعظم وكان يسمى حبسه المسطاح · وبعد خروجه من الشام ارسل لطرف الدولة العلية يشكو حاله ·· ان اهل الشام نهبوه وقتلوا من جماعته وأخذوا من خزنته اربعة احمال وبنى على ذلك اشياء نجانا الله منها [2]

ضبط الامير اسماعيل ابن الامير شديد الحرفوشي مدينة بعلبك وايالتها سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) من قبل والي طرابلس لمقطوع مائة كيس وهي خمسون الف قرش

وفي هذه السنة كانت الزلزلة العظيمة في شهر شعبان وحصل منها في بعلبك امور هائلة · وسقط من قلعة بعلبك خمسة اعمدة · ثم اعاد ذكر هذه الزلزلة · فقال :

صدرت الزلزلة العظيمة في ليلة الثلاثاء السابعة من شهر شعبان سنة ١١١٧ وكانت عظيمة مخوفة دفع الله السوء عن عباده وكنا اذ ذاك في بعلبك · والذي حل في بعلبك امر مهول وسقط من قلعة بعلبك خمسة عواميد ورقبة منارة الجامع الكبير · ورقبة جامع نوح وانقضت على سلامة ولله الحمد وقتل في بعلبك رجلان · وأما في الشام فقد ضعضعت اماكن كثيرة ومنها رقبة المنارة المعروفة بالغربية ·

(١) لم تذكر حادثة نفي هؤلاء الاعيان في هذا التاريخ في غير هذا المجموع ·
(٢) لم نجد ذكراً لهذا الحادث في غير هذا المجموع ·

ورقبة المنارة الشرقية الاثنتان في جامع بني أمية وشارطوا على عود الرقبتين كما كانتا على سبعة أكياس ٣٥٠٠ وقد تكررت هذه الزلزلة واقامت اياماً

عمرنا رقبة مأذنة النبي نوح الساقطة ايام الزلزلة سنة ١١١٧ من حد الرفراف بمعونة الله تعالى

ورد الامر السلطاني في نهار السبت في ٢٠ الحجة سنة ١١١٨ هـ (١٧٠٦ م) في نفي اسعد افندي البكري . وعبد الرحمن افندي القاري وسليمان افندي المحاسني المرقوم أولاً الى قبرص وكان والي الشام سليمان باشا وامير حج ووشى بهم للسلطنة لطف الله بهم فاستقاموا في قلعة صيدا ثمانين يوماً . وجاء عفونامه وعادوا الى اماكنهم ولله الحمد[1] انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى الشريف يحيى ابن الشريف بركات المنفصل من شرافة الحرمين الشريفين في نهار الجمعة ثالث عشر وقيل ثاني عشر جمادى الثانية سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) بدمشق الشام وكان له مشهد عظيم ودفن بمزار السيدة رقية تحت قبتها وشمالي تابوتها الشريف جعل الله البركة في اولاده وكان معه في الشام ولده الصغير ابراهيم وأولاد أخيه الشريف عبد الله . وهم الشريف بركات . والشريف سعيد . والشريف حمزة يسر الله امرهم وردهم الى الحرمين الشريفين

وكان المتقيد بمصالحه السيد حسن العجلاني نقيب دمشق اذ ذاك وفقه الله تعالى والفقير[2] وقف على لحده ولقنه بحضر قاضي الشام واعيانها

النبطية سليمان ظاهر

---

(١) وفي خطط الشام ... وقد أراد سليمان باشا البلطجي كافل دمشق اخذ قرض من تجارها واحداث بعض مظالم فنعه اعيان دمشق ومنهم اسعد البكري وعبد الرحمن القاري وسليمان المحاسني فنفاهم الى صيدا وعرض للدولة اموراً عنهم لم يأتوها ثم أعيدوا الى بلدهم واعتذر الوالي عما عزا اليهم .

(٢) هو على الراجح السيد علي الموسوي من آل مرتضى من اجداد صاحب المجموع السيد عباس آل مرتضى .

جامع التواريخ

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٦ —

حدثني ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن الأهوازي الكاتب قال: كنا خمسة كتاب قد نشأنا بين يدي أبي الحسن بن جميل في الديوان بالأهواز وتعلمنا، عليه فكان فينا رجل متخلف في صناعته، فأراد ابن جميل أن يغيب عن صاحبه [1] واستخلف ذلك المتخلف، فاغتممنا لتقديمه علينا، وكان الرجل يدخل الى الصاحب واذا سأله عن شيء لم يفهمه، وان فهمه لم يحسن ان يجيب عنه، وان أجاب عنه اضطرب ولم يقم بالحجة، فلما طال ذلك على الصاحب قال: قد أضرت بنا غيبة ابن جميل عنا اكتبوا اليه حتى يبادر، قال فعلمنا حينئذ انه استخلفه ليكتب لصاحبه اذا غاب في موضعه ولا يطمع في ان ينوب عنه. [2]

* * *

حدثنا ابو علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب قال: كنت اكتب لأبي الفضل بن غيلان بن اسماعيل وهو بأرجان يتقلدها، فقيل له: قد قدم ابو المنذر النعمان بن عبد الله يريد فارس، والوجه ان

(١) أي صاحب الديوان كما يأتي (٢) بالأصل: تبورعه

تلقاه في غد، وكان ابو الفضل يحمّ حمى الرّبع ، فقال: كيف اعمل؟ وغداً يوم حمّايَ ولا أتمكن من لقاء الرجل ، ولكن الوجه ان أُحمّ اليوم حتى أقدر أن ألقاه غداً ، يا غلام! هات الدّواج[1] حتى أحم الساعة ، واذا عنده انه اذا أراد أن يقدم نوبة الحمى ويصح ، تأخرت عنه الحمى وصح غد.

* * *

حدثنا الاستاذ ابو احمد الحسين بن محمد الدلجي قال: كنت بنواحي المذار في جماعة منهم راجل من الشكرية[2] يعرف بابن الجريح ، فخرج علينا أسد ، فابتدر له هذا الرجل بسيفه ودرقته يحاربه ، ودخل معه الاجمة فلم نعرف له خبراً حتى خرج علينا وقد قتل الأسد وحمله على ظهره ، وكان بيننا وبين الأجمة مسافة صالحة ، فلما انتهى الينا طرحه عن ظهره ، فما درينا من أي شيء نعجب ، من رجل قتل سبعاً وحده ، او من حمله اياه على ظهره طول تلك المسافة (العجب ممن يصدق هذا)[3].

* * *

وحدثنا قال: بلغني عن خفيف السمرقندي انه قال: كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع من العسكر وليس معه غيري ، فخرج علينا أسد فقصدنا ، فقال لي المعتضد: ياخفيف! أفيك خير؟ فقلت لا يامولاي ، فقال ولا حتى تمسك فرسي وانزل أنا الى الأسد؟ فقلت بلى ، فنزل وأعطاني فرسه ، وشدّ أطراف منطقته واستل سيفه ورمى القراب[4] اليّ فأخذته ،

(١) اللحاف الذي يلبس (م) (٢) لعله الشاكرية جمع شاكري وهو معرب ومعناه الاجير والمستخدم (٣) هذه ملاحظة بعض النساخين (٤) بالأصل: القرب.

وأقبل يمشي الى الأسد [1] بالضربة فثناه المعتضد بأخرى ففلق هامته فخر صريعاً، ودنا منه وقد تلف، فمسح السيف في صوفة حتى نظفه ورجع الي فأغمد السيف وركب، ثم عدنا الى المعسكر وصحبته، فالى أن مات ما سمعته يتحدث بحديث الأسد ولا لفظ فيه بلفظة، فلم أدر من أي شيء أعجب، من شجاعته وشدته، أم من قلة حفله بما صنعه وكتمانه، (أم) من كرمه وعفوه عني، ولا عاتبني على ضني بنفسي.

* * *

حدثنا ابو الحسن محمد بن احمد بن ام المكاتب البغدادي المعروف والده بأبي الليث الهمذاني قال: حدثني محمد بن سريع [2] العقيلي أحد قوادهم ووجوههم في الحي وقال [3] ورد الى معز الدولة فاكرمه وأحسن اليه قال: رأيت رجلاً من بني عقيل وفي ظهره كله شرط كشرطات الحجام الا أنها اكبر، فسألته عن ذلك فقال: اني كنت هويت ابنة عم لي، فقالوا لانزوجك الا أن تجعل في الصداق الشبكة — فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب — فتزوجتها على ذلك، وخرجت في أن أحتال في سلب الفرس من صاحبها لأتمكن من الدخول بابنة عمي، فأتيت الحي الذي فيه الفرس في صورة حدار [4] وما زلت أداخلهم، ومرة اجيء الخباء الذي فيه [5] كأني سائل، الى أن عرفت مبيت الفرس من الخباء، واحتلت حتى دخلت البيت

(١) في العبارة سوء تأليف ويريد انه عاجله بضربة وثنى بأخرى (م)
(٢) في كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص١٤٢ يزمع وفي الفرج بعد الشدة ٢: ٥٥ بديع
(٣) لعله: وكان (٤) الحدار لفظ معناه الذي يطوف في القرى يبيع الأشياء وفصيحه المنقاش (م) (٥) لعله سقط: الفرس وفي الفرج فأتيت الحي الذي فيه الفرس بصورة مجاز مقتر

من خلفه وحصلت خلف النضد [1] تحت عهن كانوا نفشوه ليغزل ، فلما جاء الليل وافى صاحب الخباء وقد زاولت له المرأة عشاء ، وجلسا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم ، وكنت ساغباً فأخرجت يدي وأهويت الى القصعة واكلت معهم ، فأحس الرجل بيدي فأنكرها فقبض عليها ، فقبضت على يد المرأة ، فقالت له المرأة : مالك ويدي ؟ فظن انه قابض على [2] امرأته ، فخلي يدي فخليت يد المرأة ، وأكلنا فأنكرت المرأة يدي فقبضت عليها ، فقبضت يد الرجل ، قال لها : مالك ؟ فخلت عن يدي فخليت عن يده ، وانقضى الطعام واستلقى الرجل نائماً ، فلما استقل [3] وأنا مراصدهم والفرس مقيدة [4] في جانب البيت ، فأتيتها [5] والمفتاح تحت رأس المرأة ، فوافى عبد له أسود فنبذ حصاة ، فانتبهت المرأة فقامت اليه وتركت المفتاح في مكانه وخرجت من الخباء الى ظاهر البيت ، ورمقتها بعيني فاذا هو قد علاها فلما حصلا في شأنهما دبت وأخذت المفتاح وفتحت القفل ، وكان معي لجام شعر فأوجرته الفرس ، وركبتها وخرجت عليها من الخباء ، فقامت المرأة من تحت العبد ودخلت الخباء وصاحت ، فذعر الحي وأحسوا بي وركبوا في طلبي وأنا اكد الفرس وخلفي خلق منهم ، فأصبحت وليس ورائي الا فارس واحد برمح ، فلحقني وقد طلعت الشمس وأخذ يطعنني فلا تصل اليّ طعناته ، ولا فرسي تنحيني الى حيث لا يمسني من الرمح شيء حتى وافينا الى نهر عظيم ،

---

(١) النضد ما نُضد من المتاع وجعل بعضه فوق بعض (م) (٢) في الفرج : على يد امرأته
(٣) في الفرج والاذكياء استثقل وهو غلط (٤) بالاصل بقيده (٥) في الفرج : والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة .

فصحت بالفرس فوثبته ، وصاح الفارس بالفرس الذي [1] تحته فقصرت ولم تثب ، فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقفت لأريح الفرس واستريح ، فصاح بي فأقبلت عليه بوجهي ، فقال : ياهذا أنا صاحب الفرس الذي [1] تحتك وهذه ابنتها ، فاذا [2] ملكتها فلا تخدع عنها فانها تساوي عشر ديات وعشر ديات وعشر ديات ، وما طلبت عليها شيئاً قط الا لحقته ، ولا طلبني عليها أحد الا فته ، انما سميت الشبكة لأنها لم ترد قط شيئاً الا أدركته فكانت كالشبكة في صيده [3] ، فقلت له : اذ نصحتني فوالله لأنصحنك ، كان من صورتي البارحة كيت وكيت ، وقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس ، فأطرق ثم رفع رأسه وقال : مالك لا جزاك الله من طارق خيراً ، طلقت زوجتي وأخذت قعدتي [4] وقتلت عبدي .

* * *

وحدثنا ابن ابي الليث الكاتب ، قال حدثني رجل من بني النمر بن قاسط يسمى دكين بدوي شاهدته بالانبار قال : كان معز الدولة لما حصل بسنجار يشد فرساً له جليل القيمة بين يديه في أقرب المواضع الى مبيته ، فعتبت [5] عليه وطمعت في سله وعملت الحيلة في ذلك فلم أتمكن ، الى أن جئت ليلة من الليالي فوجدت بعض السواس وقد نزع جبة عليه [6] صوفاً وهو نائم وقد طرحها الى جنبه ، فلبستها وجئت الى الفرس وأخذت المخلاة من

(١) الصواب : التي (٢) في الاذكياء : فاذقد (٣) في الفرج في التعلق به

(٤) القعدة من الدواب الذي يقتعده الرجل للركوب خاصة (اللسان عن الليث)

(٥) لعله : فعينت عليه يعني فتعجبت منه والعبارة من لغة العامة (٦) لعله : عنه

رأسه لأحله وار كبه ، فلما طرحت المخلاة استيقظ معز الدولة وأحسست بحركته ، فأخذت الغربال وطرحت به باقي الشعير الذي كان في المخلاة وسرّدته [٣] وأعدته الى المخلاة وأوهمته اني أحد السواس وقد فعلت ذلك متفقداً للفرس ، فلما رآني أفعل ذلك صاح بالفارسية بكلام فهمت معناه «حسبه من الشعير لاترده الى رأسه» فتركت المخلاة ومرح الفرس يطلبها ، فقال معز الدولة بالفارسية : قصر عليه ، فتمكنت من الحيلة وأهويت الى الرسن فحللته موهماً له اني أقصره واستويت على ظهره وصحت به فخرجت من العسكر ، وصاح الامير معز الدولة وركب سرعان العسكر في طلبي ، فما زلت اركض عليه وخلفي جميعه حتى حصلت في شعب طويل وهم ورائي ، فاستقبلني قوم من العلافة رأيتهم على بعد من ضوء مشاعلهم ومعهم عسكر ، فقلت في نفسي : يا دكين اليوم يومك وراءك عسكر وأمامك عسكر فان ملكوك لم يوصلوك الى معز الدولة الا ميتاً وليس غير الاقدام على ما تقدّر فيه النجاة ، فقام في نفسي أن أحمل على من هو أمامي وليس لهم علم بخبري ، فسللت سيفاً كان معي فوق ثيابي وتحت الجبة التي لبستها من ثياب سواس معز الدولة ، وحركت وهم لا يروني لأنهم في الضوء وأنا في الظلمة ، فلما قربت منهم صحت بهم صياحاً عظيماً ، فقدّروني ابتداء خيل قد كبستهم تريدهم ، وأقبلت أحمل على واحد واحد وأنا أضرب فيتوقاني واحذره الى أن تخلصت منهم وجريت ، ولحقتْ بهم الخيل التي كانت خلفي وتشاغلوا بمساءلتهم عني قليلاً ، ففت الفريقين وحملت الفرس الى

---

(٣) يعني غربلته والعبارة أيضاً من لغة العامة

الشام فبعته على سيف الدولة بثلاثة آلاف درهم، ورحت في البلاد الى ان صرت إلى بغداد ومعز الدولة يطلب قوماً من العرب ليفرض وينفذهم الى بعث ، فحملني المسيب بن رافع العقيلي في جماعة اليه عرضهم عليه فأثبتني ، فلما وقفت بين يديه اقتحمتني عينه لأني دميم ، فقال : « بيست دينار » فعلمت انه أراد عشرين ديناراً ، فكلمه المسيب والمهنا العقيليان ، فزادهما ثلاثة دنانير فقالا له رجل له فضل ومنزلة وهو في أهله (١) وفي شجاعته ، فقال : لو كان هذا كله فعلنا ما كان يقدر أن يصنع ؟ فقلت لبعض النقباء : اي شيء قال؟ ففسره لي ؛ قال فقلت : أيها الأمير ! أقدر اصنع : اضع نفسي على فرس بين يدي ملك مثلك ، فأحتال في أمره حتى آخذه سائساً ثم أركبه ، وقصصت عليه قصته مع فرسه بسنجار وذكر بيعه وثمنه فقال : وأنت صاحب الفرس بسنجار ؟ فقلت له نعم ، فضحك وقال : نزلوه أربعين ديناراً ففعلوا .

* * *

حدثني ابو الحسين قال : اجتزت بطريق سر من رأى فدخلت القصر المعروف بالأحمدي لأشاهد آثاره فلما توسطته رأيت مكتوباً على حائط فيه :

في الأحمديّ لمن يأتيه معتبرُ ... لم يبق من حسنه عينٌ ولا أثرُ
غارت كواكبه وانهدّ جانبه ... ومات صاحبه واستقطع الخبر

وأنشدني لنفسه :

رفقاً اقيك بمقلةٍ ... كلفتها طول السهادِ
أصبحت منها في السوا ... د وفي السواد من الفؤاد

(١) لعله أهليته

وأنشدني أبو القاسم الصوري قال انشدني ابو الحسن الموسوي العلوي لنفسه :

يا نازلاً في السواد من مقلتي وفؤادي

* * *

حدثنا ابو الفضل محمد بن عبيد الله قال : أخبرني جماعة من شيوخ الكتاب ببغداد أن القاسم بن عبيد الله كان قد أوجس في نفسه من اختصاص الحسين ابن عمرو النصراني كاتب المكتفي [1] فوضع عليه من يأتيه بأخباره، حتى اظهر لمغنية كان ابن الحسين بن عمرو يتعشقها انه يعشقها [2] وملأ عينها، وكان يتسقطها أحاديث الحسين بن عمرو وابنه لكثرة ملازمتها له حتى غلبه عليها، فاضطر ابن الحسين بن عمرو ان يداخل القاسم من أجلها، واجتذبه وصار كالنديم له فملأ عينه بالاحسان وضرّب [3] بينه وبين ابيه، وكان يأتيه بأخباره، فجاء يوماً فأعلمه انه قد شرع مع المكتفي في الوزارة وضمن القاسم وأسبابه بمال عظيم ذكر مبلغه، وانه قد تقرر الأمر مع الخليفة أن يستوزر ابراهيم بن حمدان الشيرازي كاتب الحسين بن عمرو (وقال ابو الفضل وهو جدابي القاسم علي بن الحسين بن ابراهيم المعروف بالمشرف [4]) على ما كان ينظر فيه المكتفي [5]، ويلبسه السواد ويخاطب بالوزارة، لأنه لم يرغب هو في الاسلام ولم يجز استيزار ذمي، وان تكون الدواوين والأمور كلها اليه ويؤمر الوزير ان يصدر عن امره ولا يصل الا في أيام المواكب والمجالس الحافلة للعرض فقط واقامة الرسم ويلبس السواد والسيف والمنطقة، وان

---

(١) لعله سقط : به (٢) لعله سقط ما معناه : وجعل (٣) ضرّب بين القوم: اغرى

(٤) علي بن الحسين هذا كثر ذكره في تجارب الأمم (٥) لعله: للمكتفي

فارس – داية المكتفي – هي التي قررت ذلك مع الخليفة ، وانه قد وعدهم ليوم بعينه قريب ذكره ليقبض على القاسم وأسبابه ويسلمون الى الحسين بن عمرو .
وشاور القاسم أبا العباس ابن الفرات كيف يصنع ؟ فقال له: عندي ما يكفيك هذا الامر ، قال وما هو ؟ قال كتاب بخط الحسين بن عمرو الذي يعرفه الخليفة الى أبيك ، كتبه اليه من بعض الوجوه التي خرج اليها المكتفي في أيام المعتضد وهو اذ ذاك كاتبه ، يخبر أباك من بخل المكتفي وسقوط نفسه وعيوبه وفواحشه وضعفه ونقصه بكل عظيمة ، ويشير على أبيك أن يُنهي ذلك الى المعتضد وان يشرع في استدعائه الى الحضرة لئلا يفتضح الملك .
والوجه لك أن تعمل ثبتاً بجميع أملاكك وما تحويه يدك ودارك وملكك من جميع الأشياء وتصير الى الخليفة وتستخليه ، فاذا خلا طرحت نفسك بين يديه على الارض وبكيت وأخرجت الثبت وسألته أن يقبل جميعه منك عفواً حلالاً ويقرك على خدمته ، او أن يؤمنك على جسمك ونفسك وان لا يسلمك الى الحسين ابن عمرو فانه غير مأمون على [1] ، فاذا سألك عن سبب ذاك اعلمته ان الحسين بن عمرو اظهر السر فبلغك ، واخرجت الكتاب اليه وقلت له يا أمير المؤمنين كيف تأمن على نفسك ودولتك من هذا اعتقاده فيك ؟ فانه اذا قرأه معا قد سمعه منك انحل ورجع لك وانقلب على الحسين ابن عمرو ، واذا سألك عن الكتاب عرفته انه كان في خزائن أبيك يحفظه على الحسين بن عمرو لك ويسلمه [2] اليك ، وكان المعتضد يخافه حتى هلك ، وانك أنسيت أمره الى الآن فأظهرته ، واضمن الحسين بن عمرو وابراهيم

(١) لعله سقط (شيء) (٢) لعله ليسلم اليك

الشيرازي وأسبابهما كذا وكذا الوفاً تقدر على استخراجها منهم فان الخليفة يجيبك ، واذا وعدك فعرّفه ان هـذا أمر قد ظهر وفشا وتحدث به الناس وكثرت معه الاراجيف ، وانه ان اخر تسليمهم اليك وقفت الأمور على العمال وطمع فيها كل أحد فأضر ذلك به ووقفت أمور الوزارة وسخفت من تأخير تسليمهم اليك فانه يسلمهم . قال فركب القاسم في الحال الى المكتفي يعمل جميع ماقاله له ابو العباس ، فجرى الأمر على ما ظنه وعاد القاسم وقد أذن له الخليفة في القبض على الحسين بن عمرو واسبابه ، فقبض عليهم واصطفى [1] أموالهم ، فلما احس بنفادها أنفذ الحسين بن عمرو وابراهيم الشيرازي الى الأهواز على سبيل النفي ووكل بهما ، فلما حصلا بالأهواز قتلهما الموكلون ، وقيل انهما جعلا في بيت وسد ومنع من دخول الماء اليهما والغذاء فلما علم بموتهما فتح الباب ونقلا الى بيت آخر وأظهر أن أجلهما ادركهما . قال فلما خرج القاسم وقد ظفر وتم له التدبير قبل رأس أبي العباس بن الفرات وعينيه وشكره وقال : انت ابي وعضدي وما اشبه ذلك من القول ، فحسده ابن فراس على ذلك وقال للقاسم : أيها الوزير سل ابا العبـاس من أين له هذا الكتاب ؟ فسأله فقال ابو العباس : كنت منذ دهر مجتازاً في بعض الطرقات فرأيت في دكان نطّاف [2] عليه ظهور [3] معلقة ليجعل فيها مايبيعه من الناطف على الناس ، وما رأيت قط شيئاً مكتوباً الا احببت قراءته ، وقد أفدت من ذلك دفعات كثيرة وفوائـد كباراً ، قال فلحظت الظهور

(١) لعله واستصفى (٢) لعله سقطت كلمة (رَفّا) او مافي معناها (٣) يراد بالظهور السقط من الأوراق وسميت ظهوراً لأنه كتب على احد وجهيها وترك ظهورها بيضاً (م)

فوقعت عيني منها على عنوان هذا الكتاب ، فعرفت خط الحسين بن عمرو ، فتبعتْ نفسي قراءة الكتاب ، فقلت لغلامي : امضِ فاشترِ هذا الناطف في ذلك الظهر وأومأت الى هذا الكتاب ففعل وجاءني به ، فقرأته فوجدت فيه العظائم ، فقلت في نفسي : هذا أشرّ الناس يكتب لرجل ويتخلفه بمثل هذا الكتاب ، فلعله أن يلحقني يوماً شرّ من هذا الرجل فأدفعه بهذا الكتاب او انعي عليه عيوبه ، فمسحت آثار الناطف منه واحتفظت بالكتاب فهو عندي منذ كذا و كذا سنة ، فلما حدثني الوزير الآن بهذا الحديث علمت انه موضع اظهار الكتاب فأظهرته . فلما انصرف ابن الفرات عن المجلس قال ابن فراس للقاسم :— وكان يشنعه[1] عنده دائماً فلا يلتفت اليه — قد بأن لك مقدار شر ابن الفرات ، هذا شر عليك من الحسين بن عمرو ، لأنه عدو مدغل[2] مندس بين ثيابك ، والحسين كان عدواً مكاشفاً وأنت على اتقائه أقدر ، ما يؤمنك ان يكون ابن الفرات قد تحفظ عليك في مدة استرسالك اليه ماهو اكثر من هذا او قد حصل خطك بألوان فيها الذم وأنت ناس كما فعل بالحسين بن عمرو ؟ وما يؤمنك أن يكون عنده من خطوطك او خطوط أبيك ما يجري هذا المجرى ؟ فان الناس ربما سخطوا على أصحابهم واستؤمنوا[3] الى بيتهم عند نصحائهم ، وانما يترقب منك ابن الفرات إعراضاً او أدنى خلاف عليه في شيء لا يؤثره وتؤثره انت فيظهر للخليفة عنك وعن أبيك ما هو أعظم من هذا فتهلك ، وان أمسكت عنه فأنت ربيبهم[4] في حجره وعنده انه قد ردك الى الوزارة برأيه ويقتطع الدنيا ويفوز بها

(١) بالأصل يشيعه (٢) اي خفي (٣) لعله واسترسلوا (٤) لعله : ربيب يعني انه ينظر اليك كما ينظر الى ربيب

وبفائدتها وتكون التبعة عليك ، وان أوحشته قتلك بمثل هذا الفعل ، فاقبل رأيي وعاجله واحتل عليه بسمّ تدسه اليه وتتخلص منه . قال فوقع ذلك في نفس القاسم وما زال ابن فراس يقوي رأيه الى ان عمل له سماً في تفاحة وأشمه اياها فأتلفته وكان هذا الكتاب أشأم كتاب سمع به .

* * *

وحدثني أبو محمد[1] قال حدثني بعض شيوخ الكتاب ببغداد عمن حدثه انه سمع ابا الحسن بن الفرات يقول لأبي جعفر بن بسطام وكان سيئ الرأي فيه : ويحك يا أبا جعفر لك قصة في رغيف ما هي ؟ فقال مالي قصة في رغيف ، فلم يزل به ابو الحسن الى ان قال له إن أخبرتني بذلك كان خيراً لك ، قال نعم : إن أمي كانت عجوزاً صالحة وعودتني منذ ولدت أن تجعل تحت مخدتي التي أنام عليها في كل ليلة رغيفاً فيه رطل اذا كان من غد تصدّقت به عني ، وأنا أفعل هذا إلى الآن ، قال فقال ابن الفرات : ما سمعت بأعجب من هذا ، اعلم انني من أسوأ الناس رأيا فيك لأمور اوجبت ذلك ، فعدّد بعضها وأنا منذ أيام مفكر في القبض عليك ومطالبتك بمال ، فأرى منذ ثلاث ليال في منامي كأني قد استدعيتك لأقبض عليك فتحاربني وتمتنع علي ، فأتقدم بمحاربتك فتخرج الى من يحاربك وبيدك رغيف كالترس فتتقي به السهام فلا يصل اليك منها شيء وأشهد الله عز وجل انني قد وهبت لله تعالى ما في نفسي عليك ، وان رأيي لك اجمل رأي من الآن فانبسط . قال فأكب ابو جعفر على يديه ورجليه يقبلهما .

(يتبع)

---

(١) كتاب الوزراء لهلال ص ٦٤ والفرج بعد الشدة ١٧٧:١

مخطوطات ومطبوعات

نخب الذخائر في أحوال الجواهر

تأليف محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني

المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م

نشرها وعلق عليها الاب انستاس ماري الكرملي

طبع في المطبعة العصرية بالقاهرة ١٩٣٩ ص ١٨٨ من القطع الوسط

أجاد زميلنا في نشر هذا التأليف اللطيف وقد علق عليه حواشي دلت على طول باعه ونفسه في البحث وأتبعه بأحد عشر فهرساً قربت مناله من كل طالب وقد اغتبط بنشره « ليري أهل عصرنا ان الأقدمين منا كانوا واقفين على أسرار هذه اللغة البديعة وان مصطلحات أبناء الالسنة الأخرى الحية والمعروفة في عصرنا هذا لا تجاريها في ما وضعه الناطقون بالضاد منذ عصر العباسيين الى عهد المؤلف »

وقد قدم له مقدمة بالفرنسية قال فيها ان الكتاب نشر في السنة الحادية عشرة من مجلة المشرق وفي السنة الرابعة من مجلة المقتبس وفاته ان يشير في التعليقات العربية الى ناشر هذا السفر الصغير في المقتبس وناشره العلامة محمود شكري الألوسي رحمه الله استاذ الاب انستاس فكان يقضي الوفاء لاستاذه وللعلم ان ينوه بالناشر الأول . ان لم يكن ذلك عن نسيان وذهول ولكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة .

محمد كرد علي

تاريخ ابن الفرات

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات . المجلد التاسع الجزء الأول والثاني

ص ٥٩٢ المجلد الثامن ٢٨٥

حققه وضبط نصه الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين

طبع بالمطبعة الاميركانية في بيروت

هذا الكتاب من منشورات كلية العلوم والآداب في الجامعة الاميركية في بيروت والمؤلف مصري من أهل القرن التاسع درس على جماعة من علماء زمانه وتولى عقود الانكحة واشتغل بحوانيت الشهود وعني بالتاريخ وخلف تاريخاً كبيراً في المسودة لم يبيضه ومات سنة سبع وثمانمائة . وكتب يومياته على اصول ذاك العهد

والجزءان الأولان من كتابه يحملان حوادث من سنة ٧٨٩ الى ٧٩٩ وما طبع من المجلد الثامن يضم حوادث (سنة ٦٨٣ — ٦٩٦) كتبها بلغة عامية لا اعراب فيها وفيها ألفاظ عامية قد لا نفهمها ، وكان المؤلف بحكم عمله قريباً من منبع الحوادث وما تعدى كلامه بيئته الا قليلاً ، والحوادث التي أرخ لها تافهة على الاكثر لا يستفيد منها ابن العصر زبدة كبيرة ولكن هناك ولا سيما في الجزء الثالث والذي يليه ارتقت لغة الكتاب وأخذ يزيد على تدوين الحوادث منشورات ومراسيم ورسائل تقفنا على روح العصر ونمط انشائه وتفكيره كما يعرض لنقل شعر بعض المشهورين ممن يتوفون في آخر كل سنة . ولكن منها ما حذفه الناشران واستعاضا عنه بنقط كما فعلا في صفحة ٣٢٢ و ٣٢٣ (المجلد التاسع) فحذفا أشياء من شعر ابن مكانس وكان الأولى اثباتها . فاذا كنا نتحرى بأن لا نغفل نقطة من الأصل حتى لا نخرج عن قانون النشر والأمانة فبالحري ألا نترك أبياتاً لم نر فيها ما يناسب ذوقنا ، ونحن لم نؤلف الكتاب ، نعم كان على الناشرين ان يثبتا نص المؤلف برمته خصوصاً والكتاب يقصد به نفع الخاصة وليس من الكتب المدرسية ، ويوم يؤلف المؤلف المعاصر يختار من كلام الناس ونصوص المؤلفين ما طاب له ورآه ينطبق على أدب العصر . وقد اختار الناشران ان يبدأا بنشر تاريخ ابن الفرات من آخره لأن الأجزاء الأخيرة منه اهم من الأولى وهذه يسقط الباحث فيها على حوادثها في التواريخ السابقة وربما كانت عندهم على صورة اكمل وامتع . وقد جوّد الناشران اخراج هذا الكتاب من مخطوطته الوحيدة وبالغا بالعناية بالتصحيح وشفعا الجزءين الأولين بفهارس متقنة فلهما أوفى الثناء على هذه التحفة التي اتحفا بها التاريخ عامة وتاريخ المماليك خاصة

م . ك

تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني

للشيخ احمد بن محمد الخالدي عني بنشره الدكتور اسد رستم والاستاذ فؤاد افرام البستاني طبع بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣٦ بعناية مدير المعارف والفنون الجميلة في جمهورية لبنان ص ٣٧٤

الخالدي من الرجال الذين عرفوا من أرخ للامير فخر الدين المعني الثاني معرفة قريبة وكان ممن رافقه في رحلته الطويلة الى ايطاليا فدون من أخباره ما لم يتيسر لغيره ان يعرفه من أخبار مخدومه . وذكر ان صاحب اسبانيا يومئذ عرض عليه ان

يعطيه مملكة أعظم من البلاد التي كان يحكمها ، اي لبنان وما اليه ، على أن يتحل النصرانية فأبي وان الامير استصحب معه امامه ومؤذنه وأقام مأذنة يدعو فيها الى الصلاة مدة مقامه في البلد الذي حل فيه من أرض ايطاليا وانه حمل معه في تابوت ابنة له كانت قضت نحبها هناك ليدفنها في بلاده الى غير ذلك من الاخبار الطريفة والوقائع المعروفة التي عرف فيها عهد هذا الامير العظيم الذي يحق للبنانيين بل للعرب كافة ان يفاخروا به ويذكروا بالخير عهده على قلة الخير في تلك الادوار الخاملة . وقد بذل الناشران الجهد في مقابلة أصل هذا التاريخ على مخطوطات مهمة فجاء بما وضعا له من الفهارس مثال الجد والكتب المخدومة اجل خدمة فلهما وللحكومة اللبنانية التي أخذت تنشر كل ماله علاقة بحوادث هذا الجيل أطيب الشكر والثناء

م . ك

ابو العلاء المعري

لأحمد تيمور باشا طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م — ص ١٦٠ (قطع الوسط)

هذا كتاب موجز في حياة المعري تناول منه المؤلف نسبه وأخباره وشعره ومعتقده أخذاً من مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة فأبدع وأجاد واتى الباحث في كل صفحة من صفحاته بفوائد يعزُّ الظفر بها على غيره . وكلامه في كتب المعري فقط وتحليلها يعد من الدراسات الشائقة التي لا يضطلع بها كثيرون . وفي باب عقيدة المعري ورأيه في المعاد والنبوات آيات في التحقيق يستفيد منها كل من يحب الصدق في تحليل الرجال وفيها أيضاً درس جميل يتلقاه من اعتادوا أن يلقوا الكلام على عواهنه ويكفروا ويبدعوا ويفسقوا على هواهم ، كأن بأيديهم مفاتح الجنان واليهم مردُّ النجاة والهلاك . وتلمس في كل أبواب الكتاب لطف المؤلف وأدبه مع القدماء مما يقلُّ فيمن يتصدون مثله للتأليف رحمه الله .

م . ك

تراجم اعيان القرن الثالث عشر

وأوائل الرابع عشر

تأليف أحمد تيمور باشا ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م

وهذا موضوع جليل في تاريخ رجال مصر في العهد الأخير ترجم لهم العلامة المؤلف تراجم تبسط في اكثرها ومنهم من عرفه معرفة شخصية ووقف على بيئته ونشأته واعماله ونكاته وملحه ووقائعه السياسية والادبية . ويود من قرأه لو يطول به النظر فيه ولا يأسف الا عندما تقول له الصفحة الأخيرة منه ها قد تم ما كتب المؤلف .

ترجم نخبة من الرجال بحسب رأيه ، والجيدة متجلية في أقواله ، لأنه لا غرض له الا تدوين الحقائق ولو تعلقت الهمم فاختصر مؤلفات المتأخرين في الترجمة للرجال على المثال الذي كتبه احمد تيمور باشا لوقع اختصارها الى العشر وأقل من العشر . فان المؤلفين في هذا الباب خلطوا في القرون الثلاثة الأخيرة خلطاً نسأل الله منه السلامة والعامل في ذلك انهم تهجموا على صناعة ليس لهم فيها يد ولا عرق وسهروا على العلم كما سهر عليه المؤلف العظيم طول حياته فأحيا بذلك الآداب وأتى في كل ما خطه قلمه بالعجب العجاب .

م . ك

كليلة ودمنة

بتحقيق الدكتور طه حسين بك والدكتور عبد الوهاب عزام

مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٤١

ابن المقفع من الادباء الخالدين ، وأجلّ ما بقي من آثاره كتاب « كليلة ودمنة » . كان منذ اثني عشر قرناً — وما زال — القدوة في الادب وحسن الانشاء . ولا تكاد تجد مثله كتاباً يعطيك من الحكمة العالية ، والادب الرفيع ، ويصور لك الطبائع في جميع مناحيها ، والنفوس ودخائلها وأهواءها ، ويدعو الى مكارم الاخلاق ،

على سبيل القصص الممتع المغري ، المأثور عن لسان الحيوان ، بأيسر أسلوب وأحسن ايراد . حتى اجمع على الرغبة فيه ، والانس بمطالعته ، كل من عرف القراءة ، من الأحداث الى الشيوخ ، وكلما ازداد علم الانسان ازداد اعجاباً به ، وكلما تدبره أكبره . وتلك مزية انفرد بها ، لا يدانيه فيها كتاب من كتب الادب العربي . ولقد شارك العرب في اعجابهم بهذا الكتاب كثير من الأمم المتحضرة ، فنقلوه الى لغاتهم ، فأصبح رسالة عن الادب العربي للأمم كافة .

صدّر الكتاب الدكتور طه حسين بك ، فأثنى عليه بأسلوبه السمح العذب ، ووصفه بـ « التراث الانساني الخالد » لما فيه من « حكمة الهند وجهد الفرس وذوق العرب » ولرغبة الاجيال والشعوب فيه ؛ كما أثنى على المطبعة التي تنوقت في اخراجه .

وقدّم بين يدي الكتاب الدكتور عبد الوهاب عزام مقدمة قيمة ذات قسمين ، القسم الأول في طبعات الكتاب ، والقسم الثاني في أصوله وتراجمه وأبوابه . فذكر « قيمة الكتاب الأدبية ، وعناية المستشرقين به ، وانه ترجم الى كثير من اللغات ، وأحصى طبعاته ، وان اولها طبعة دي ساسي في باريس سنة ١٨١٦ ، ثم الطبعات المصرية والشامية ، من عهد محمد علي الى الآن ، وان فيها كلها مواطن لا يطمئن لها الناقد . ووصف النسخة المخطوطة التي حققها وخرّجها وهيأها للطبع ، وانها اقدم النسخ كتبت سنة ٦١٨ وعثر عليها في خزانة اياصوفيا في استانبول . وذكر انها تخالف النسخ المطبوعة من وجوه ، وان لها عليها مزايا ، منها وجود جمل مبسوطة في حين أنها مختصرة في النسخ الأخرى ومنها ان فيها جملاً يظهر فيها الاسلوب الفارسي ومنها ان ما اقتبس في كتب الادب القديمة مثل عيون الاخبار لابن قتيبة من كتاب كليلة ودمنة اقرب الى نصوص تلك النسخة من جميع النسخ المطبوعة ، الى غير ذلك من المزايا التي اوردها على سبيل البسط والتفصيل ، وان اقرب النسخ اليها النسخة التي طبعها الاب لويس شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩

وذكر في القسم الثاني من المقدمة ان اصل الكتاب هندي ترجم الى الفهلوية ومنها نقله ابن المقفع الى العربية ، وقد عثر على معظم أبوابه في الكتابين الهنديين

« پنج تنترا » و « هتو پادشا » وان هناك ابواباً من وضع الفرس ، وبابين من وضع ابن المقفع وهما « عرض الكتاب » و « باب الفحص عن امر دمنة » مع دراسة لأبواب الكتاب في جميع النسخ المطبوعة ، ومعارضتها بنسخته من حيث الاتفاق والاختلاف والزيادة والنقص والتقديم والتأخير » ثم الحق بآخر الكتاب تعليقات ذات بال لكل باب على حدة ذكر فيها ما حققه من الفوائد ، وبدا له من الملحوظات . كل ذلك على سبيل التدقيق والاستقصاء والاتقان .

ولقد جعلت مطبعة المعارف هذه الطبعة تذكاراً لعيدها الذهبي ، وأهدتها الى ملك مصر . فجلتها تحفة انيقة ما جادت المطابع العربية بمثلها من قبل . اذا أخذت نسخة النيت مجلداً ضخماً متناسب المقاييس ، رسم على ظاهره اسد متوّج . وقد اقعى بجانبي عرشه « كليلة ودمنة » . فاذا قلبت صفحاته رأيت ورقاً فاخراً روعي في لونه وصقاله راحة البصر ، وحرفاً جميلاً يكاد يكون صوراً تتكلم . وقد دار بكل صفحة اطار نبت حوله أغصان خضر متشابكة مسترسلة وسنابل وازهار . أما عناوين الفصول وفواتح الأبواب ؛ فضمن حنايا ومحاريب فيها ضروب من الوشي والنمنمة ، وينتهي كل باب بخاتم يمثل نقوشاً واشكالاً فنية .

وفي الكتاب بضع عشرة صورة تمثل مشاهد من ابواب الكتاب رسمها « رومان ستربكا لفسكي » محاكياً الفن الفارسي في الملامح والسمات ؛ والذوق الشرقي في المبالغة في اشباع الألوان والاصباغ . وهكذا اجتمع في هذه الطبعة جميع عناصر الاتقان والاحسان .

خليل مردم بك

جان درك

٣٥٥ صفحة من القطع الوسط

لعل هذا الكتاب من أفيد مااختارته لجنة التأليف والترجمة والنشر من « عيون الأدب الغربي » ولم يكن اختيارها المعرب بأقل توفيقاً من انتقاء الكتاب ، فقد عهدت بتعريبه الى الدكتور احمد زكي بك العالم البليغ الذي نقرأ له الفصل على انه صفحة

أدبية شيقة فاذا أنت قد وعيت — من حيث لا تشعر - مسائل هي في صميم العلم وإذا هو قد احتال عليك وحيرك وجعلك تؤمن بطواعية اللغة العربية ومرونتها وصلاحها لمختلف حاجات العصر ·

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب العالمي الذائع الصيت (جورج برنارد شو) أكبر أدباء الانكليز · والكتاب مقدمة تحليلية لقصة جاندرك جود فيها (شو) كل التجويد وعرض فيها لجملة من المسائل التي تعاورها المؤرخون والكتاب فبين فيها وجه الصواب · وقارئها يوقن ان المؤلف قد اجتهد ان يكون منصفاً وأن يرد الحق الى نصابه ، فذكر صدقها واخلاصها وقوة ايمانها كما ذكر غطرستها وعنادها ، وقابل بينها وبين سقراط وبينها وبين نابليون ، وزيف ما وقع فيه بعض الروائيين الخياليين وخاصة الانجليز من وصفها بما ينافي الفضيلة او بالجنون ويرى (شو) أنها « امرأة قديرة مكينة خلقت للرياسة والسيادة — ص ٢٦٨ » وحلل مسألة الرؤى التي كانت تتراءى لها تحليلاً لا غاية بعده ورده الى المألوف من عرف الناس · ونقض رأي الكثيرين القائل بأن محاكمتها كانت ظالمة شايعت هوى الانجليز في اتهامها · و (شو) يعتقد ان الحكم عادل بعد ان سرد ملابسات القضية ونقلنا الى زمانها ومكانها ، وأن الجرم ديني لا سياسي، وهو خلال ذلك يعرض لكثير من المسائل المتعلقة بالكنيسة والاقطاع والمسيحية في العصور الوسطى · والمقدمة كتاب مستقل متقن لا غنى لمثقف عن التروي فيه والاستفادة منه وتبلغ نحو الثلث من صفحات الكتاب وقد اصاب المعرب بتأخيرها عن الرواية ·

اما الثلثان الباقيان فهما رواية مسرحية لـ (جان‌درك) تتألف من ستة مناظر : في قلعة فوكولور حيث تطوعت وعرضت على قائد الحامية ان يعينها بجنوده ، ثم في حجرة العرش في شينون ، ثم على اسوار أورلئان وقد آمن الناس بها · والفصل الرابع جعله (شو) في خيمة في معسكر انجليزي حيث يتداولون في امرها ، ويتآمرون للقبض عليها ، اما الخامس ففي كتدرائية « ريمس » حيث توجت شارل بأمر السماء وملأ الناس السكك لرؤيتها والتبرك بها وهنا تبلغ جان القمة في مجدها وتبدأ نهايتها إذ أبى رجال الجيش ورجال البلاط ان يجازفوا بقواتهم وأصرت هي وذهبت بمن

معها من المتطوعين فوقعت في قبضة البروجنديين وهؤلاء أسلموها الى الانجليز . والمنظر السادس وهو أروعها وأمتعها مقصور على محاكمتها وفيه يظهر تناحر شطري المحكمة: الأسقف من جهة وهو يميل الى حملها على التوبة لتنجو من الانجليز وقسوس انجليز أبو الا الحكم بزندقتها . وتنتهي المحاكمة بفصلها عن الكنيسة واحراق الانجليز لها . وألحق (شو) بالرواية فصلاً ختامياً هو رؤيا يراها الملك شارل وكأن فيها استئنافاً لأحكام المحكمة والناس على اكثر ابطال الرواية ، وأطرف مافيه ، ان هؤلاء الكبار وفيهم الملك وكلهم ممن اعتقد في هذه الرؤيا قداستها طار صوابهم وانفضوا عنها حين عرفوا عزمها على الرجوع الى الارض . وهنا يهزأ (شو) هزءاً خفياً بليغاً مما جرى الناس عليه من حرب البطل في حياته وتقديسه بعد مماته وهذه هي مناظر الرواية . وان القارئ ليقع خلال ذلك على طرف وفوائد كثيرة بعثرت في الرواية والمقدمة ويقف على رأي « شو » في رجال الكنيسة حينذاك .مثلاً (ص ٣٠) وموقفهم من اليهود في كلام قس : « اليهود الأوغاد الذين يتدخلون كلما انتقل مال من يد الى يد ، ولو كان الامر لي لما ابقيت على احد منهم في بلد من بلاد المسيح -- ص ٨٠ » كما يرى عبارات نابية انحدرت من عصور الجهالة والتعصب في اوربا تتعلق بالرسول العربي صلى الله عليه وسلم . والى ذلك يرى عرضاً لنظريات في السياسة والدين والاجتماع . وخاصة حين يعرف القارئ سبب غضب الكثلكة والاقطاعية على مبادئ جان التي رأت ان الارض لله والملك خليفة عليها ، وانظر (ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ٢٧٠) لترى كيف يشرح لك شو ان« القومية» بالمعنى الحديث تنافي المسيحية وتضربها في صميمها .

ولا يحرمك « شو » التمتع بفكاهته اللاذعة مثل هذا الحوار بين الملك شارل في منامه وأحد سكان جهنم :

شارل — كيف يجد المرء جهنم ؟

الجندي — لن تجد فيها كثيراً مما تكره يا سيدي: جوها مفرح كانك سكران دائماً دون ان تدفع للخمر ثمناً ، وصحبة من ارقى طبقة : أباطرة ، وبابوات وملوك من كل صنف .. الخ .

لغة الكتاب حلوة سهلة لا تكلف فيها ولا تعقيد ، بل ان المعرب الفاضل — في أغلب الظن — لم يكلف نفسه عناء معاودة ما كتب ولعله عربيا في (الترام) معتمداً على طبع قوي وسليقة موانية عرف بها فلم تخل — على جودتها — من بعض الهفوات التي بعضها « تطبيع » وبعضها مما عمت به البلوى وبعضها من اثر الترجمة واليك اكثر ما يلفت النظر منها :

ص	الخطأ	الصواب
و١٢٨ و٤	غيورة	غيرى أو غيور
و	لحرقي	لاحراقي=(٨٨و٩١ و١٠٣ الخ
	سأحي	سأحيا=(٢٧٥و٢٩٩)
٦	فلمايسقط يقع	فحين يسقط يقع = فلما سقط وقع
٨و٣٠	ملينة ، ملي	ملأى ملآن=(٧٢ و١٤٥و١٩٩ و٢٦٠)
١٩	عين الجرح	الجرح عينه
٢٢	أتحدثا	أتحدثتا
٢٤	واجبك	الواجب عليك=(٨٩ و٩٠و١٣٥و١٣٨ الخ)
٢٨	يمنعها من الدخول	يمنعها الدخول
٣٠	رانس	ريس (تعريب)
٣٦	برغم	على رغم=(٦٤و١١٣ و١٥١)
٤٦	ما تفعلوه	ما تفعلونه
٥٦	لتدعوني	لتدعيني (خطاب المؤنثة)

ص	الخطأ	الصواب
٦٢	أعطيت قيادة الجيش الى الفتاة	أعطيت الفتاة قيادة الجيش
٧١	الداوية	المدوية
٧٣	وهبت الكنيسة شمعدانين	وهبت للكنيسة شمعدانين
٩١	بشيع	بشع
٩٣	فصححوني	فصححوا لي
١٠٢	لما تهدد .. تقصد	حين تهدد .. تقصد
١٢٣	يدفعها اياه	يدفعها له
١٢٦	أعادوك	أعداؤك
١٣٠	١٩٣١	١٤٣١
١٣١	نفس الباب	الباب نفسه=١٦٥ و٢٤٢و٢٩٣ الخ
١٣٥	يا سيداي	يا سيدي
	في غناء عن	في غنى عن
١٤٥	قد يحدثنا	قد يحدث كل
١٩٨	تقلبوها	تقلبونها
٢١٩	فيزين	فتزيّن

ص	الخطأ	الصواب
٢٢٢	ذي عقول	ذوي عقول
٢٢٥	حدت به الى	حدته على ـــ ٣٢٩
٢٤٦	الطيف التي	الطيف الذي
٢٤٧	فكل	ككل
٢٥٣	الرأس التي	الرأس الذي
	صورالاكاديمية ليس	صورالاكاديمية ليست
٢٥٨	كف أباها	كف أبيها
٢٦٢	غيرهم	غيرهن
٢٦٤	١٩٢٢	١٨٢٢
٢٦٥	نابلس	نابولي
٢٦٨	نضوجها	نضجها
٢٧٠	صميمها	صميمها
	يتنافيان مع	يتنافيان هما و

ص	الخطأ	الصواب
٢٧١	لاتأتلف مع الصور	لاتأتلف هي والصور
٢٧٢	١٧٨٠	١٨٧٠
٢٧٥	حتى وفي	وحتى في
	أبرؤها	أبرئها
٢٩٥	زعمها	زعمها
٢٩٧	وهبه	وهب له
٣٠٩	باقرارها نظام كنسي ذو طبقات	باقرارها نظاماً كنسياً ذا طبقات
٣٢٠	يتأرجح	يترجح
٣٢١	استبدلا بنظائر	استبدل بها نظائر
٣٤٤	انفهاماً	فهماً
٣٤٦	ساعتين يضيعونها	ساعتين يضيعونهما
٣٤٩	أعين الغير	أعين غيرها
٣٥١	يدعيه المتنورين	يدعيه المتنورون

* * *

والمجلة تشكر اللجنة الكريمة والاستاذ المعرب على جهودهما المخلصة

سعيد الافغاني

آراء وأنباء

نعت صيغة الجمع

— تمهيد —

نشرت هذه المجلة (ص ٢٣٢ — ١٧) بحثاً لحضرة الاب انستاس الكرملي عنوانه (جمع افعل فعلاء نعتاً فعل بالضم للمذكر والمؤنث) جاء فيها: « الترتيبات الغراء والجنات الفيحاء والبساتين الغناء ٠٠ هذا لا يجوز » وقال بعدئذ ان التركيب الصحيح ان يقال : (الترتيبات الغر) و (الجنات الفيح) و (البساتين الغن) ٠ فأعاد ماسبق له ان يورده في مقاله « لا تقل كريات بيضاء » الذي نشرته له هذه المجلة (ص ٤٢١ — ١٣) والفرق في المقالين هذين ان شاهده الجديد من كتاب سيبويه واما شاهده القديم فمن كامل المبرد وهو هو بعينه ويستنتج من ذلك انه اطلع على كتاب سيبويه في هذا العهد الأخير واقرار المرء شاهد عليه ٠ وقد سبق لي اني نقضت حكمه الوارد ذكره آنفاً في كتابيَّ (المحجة البيضاء في صحة نعت الجموع بفعلاء) و (الجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الاب الكرملي) ٠ فكان لزاماً على الاب انستاس ان يفند شواهدي قبل أن يعمد الى دعم شاهده ٠ والآن اعود الى مناقشته فأقول

١ً — تعيين موضع الخلاف

لا جدال الا وله موضع خلاف ٠ وتعيين موضع الخلاف أمر لابدَّ منه ٠ وموضع الخلاف بيننا هو : أيقال كريات بيضاء او لا ؟ فالاب ينفي وانا أُثبت ٠ ولا خلاف بيننا على ماهي صيغة جمع افعل فعلاء مثل ابيض بيضاء او افعل ولا فعلاء لها كأمرد ٠ أو فعلاء ولا افعل لها كضهياء فالشاهد الذي اتى به الاب من الكامل اولاً ومن الكتاب ثانياً لا سبيل الى المجيء به في جدالنا ٠ فان كان الاب لا يعلم ذلك فهو يجهل موضع الخلاف فكيف يجادل في مالا يعلم ٠ وان كان يعلم موضع الخلاف ويتجاهله فنعم العالم المنصف هو ! ٠ ان الخلاف واقع على نعت صيغة الجمع فأنا اقول انها

تأتي بكل صفة تضمنت ضمير المؤنث المفرد وهو يقول ان صيغة الجمع تنعت بصفة تتضمن ضمير المؤنث المفرد وضمير المؤنث الجمع ولا يجوز غير ذلك . فما ذهب اليه مردود بالقياس وبالسماع معاً فالقياس والسماع في هذا الردّ سواء

٢ً — الجموع مؤنثة

ولما كان الخلاف على صيغ الجموع وأي صيغة نعت تحق لها كان لزاماً الكلام على الجموع وتعيين موضعها من الافراد والتثنية والجمع فأقول ان الجموع تعدُّ مؤنثة فيعاد اليها الضمير الذي هو للمفرد المؤنث والضمير الذي هو للجمع المؤنث وشواهد هذين الضميرين ضمناً في اقوال المتنبي التي أورد منها ما يأتي

١ — (وأشارت بمـا أبيتَ رجال كنتَ اهدى منها الى الارشاد)

فالضمير في منها للمفردة المؤنثة عاد الى رجال جمع رجل للذكر العاقل

٢ — (تظنُّ فراخ الفتخ انك زرتها بأمّاتها وهي العتاق الصلادمُ)

ففي كلامه وهي مبتدا والعتاق صيغة جمع خبر والخبر يطابق المبتدا في الإفراد والتثنية والجمع ومرجع هي الى أمّات وهي صيغة جمع

٣ – (كذلك اخلاق النساء وربما يضلّ بها الهادي ويخفى بها الرشدُ)

فضمير بها راجع اما الى النساء واما الى اخلاق . واخلاق جمع خلق ونساء اما جمع نسوة بفتح الاول كسخلة وسخال وطلحة وطلاح واما اسم جمع كشرطة . فنساء موضع خلاف فهل للاب انستاس او لعضو من أعضاء المجمع الكريم الجلاء عن حقيقة نساء . وعلى الوجهين كليهما اقول ان الضمير الذي هو للمفردة المؤنثة عائد الى جمع او الى ماله مقام الجمع

٤ً – (بصير بأخذ الحمد من كل موضع ولو خبأته بين انيابها الأسد)

فقد اعاد ضمير انيابها وهو للمفردة المؤنثة الى الاسد جمع اسد

٥ً — (حسانِ التثني ينقش الوشي مثله اذا مِسنَ في اجسامهن النواعم)

فالحسان أعاد اليهن ضمير الجمع الذي في أجسادهن لأنهنّ من العاقلات ولو قال ماست وأجسادها لجاز .

٦ – (لكِ يا منازل في القلوب منازلُ أقفرتِ أنتِ وهنّ منك أواهلُ)

فخاطب المنازل بأنتِ وهي ضمير للمفردة المؤنثة واعادهنّ الى المنازل وهنّ للجمع المؤنث فمنازل قبلت الضميرين

فهذه الشواهد كافية لاثبات ان صيغة الجمع يعود اليها ضمير المفردة المؤنثة وضمير الجمع المؤنث ما لم يكن الجمع لما هو خاص بالعاقل كالملوك والملائكة فتقول الملوك حكموا والملوك حكمت ومنه قول المتنبي

(تظلُّ ملوك الارض خاضعة لهُ تفارقه هلكى وتلقاهُ سجدا)

فخاضعة فيها ضمير المؤنث المفرد او التاء للجمع وتفارقه فيها ضمير المؤنثة المفردة ولا تقول الملوك حكمنَ او امرنَ

هذا ما يثبتهُ المسموع من كلام العرب واما النصُّ الصريح فأوردهُ صاحب المصباح في ذيل معجمه وهو هذا

(قال ابو اسحاق الزجاج ، كل جمع لغير الناس سواء كان واحده مذكراً او مؤنثاً كالابل (هذه اسم جمع) والأرحل والبغال فانه مؤنث . وكل جمع للتكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيره وتأنيثه مثل الرجال والملوك والقضاة) وكلام هذا الامام طويل لا يتسع له المقام هنا فراجعه في موضعه . اذن البساتين والمبازين او الموازين والمنازل والسماحيق (جمع سمحاق) يعود اليها الضمير مفرداً وجمعًا لذلك قال طرفة (ديوانه طبع بيروت)

(ويوم رأينا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجفُ)

وقوله وهي حمراء أعاد الضمير (هي) الى سماحيق فيقال سماحيق ترب حمراء اذا أسقط الناثر وهي كما يسقط هو في مثل هذا القول : ففي شعر المتنبي

فأقبل من أصحابه وهو مرسل وعاد الى أصحابه وهو عاذلُ

[فيقول اقبل مرسلاً وعاد عاذلاً] ويكون بناء سماحيق الذي هو صيغة جمع كبساتين جاء الحال منه علي فعلاء وهذا احد شواهدي على نعت صيغة الجمع بفعلاء

٣ — الضمير العائد من النعت الى المنعوت

قالت النحاة ان الضمير العائد من النعت الى المنعوت يجب ان يطابقه في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع فلا يعود ضمير المفرد المذكر من نعتٍ الى منعوت هو صيغة جمع فان عاد كان ذلك الجمع على تأويلٍ بمفردٍ ومن ذلك قول زهير

فأصبح يهدى فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفالٍ مزنمِ

فان افالاً جمع أفيل كدغار جمع صغير وجاء نعتها بزنم الحامل الضمير الذي هو للمفرد المذكر وذلك على تأويل الافان بالمفرد

٤ — بماذا تنعت صيغ الجموع

شأن صيغ الجموع في قبولها النعت شأن الابنية المفردة . والمفرد يأتي نعته جملة اسمية وجملة فعلية وبناءً مفرداً بشرط ان يكون الضمير العائد من النعت الى المنعوت يطابقه في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع .

فلنا ان تقول : عندنا دروع نسجتها التبابعة والتبابعة نسجتها وينير بريقها الظلام او وبريقها ينير الظلام فكل تعبير من هذه التعابير صحيح . والضمير العائد من هذه الجمل هو ضمير المفردة المؤنثة . وفي الغناء من البساتين الغناء ذلك الضمير عينه فاذا صحَّ ان يجيءَ الضمير الذي تتحمله صفة النعت التي هي جملة « هي » صحَّ ان يتحمل البناء المفرد ذلك الضمير أيضاً وان لم يصحَّ ان تكون « هي » رابطة للبناء المفرد الوارد نعتاً بالمنعوت الذي هو صيغة الجمع فلا تصح ان تكون هي رابطة للجملة بالمنعوت الذي هو صيغة جمع .

ولا يجهل ذو مسكة في النحو ان المفرد اصل في الحال وان الجملة اتت عوضاً عنه وان الجملة تؤول بالمفرد لتأخذ محله في الاعراب فكيف يكون الفرع اقوى من الأصل فيقال دروع نسجتهن التبابعة ونسجتها التبابعة ولا يقال بساتين غناء وبساتين غنّ بل يقال بساتين غنّ ولا يجوز غير ذلك . وقد قال المتنبي

لكِ يا منازل في القلوب منازل اقفرتِ انتِ وهنَّ منك أواهل

فقال أقفرتِ والضمير عائد الى منازل وقال هن والضمير عائد الى منازل ولو صحَّ قوله ان الضمير الذي يعود الى بساتين يجب ان يكون هنَّ ولا يصح هي لسقط

كثير من كلام العرب . وكل ما يعارض كلام العرب ساقط لا صحة له فحكم الأب أنستاس باطل

٥ً — حينما يتحمل نعت صيغة الجمع ضميراً يطابق المنعوت في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع يكون مقبولاً ولا عبرة في صيغته اكان ذلك النعت جملة او مفرداً وسواء كان هذا المفرد من ابنية الجموع او من ابنية الافراد .

تقدم القول ان صيغة الجمع معدودة من المفردات المؤنثة فتنعت بالجملة الحاملة ضمير المفردة المؤنثة وبكل مفرد مؤنث يتحمل ذلك الضمير فمن ذلك نعت الدروع بالمحصفة والمحصدة والمنازل بالاولى والاخرى قال المتنبي :

(هذي منازلك الاخرى نهنئها فمن يمرّ على الاولى يسليهــا)

فنعت المنازل بالأخرى وبالأولى وأعاد اليها ضمير المفرد المؤنثة في نهنئها ونسليها والاولى والاخرى قال صاحب المصباح انهما مفردتان وهذا بيانه عنهما « اذا تقرر ان الاول بمعنى الواحد فالمؤنثة هي الاولى » ثم قال « وتقدم ان الآخر بمعنى الواحد فان الاخرى بمعنى الواحدة » والذي اجاز نعت المنازل بالاولى والاخرى تحملها الضمير الذي هو « هي » وبحسب قاعدة الكرملي لا يجوز نعت المنازل بالاخرى ولا بالاولى وان يقال نهنئهن لا نهنئها والأول او الأوائل لا الأولى

٦ً — التاء الواردة في الدروع المحصدة والتاء الواردة في الدرع المحصدة :

الدرع مؤنثــة وتذكر يقال درع ذائل ودرع ذائلة . ودرع حصداء ودرع محصدة . وجاءت صفة الدروع على محصدة فيقال دروع محصدة

فاسأل الاب انستاس عن تاء دروع محصدة اهي تاء درع (الواحدة) محصدة أو تاء أخرى

ان قال هي هي فتاء درع محصدة للافراد وتاء دروع محصدة أيضاً للافراد أي ان القائل انزل الجميع منزلة المفرد كما تقدم الشاهد في انزال إفال منزلة المفرد وحينئذٍ لامانع من ان يقال « دروع حصداء » لأن الجمع اعتبر مفرداً فأعطي ما يعطى المفرد ومتى صح دروع حصداء صحّ بساتين غناء

وان قال تاء دروع محصدة للجمع وتاء درع محصدة للافراد فالصورة واحدة ولكل منهما معنىً مستقل — ان قال ذلك قلت : الرماح السمهرية في قول المتنبي

وخلّ الرماح السمهرية صاغراً لأدرب منه في الطعانِ وأحذقِ

من باب نعت الجمع بجمع فالسمهرية في قولهِ

وبساتينك الجياد وما تحـ ـمل من سمهرية سمراء

هي صيغة جمع وجاء نعتها على فعلاء · فسواء كانت التاء للمفرد او للجمع جاء نعتها على صيغة فعلاء اذن يقال دروع حصداء

٧ — السماع يؤيد القياس في هذا الشأن

هذه الأدلة كلها من باب القياس · والسماع يؤيد القياس في هذا الشأن · فمن السماع قول طرفة المتقدم آنفاً

« ويوم رأينا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجفُ »

ومن ذلك قول الفند الزماني معاصر المهلهل التغلبي

بقيت بعده الجليـلة تبكي والخدود العيطاء تدعو لحاحا

هكذا جاء في روضة الادب (ص ١٨٥) وشعراء النصرانية (ص ٢٤٣)

وورد في كتب النحاة كشروح ألفية ابن مالك وفي المعاجم كالقاموس والتاج جـاؤوا الجماء الغفير أي يقال جاء العلماء الجماء الغفير فالجماء حال من العلماء والعلماء يعود اليهم ضمير المفردة المؤنثة تقول العلماء قررت كما تقول العلماء قرروا فجاءت الحال من علماء على زنة فعلاء واحكام الحال وأحكام النعت واحدة

وفي شرح الزوزني القاضي قول الحارث اليشكري « وله فارسية خضراء» يقول : « وله دروع فارسية خضراء » فدروع منعوت وفارسية اما نعت اول واما عطف بيان وخضراء نعت دروع اما نعت ثان واما نعت اول

فهذه اربعة شواهد تؤيد ان فعلاء تأتي نعتاً لصيغة لاخلاف في انها صيغة جمع · هذا المقصود من هذا المقال

امين ظاهر خير الله

نُخب من مناهل الادب

استأهل — تستعمل بمعنى استوجب واستحق وقد انكر هذا الاستعمال المازني والجوهري واقرّه صاحب القاموس وغيره قال الزمخشري في الأساس: هو مستأهل لكذا : سمعتُ اهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعاً)وقال الأزهري : (خطأ بعضهم من يقوله وأما انا فلا انكره ولا اخطئ من قاله: لأني سمعت أعرابياً فصيحاً من بني اسد يقول لرجل شكر عنده يدا « تستأهل يا ابا حازم ما اوليت » قاله بمحضر جماعة من الأعراب فما انكروها عليه اه قول الازهري

* * *

لما خرج المأمون الى الشام جعل يطوف على قصور بني امية و يتتبع آثارهم فدخل صحناً من صحونهم . فاذا هو مفروش بالرخام الاخضر كله . وفية بركة ماء . يدخلها و يخرج من عين تصب اليها . وفي البركة سمك . و بين يديها بستان . على اربعة زوايا اربع سروات . كأنها قصت بمقراض من التفافها . احسن ما ترى العين من السروات قط قداً وقدراً . فاستحسن المأمون ما رأى . وأعجب به .

* * *

جاء في التاج في تفسير كلمة الخَرُوط أنه الذي يتخرط في الامور جهلاً ومعنى يتخرّط يركب رأسه فيها من غير علم ولا معرفة : فتراه يتهوّر في كل مايريد كالفرس الخَرُوط الذي يمضي على وجهه شارداً . ومنه حديث علي رضي الله عنه انه أتاه قوم برجل وشكوه قائلين : ان هذا الرجل يؤمنا في صلاتنا ونحن له كارهون . فقال له علي « انك لخَرُوط !! اتؤم قوماً وهم لك كارهون ؟ ! » انتهى كلام التاج فليحذر اذن من يتولى امراً من امور الناس وهم كارهون له غير راضين عن ولايته . والا حقت عليه كلمة سيدنا علي وصح اطلاق وصف الخروط عليه

* * *

فَرْنَسة المرأة : حسن تدبيرها لامور بيتها وهي مفرنسة . قالوا والنون في فرْنَسة زائدة : يريدون ان الكلمة عربية وانها مشتقة من الفراسة والفروسة ومعناها الحذق بأمر الخيل . ولما زادوا النون خصّ المعنى بالحذق في ادارة المنزل . ومن الوهم ان نقول ان النون في الفرْنَسة اصلية بناء على اشتقاقها من كلمة(فرنسا) لكن اتفق ان تكون المرأة الفرنسية مفرنسة اي مشهورة بالحذق في تدبير شؤون بيتها وقد فسر معجم الفرائد الدرية الفرنسة العربية بقوله : **Bonne administration de la femme Menagère**

* * *

اسرت قبيلة مزينة ثابتاً وهو ابو حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله علية وسلم ولما اراد ان يفدي نفسه ابوا الا ان يأخذوا فديته تيساً . يريدون امتهانه . وانف هو من ذلك . ولما طال الامر وضاق صدر ثابت ارسل الى قومه الخزرج «افدوا اخاكم بأخيهم »!! فأرسلوا اليه تيساً . فسيدنا حسان اذن جرى على عرق في صنعة الشعر

* * *

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى ولكل اجل كتاب مانصه الشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم اه والمعنى ان الشرائع المتعلقة بمصالح البشر تختلف باختلاف الاعصار ولاجرم ان الاعصار غير ثابتة . فكذلك الشرائع المتعلقة بالمصالح يتحتم أن تكون متغيرة غير ثابتة . وهذا معنى ماورد في الاثر تحدثون ويُحدَث لكم

(المغربي)

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد السابع عشر

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

مجلة المجمع العلمي العربي

تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٢		شوال وذوالقعدة سنة ١٣٦١

عظيم بني امية

كان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان عظيماً في كل حالاته ، ومن حسن طالعه أن أربعة من أولاده ولوا الخلافة بعده فدعي لذلك بأبي الأملاك وكان أولاده مثله من النابغين في سياسة الملك وحكم الشعوب والعناصر تحت لواء العربية والاسلام ، وهم الخلفاء سليمان بن عبد الملك ويزيد بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك وهشام ابن عبد الملك ٠

ومن يتصفح تاريخ الأمويين يقع الحين بعد الآخر على اسم مسلمة بن عبد الملك وما كان له من غزوات كثيرة إلى بلاد الروم والترك والخزر والسند ، ومن ولايات عظام كاذربيجان وخراسان وأرمينية والجزيرة والسند والعراقين ٠ وقد يشك من لم يقرأ الأحداث قراءة تدبر إذا كان مسلمة هو ابن الخليفة عبد الملك أو ابن رجل آخر اسمه عبد الملك كان من جملة قواد الأمويين العظام ٠ بلى هو ابن الخليفة نفسه ، النابغة الذي قل أن ولدت النساء مثله في عقله وحكمته وحسن إدارته وسياسته ٠

فإذا عرف الناظر أن مسلمة هو ابن الخليفة وأنه فرع تلك الدوحة الزكية وهو على هذه الصفات الغر يتساءل لِمَ لم يكن له اذأحظ في الخلافة وهو ما هو لا يقل عن إخوته في جميع ما لهم من صفات ان لم يكن على صفات هي فيه أقوى منهم ٠

فالجواب ان مسلمة وإن عمل للخلافة طول حياته وعدّ من أساطين القواد الذين امتازوا بفتوحهم فقد كان فيه نقص فطري لا يمكن جبره بحسب عرف تلك

الأيام . وهذا النقص إن صح أن ندعوه نقصاً منعه من تولي رقاب المسلمين كافة ، وان استوفى شروط الإمامة ، وكان آخذاً بجميع صفات الخير فقضت عليه الأقدار ألا يعمل إلا تحت أيدي إخوته طول حياته ، فعمل لبيتهم العظيم لا لنفسه ولا لسمعته .

هذا النقص في مسلمة أورثته إياه أمه ، وأمه كانت أم ولد رومية ، وأبناء الجواري في بني أمية لاحظ لهم في الخلافة مهما بلغ من عبقريتهم وتفردهم بالمزايا التي يقل اجتماع مثلها في شخص ، فهو وعبد الله والمنذر وعنبسة ومحمد وسعد الخير والحجاج لأمهات أولاد والباقون من أولاد عبد الملك أبناء حرائر . وطهارة الدم العربي شرط أعظم فيمن يتولى الخلافة الأموية ، ولا كمال إلا بدم عريق في العروبة من الأب والأم .

نعم كانت أم مسلمة السبب في تأخر ابنها عن الخلافة ، أما في الدولة الخالفة دولة بني العباس فما كان يلتفت إلى هذا الشرط في تولي الإمامة الكبرى ويكاد يكون معظم الخلائف من ابناء الجواري إلا رأسهم السفاح ، فالعباسيون خلاسيون والأميون عرب أقحاح . ومن أمهات خلفاء العباسيين من كن زنجيات ، وكان لبعض أولئك الأمهات يد طولى في إصعاد بنيهم إلى دست الخلافة وقد يأتين بالغث الذي لا يستحق أن يخطب له الخطباء ، ولا أن تضرب السكة باسمه .

روى الجاحظ في البيان والتبيين أنه لم يكن في ولد عبد الملك أفصح من هشام ومسلمة ، وان مسلمة كان شجاعاً خطيباً وبارع اللسان جواداً . وهذه الصفات التي خص بها تؤهله لأرقى المناصب في الدولة وهي الحكم وقيادة الجيوش . ولذلك سأل أخاه هشاماً يوماً كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان ؟ فقال لأني حليم ولأني عفيف . ومسلمة جمع إلى الأناة والعفة بلاغة اللسان يستهوي بها العقول ، وكرم النفس يستميل به القلوب ، ولو أنصفنا لقلنا إن عبد الملك هو سبب حرمان ابنه الخلافة لأنه استولد أمة وتزوج من جارية غير مهيرة .

كان مسلمة على جانب عظيم من الحزم وقوة الارادة ، قال مرة ما أخذت أمراً قط بحزم فلمت نفسي فيه وإن كانت العاقبة علي ، ولا أخذت أمراً قط وضيعت الحزم

فيه إلا لمت نفسي وإن كانت العاقبة لي ، وقال ما أحمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم ، هذا حزمه أما شجاعته فقد سأله أخوه هشام يوماً فقال : يا أبا سعيد هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ قال ما سلمت في ذلك من ذعر ينبه على حيلة ، ولم يغشني فيها ذعر سلبني رأيي . قال هشام : هذه والله البسالة ، وإذ عرف مسلمة بهذه الصفات النادرة كان يوجه في المهات الدقيقة إلى الشرق والغرب وقد شتى وصاف في ضواحي القسطنطينية غير مرة .

استبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة في سيره إلى الروم فكتب اليه .

لمن الظعائن سيرهن تزحف ... سير السفين إذا تقاعس تجدف

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب اليه .

ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم

(ترمرم حرك فاه للكلام ولم يتكلم وزبنته الحرب صدمته) .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان مسلمة أمير المسلمين على أسوار القسطنطينية ، أمره بالقفول بمن معه خوفاً عليهم . ولطالما أوغل في أرض الروم وفتح حصونهم ومدائنهم مثل الطوانة وعمورية وسورية وقيسارية وماسية وفتح مدينة الصقالبة وأغارت عليه خيل برجان فغلبهم . ومنذ روى له أحدهم حديث الرسول عليه الصلاة والسلام (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش) قويت عزيمته على فتحها وقد بنى مسجداً في مدينة اندس على غربي خليج القسطنطينية بين جبلين بينها وبين القسطنطينية ميل واحد وكان يفاوض صاحب الروم أيام المهادنات وربما تهاديا ، وله آثار كثيرة في الحروب ونكاية في الروم وكان يجمع بين ما تقتضيه الحروب من تخريب وما يجب على الأمير أن يعمله في العمران .

لقبه خصومه بالجرادة الصفراء لصفرة كانت تعلو وجهه ، وكنيته أبو سعيد وأبو الأصبغ ويكنى بهما جميعاً ، وكان يكتب له سميع مولاه وكان هذا يقول إن مسلمة بن عبد الملك في الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام

روى ابن عساكر قال حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً فأصابهم فيه جهد عظيم فندب الناس إلى نقب فيه فما دخله أحد ، فجاء رجل من الجند فدخله ففتح الله عليهم فنادى مسلمة : أين صاحب النقب فما جاء أحد حتى نادى مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً

فجاء في الرابعة رجل فقال : أنا أيها الأمير صاحب النقب آخذ عليكم عهوداً ومواثيق ثلاثاً الا تسودوا اسمي في صحيفة ولا تأمروا لي بشيء ، ولا تسألوني ممن أنا . قال فقال مسلمة : قد فعلنا ذلك بك قال فغاب بعد ذلك فلم يره قال فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دُبُر صلاته : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

ولمسلمة إلى هذا أدب غض وفضل حكمة وإصالة رأي روي عنه أنه قال مروءتان ظاهرتان الرياش والفصاحة . ودخل إلى الوليد فاسترضاه من شيء بلغه عنه فرضي عنه وخرج مسلمة بعد المغرب فقال الوليد : خذوا الشمع بين يدي أبي سعيد فقال مسلمة : يا أمير المؤمنين لا مريت الليلة إلا في ضياء رضاك . وكان يقول إن أقل الناس في الدنيا همّاً أقلهم في الآخرة همّاً .

كان إذا كثر عليه أصحاب الحوائج وخاف أن يضجر قال لآذنه : ايذن لجلسائي ، فيأذن لهم فيفتن ويفتنون في محاسن الناس ومروآتهم ، فيطرب لها ويهتاج عليها ، ويصيبه ما يصيب صاحب الشراب ، فيقول لحاجبه : ايذن لأصحاب الحوائج فلا يبقى أحد إلا قضيت حاجته . روى هذا ابن عساكر وروى أيضاً انه كان بين مسلمة بن عبد الملك وبين العباس بن الوليد بن عبد الملك مباعدة فبلغ مسلمة ان العباس يتنقصه فكتب اليه هذه الأبيات[1]

فلولا أن اصلك حين تنمى ... وفرعك منتهى فرعي واصلي
وإني إن رميتك هضت عظمي ... ونالتني إذا نالتك نبلي
لقد أنكرتني إنكار خوف ... يضم حشاك عن شتمي وعذلي
فكم من سورة ابطأت عنها ... بنى لك مجدها طلبي وحملي
ومبهمة عييت بها فأبدي ... حؤولي عن مخارجها وفضلي
كقول المرء عمرو في القوافي ... لقيس حين خالف كل عدل
عذيرك من خليلك من مراد ... اريد حياته ويريد قتلي

(١) في العمدة لابن رشيق وفي زهر الآداب للحصري ان هذه الأبيات قالها العباس لمسلمة . وفي رواية الزهر أول الأبيات :

الا اقنى الحياء ابا سعيد ... وتقصر عن ملاحاتي وعذلي .

وروى شطر « يضم حشاك عن شتمي وعذلي » هكذا : يضم حشاك عن شتمي وأكلي

ولا ندري اذا كانت هذه الأبيات من نظمه فانهم قالوا انه لم يقل شعراً قط إلا هذا البيت ·

ولو بعض الكفاف ذهلت عنه لا غناك الكفاف عن الفضول

وقالو انه روي له شعر غير هذا · اما في النثر فله آيات تنم عن خلق طاهر وأدب ظاهر منها ما رواه الجاحظ قال كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر من أبين الناس وأفصحهم ، وكان مسلمة بن عبد الملك يقول إني لأنحي كور العمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلى بن عبد الله · وروى انه تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة فأسهبوا في القول ثم اقترع المنطق رجل من اخريات الناس لا يخرج من حسن إلا إلى احسن منه فقال مسلمة : ما شبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء الا بسحابة تبدت عجاجة · ومن كلماته اللحن في الكلام اقبح من الجدري في الوجه · وكان يكره كل لحانة ولا يحب ان يأخذ عنه · وقال : عجبنا من رجل احفى شعره ثم اعفاه ، او قصر شاربه ثم اطاله ، او كان صاحب سراري فاتخذ المهيرات (والمهيرات الحرائر الغاليات المهر)

كان مسلمة يشارك الأدباء في ادبهم كما يشارك رجال الجيش والسياسة بعملهم حتى لقد قال أنا أعلم العرب بثلثة يعني الأخطل والفرزدق وجريراً · اما احدهم فيجيء سابقاً أبداً يعني الأخطل واما الآخر فيجيء مصلياً يعني الفرزدق ، وأما الآخر فيجيء سابقاً مرة وسكيتاً مرة وهو جرير · وقيل له أي الشاعرين أشعر أجرير أم الفرزدق ، فقال إن الفرزدق يبني وجرير يهدم ، وليس يقوم مع الخراب شيء · ولطالما فاتش إخوانه وغيرهم عن شعر الشعراء فأبان عن ذوق عال · وقال يوماً لنصيب : أمدحت فلاناً ؟ فقال : نعم · قال : أو حرمك ؟ قال : فعل قال : فهلا هجوته ؟ قال لم أفعل · قال : ولم ؟ قال : لأن كفك بالعطية أجود من لساني بالمسألة · فوهب له ألف دينار ·

هذا هو رجل بني أمية وهذا ما وصلت اليد اليه من أخباره وهو في الحقيقة يحتاج إلى دراسة أوفى من هذه · ذكر من عنوا بتدوين سيرة مسلمة أنه ابتدع امراً جديداً من اعمال البر والخير لم يسبقه إلى مثله سابق · قالوا إنه اوصى بثلث ماله لطلاب الأدب وقيل بثلث ثلثه ، وقال ان الأدب صناعة مجفوّ أهلها ·

وكانت دار مسلمة بدمشق في محلة القباب عند باب الجامع القبلي اي الجامع الأموي والغالب ان داره كانت قريبة من قصر الخضراء دار أمير المؤمنين معاوية ابن ابي سفيان وأولاده ، وتوفي مسلمة يوم الأربعاء لسبع ليال خلون من المحرم بموضع يقال له الحانوت في سنة إحدى وعشرين ومائة وقد رثاه الوليد بن يزيد بقوله :

اقول وما البعد إلا الردى   امسلم لا تبعدن مسلمة
فقد كنت نوراً لنا في البلا   د مضيئاً فقد اصبحت مظلمة
ونكتم موتك نخشى اليقين   فأبدى اليقين عن الجمجمة

قالوا لما توجه مسلمة غازياً إلى الروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس (مسكنة اليوم) فأتاه أهلها واهل بويلس وقاصرين وعابدين وصفين ، وهي قرى منسوبة إليها فسألوه جميعاً ان يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم ، على ان يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه ، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشرط ، ورم سور المدينة وأحكمه ، فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته .

روى الطبري ان العباس بن محمد لما وجه المهديُّ الرشيد إلى الصائفة في سنة ١٦٣ خرج بشيعه وانا معه ، فلما حاذى قصر مسلمة قلت : يا أمير المؤمنين إن لمسلمة في اعناقنا منة . كان محمد بن علي مرَّ به فأعطاه أربعة آلاف دينار وقال له : يابن عمِّ هذان الفان لدينك والفان لمعونتك فإذا نفدت فلا تحتشمنا . فقال لما حدثته الحديث : أحضروا من هنا من ولد مسلمة ومواليه . فأمر لهم بعشرين الف دينار ، وأمر ان تجري عليهم الأرزاق ثم قال : يا أبا الفضل كافينا مسلمة وقضينا حقه . قلت نعم وزدت يا أمير المؤمنين .

وهذا أيضاً مثال من جميل أخلاق مسلمة اعطى احد أعداء دولته ما يصعب على قائد من قوادها اداؤه ، فعرف له الخليفة العباسي ما قدمه لأحد اجداده من الخير فكافأه عليه اضعافاً مع شدة العباسيين على الأمويين ، ولكن المعروف لا يسع عاقلاً إنكاره . ومن عرفك في الشدة كنت أولى ان تعرفه في الرخاء .

محمد كرد علي

صلة الجاهلية بالعالم القديم

(٣)

التراجمة العرب في الامبراطورية

اما التراجمة العرب الذين تبوأوا المناصب الرسمية في الدولة الرومانية فلم يكن لهم شأن يؤبه له اما الذين كانوا منهم في بلاط فارس فأشهرهم عدي بن زيد ، ولقيط بن زرارة وكان لهم فيه مقام اثير لاتصالهم المباشر بالملك الأعظم ومعرفة لغته وقيامهم بالترجمة بينه وبين العرب ، ولذلك كان الناس يرغبون اليهم ويرهبونهم ، وكان عدي اذا اراد المقام في الحيرة في منزله ومع ابيه واهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر او الشهرين واكثر واقل ، واذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد عدي ، وقد أرسله كسرى سفيراً الى ملك الروم بهدية من طرف ما عنده فلما اتاه عدي اكرمه وحمله الى عماله على البريد ليريه سعة ارضه وعظيم ملكه وقد وقع عدي في دمشق وقال فيها الشعر فكان مما قال :

رب دار بأسفل الجزع من دو　　مة اشهى الي من جيرون

وندامى لا يفرحون بما نالوا　　ولا يرهبون ريب المنون

قد سقيت الشمول في دار بشر　　قهوة مزة بماء سخين

وكان لتلاعب المترجمين اثر واي اثر في تصريف الأمور ومن ذلك ما فعل زيد بن عدي باللفظ المترجم أخذاً بثأر ابيه فقد طلب كسرى من النعمان نساء لنفسه واوفد اليه زيد بن عدي ومعه رسول فارسي وقد زعم زيد للنعمان عند الاجتماع به في الحيرة ان كسرى اراد بمصاهرته تكريمه فشق الأمر على النعمان لضن العرب بنسائهم على غيرهم فقال لزيد ورسول كسرى يسمع ، اما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فترجمها زيد « كاون » اي البقر فكانت تلك الترجمة سبباً آخر في تفاقم العداء بين الملكين .

اما لقيط فقد غضب لقومه عندما رأى سابور مجمعًا على غزو اياد فكتب لهم قصيدة ينذرهم فيها غزو الملك اياهم وقد قطع الملك لسان لقيط عقاباً له وغزا اياداً ومما قال لقيط :

يا لهف نفسي ان كانت اموركم شتى واحكم امر الناس فاجتمعا
قوموا قيامًا على امشاط ارجلكم ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا
وقلدوا امركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفًا ان رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطره يكون متبعًا طوراً ومتبعا

اما الحجاز فكان السلطان فيه للعمالقة ثم لجرهم ثم لخزاعة وانتقل بعد ذلك الى قريش على يد قصي بن كلاب .

الخلاصة

وفي الجملة ان العرب لم يكونوا في تلك الحقبة الأخيرة من العصر الجاهلي أمة بالمعنى القومي الصحيح بل كانوا عمالاً لغيرهم وخولاً لسواهم الا انهم كانوا قد سئموا تلك الحالة من شيوع الفوضى في الأعمال والمتاجر وفقدان الأمن وثقل وطأة الغريب فظهروا بمظهر المتبرم الناقم وذلك في ثورات عدة كغارة تميم وقيس متساندين على اطراف المملكة الفارسية ، حتى ان الأوس والخزرج كانوا قد تعاهدوا في يثرب على ان يكون عبد الله بن أبيّ ملكاً عليهم ، وعندما سار سيف بن ذي يزن على الحبشة وانتصر عليهم خرج عبد المطلب من الحجاز الى اليمن لتهنئته بالنصر ، وقدمت على سيف وفود العرب وأشرافها ووفد قريش خاصة وقيل في ذلك شعر مشهور ، ولقد كان الاستعماران الفارسي والروماني مما اجتواه العرب في النهاية وازورّوا عنه ، ولقد رويت لكم ما كان من امر بني غسان وهرقل وأضيف عليه بهذا المقام ان الأمور كانت قد ساءت كذلك بين الأكاسرة والملوك اللخميين حتى فر النعمان من كسرى الى البادية يطوف على القبائل ليس احد منهم يقبله وهو النعمان الثالث ابوقابوس ممدوح النابغة الشاعر المشهور ثم نزل بهاني بن

مسعود الشيباني فأجاره واشار عليه بعد ان جعل حرمه وسلاحه في ذمته ان يشخص الى كسرى فلا يكون بعد الملك سوقة يتلعب به صعاليق العرب ويتخطفه ذؤبانها فقال له النعمان : هذا وابيك الرأي الصحيح ويمم كسرى فلما بلغ بابه بعث اليه من قيده وزج به في السجن وقيل القاه تحت ارجل الفيلة فقتلته وكان هلاك النعمان سنة ٦٢٠ م فغضبت له العرب وكان مقتله السبب في وقعة « ذي قار » التي قال عنها الرسول ﷺ اليوم انتصف العرب من العجم وقد نزحت قبيلة بكر ابن وائل بعد تلك الحرب الى البحرين فنزلت فيها غاضبة ساخطة واستأنفت الثورة على الفرس فانقطعت المواصلات بين فارس وبين الشرق والجنوب من بلاد العرب واخذ الاستعمار الفارسي بالأفول ولم يغنِ عن فارس مافعلته قبل ذلك من اختيار اياس بن قبيصة من قبيلة طي ملكاً على الحيرة فقد توفي اياس هذا سنة ٦١٤ م اي قبل مقتل النعمان واصبحت الحيرة بعد اياس المشكلة المعقدة في السياسة الفارسية ، واوحى الأفن في الرأي الى رجالها ان ينزعوا استقلال الحيرة ويجعلوها ولاية فارسية ففعلوا ونصبوا عليها حاكماً منهم فثارت مراجل الغضب في نفوس اهلها العرب وتربصوا بالفرس الدوائر وكان قد راعهم من قبل وملأهم رعباً ما شهدوا من وثبة الليث وما سمعوا من وقع لجيه على الفريسة ولكن شدّ منهم ورفه عنهم صوت النبوة الأقدس من الحجاز فاشرأبوا اليه جزلين فإذا هو منهم جدّ قريب واذا بالجحافل الفارسية في الحيرة تخنع بعد حين للفاتح العربي الجديد .

وكذلك كان الشعور القومي بين العرب يزداد قوة على قوة ويدنو بعضه من بعض .

اللغة العربية والعرب

ذلك ما كان عليه العرب من حال سياسية لم تخل من شوائبها كتابتهم ، فقد كانت لغتهم العربية وهي نفس اللغة التي نتكلمها نحن اليوم ما عدا اليمن وما اليه من أطراف نائية الا ان العرب الاقدمين وان نطقوا بتلك اللغة الكريمة فقد كانت كتابتهم باللغات الاخرى الغريبة ، فالمرقش الاكبر كتب شعره بالأحرف السريانية ، والغسانيون وان كانت لغتهم مضرية فقد دونوا اشعارهم واخبارهم بالعبرية او الرومية او السريانية ،

وكان المناذرة مثلهم قد كتبوا الخط الارامي وعلى ذلك جرى التدمريون والأنباط فقد كانت كتابتهم بالارامية ولغتهم المأنوسة هي العربية ٠

قال العلامة جويدي :

« ومن اللغات الأرامية الغربية لغة الكتابات النبطية وكانت الانباط أمة عربية الأصل ولغتها المأنوسة العربية فكانت اذ ذاك العربية للتكلم والمحاورة بين الناس لا لتحرير الكتابات والمكاتيب اذ الأحرف الهجائية لم تستنبط بعد » ٠

وقال الاستاذ مرجليوث عن العربية ما يأتي :

انها « لغة عاشت أجيالاً طوالاً محتفظة بنحوها وصرفها ومعاني مفرداتها من غير ان يكون لها أدب مكتوب، الأمر الذي يستدعي عناية فقهاء اللغات واهتمامهم ٠ ثم قال :

« ان تلك اللغة لعجيبة في انتشارها ورشاقة تعابيرها ودقة تراكيبها وغنا مفرداتها واننا لنجد في نحوها الواسع تعليلاً وتفسيراً لكل ما يواجهنا من التراكيب الشاذة في اللغات السامية الأخرى على الرغم من ان لبعض هذه اللغات آدابا قديمة يرجع تاريخها الى عصور قديمة جداً ، فمن ذلك ما نجده في التوراة من التراكيب الشاذة المعقدة التي لا تستقيم ونحو اللغة العبرية والتي لا نجد لها تعليلاً وتفسيراً الا بالالتجاء الى النحو العربي ، اذ هو النحو الوحيد الذي نجد فيه ما يوضح لنا كثيراً من معميات التوراة وما خفي من تراكيبها الشاذة » ٠

ولا أزيد على ذلك كله الا قولي انه التعليل المعقول لضياع الكثرة من الأدب العربي القديم الذي اشار اليه عنترة بقوله « هل غادر الشعراء من متردم » ولذلك لم يبلغنا منه الا وشل من بحر ، وثمد من قطر ٠

أيها السادة

انه لخليق بي ان اسجل بعد هذا كله ان لغتنا العربية ليست بالحديثة الطارئة ولكنها صنو الدهر وترب الأجيال المتقادمة وانها هي نفس اللغة التي تكلمت بها القبائل العاربة او البائدة، قال الطبري في السفر الأول من تاريخه المطبوع في ليبسك في الصفحة ٢١٣ ما يأتي

« ولقد كان بنو عاد وثمود يتكلمون بهذا اللسان المضري ويقال لهم العرب العاربة لأنه لسانهم الذي جبلوا عليه » ٠

وبذلك قال صاحب نهاية الأرب في انساب العرب ولم يتعرض احد فيما اعلم
نقض ذلك الرأي او القول بخلافه من عرب ثقاة او مستشرقين محققين .

العربيــة وأسماؤهــا

ان لغتنا هذه العربية تعرف كذلك بالمضرية ، والقرشية ، والعدنانية ، والفصحى ،
سماها القرآن الكريم (اللسان العربي المبين) وحسبها شرفًا ان القصائد الصادعة ،
والحكم الرائعة ، والخطب البارعة ، والمؤلفات الجامعة ، والرسائل المحبرة ، لم تكن الا
ن وشيها الأنيق ، ونسجها البديع ، وانها لأفصح ما اختلج به لسان .

العربيــة القحطــانية

اما العربية القحطانية فتعرف باللغة الجنوبية وهي بالقياس الى المضرية اقرب الى
الرطانة الاعجمية وقد انتشرت في اليمن وحضرموت جنوباً حتى عُمان والبحرين شرقاً
كالمعينية والسبئية والحميرية وقد اودت قبيل الإسلام او كادت وخلفتها لهجات متعددة
كالزبور في حضرموت وبعض اليمن ، والرشق في عدن ، والحويلة في مهرة والشحر ،
والزقزقة بين الأشعريين .

وهناك بضع قبائل كانت منازلها في الجنوب فنزحت منه الى الشمال واختلطت
بأبناء معد بن عدنان اي ربيعة ومضر فأصبحت لغاتها مضرية مثل بني عطية وكندة وتنوخ

بنو قحطان وعدنان

ولقد كان القحطانيون قبل الإسلام أرباب الممالك والتيجان ، وأبناء الحضارة
والعمران بخلاف العدنانيين الذين كانت تغلب عليهم البداوة فوق انهم كانوا قبائل
متفرقة فلما تبلج فجر الإسلام تبوأ العدنانيون غارب الزعامة وألقت اليهم العرب
بالمقاليد فانتقلت السيادة من قحطان الى عدنان .

اللغات الساميــة

اما اللغات السامية فتنقسم الى ثلاثة فروع هي :

(١) العربية — وصنواها الحميرية والاثيوبية اي الحبشية القديمة

(٢) الآرامية — وفروعها السريانية والكلدانية والسامرية

(٣) العبرية — وما ماثلها كالفينيقية والكنعانية

وهنالك قسم رابع يضم الآشورية والعيلامية .

وأما مزايا اللغات السامية فأشهرها الخصائص السبع التالية وهي :

(١) ان بين حروفها الصحيحة حروفاً حلقية كالحاء والخاء والعين

(٢) ان كلماتها تتألف غالباً من ثلاثة أحرف

(٣) ان لأفعالها زمانين وتصاريفها قياسية ومشتقاتها متشابهة

(٤) فيها المذكر والمؤنث والاعراب الذي هو من خصائص الآشورية والعربية المضرية

(٥) ليست فيها افعال او اسماء مركبة الا الأسماء المزجية .

(٦) انها تكتب من اليمين الى اليسار ما عدا الحبشية فتدون بالعكس ويرجح ان ذلك طارىء عليها لأن نقوشها القديمة تجري على غرار اخواتها .

(٧) ان الحركات تستعمل فيها للدلالة على بعض الأصوات .

سادتي الأماثل

لقد رأيتم مما ألقيته على مسامعكم الكريمة ان العرب لم يظفروا بأية وحدة في دارتهم او كتابتهم او اهدافهم او قوميتهم الا بعد بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم فقد جمع كلمة العرب قاطبة في وحدة عميمة شاملة أخرجتهم من الظلمة الى النور ومن الضعف الى القوة فنهضوا تحت رايته المقدسة الوارفة تلك النهضة الصادقة التي تحدث عنها التاريخ وتغنت بها الأجيال « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » .

الصلة التجارية

ايها السادة

ان حديث التجارة لممتع طريف ، فلقد كان العالم وما فتأ قطب رحاه التجارة ، وقديماً كانت الهند ، وكان الشرق الأقصى ، وهما الهدف المنشود لرواد المغانم والمرابح ، ومن المعلوم ان الملاحة في البحر الهندي كانت محفوفة بالمخاطر فوق انها طويلة الأمد بعيدة الشقة لاعتياد القوم فيها على الريح وفي الاخص قبل المامهم في تلك الأيام

بخصائص الريح الموسمية ، وهـذه الريح اثنتان — الأولى تهب من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، والأخرى تهب من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، ومدة كل واحدة منهما ستة أشهر

ولقد كان العرب يعرفون لدى الشعوب القديمة بانهم وسطـاء التجارة ، وحفظة دروبها ، جرياً على عادتهم في الحل والترحال ، وتمرسهم بالمفاوز ، وارتيادهم ما فيها من مرعى ومسارب ومناهل وآبار فوق صبرهم على شظفها ولأوائها ، وكانت بلادهم بحكم موقعها الجغرافي حلقة الاتصال بين ممالك العالم القديم ولقد قال استرابون « ان العربي تاجر بفطرته » .

ولما كان الخلاف قد دب فاستحكمت حلقاته بين الفرس والروم فقد اجمعت فارس على شل التجارة الرومانية مع الهند والشرق الأقصى ولذلك كان تهافتها شديداً على احتلال جنوبي الجزيرة لمنع بضائع الشرق من الوصول الى أسواق الرومان ، ولقد كان معظم التجارة مع جنوب الجزيرة يمر من الحجاز ومصر على ايدى التجار من ابناء اليمن وبعبارة اوضح السبأيين الذين كانت بيدهم عروض حضرموت وظفار وجميع ما يرد من سلعة الى صنعاء من الهند وكانوا يؤمون بها المحطة الكبرى العامة في ذلك العهد العريق واعني بها « تيماء »

ومما يحمل على الدهشة ان عرب سبأ استغلوا مناجم الذهب في روديسية الجنوبية ولا تزال فيها أطلال معابدهم وقلاعهم وآثار زمبابوي من صنعهم ومعنى زمبابوي مصانع الذهب وقد حملوا ذلك الذهب الى سليمان الحكيم في فلسطين من سوفالا أو « سوفالة » ثغر روديسية هذه الى اوفير في اليمن ومع الذهب الحجارة الكريمة والبخور والعصي الحلوة اي قصب السكر وفي الترنسفال أصقاع تسمى الراند تغل من الذهب ما يتضاءل دونه نتاج العالم بأمره وهنالك في الراند عرق من الذهب يمتد مسافة لا تقل عن ثمانين ميلاً من الغرب الى الشرق وقد اطلق الناس على هذا العرق اسم (عرق سبأ) اشارة الى (عرب سبأ) وما احرزوامن ثروة باستخراجهم ذهب تلك الناحية وقد اثبتت الآثار انهم استغلوا الذهب في مناجم تمتد من زمبابوي الى الراند التي قامت فيها مدينة جوهانسبورغ الحديثة .

واول ما ننوه به من المسالك التجارية القديمة في بلاد العرب تلك الطريق التي تبدأ من ظفار على الساحل الجنوبي حيال سوقطره ، وكانت ظفار مصدر التجارة في البخور ، والى شمالها تقع الصحراء الكبرى المعروفة « بالربع الخالي » والطرق المألوفة تحف بهـا من طرفيها من الشرق والغرب .

الطريق الغربية

فالطريق الغربية تنحدر مع المجرى الأصلي لوادي حضرموت حتى تلتقي بالسبيل المؤدي الى بودامون (عدن) وكانت القوافل الخارجة من صنعاء تسافر شمالاً الى الحجاز مجتازة سلسلة الجبال حتى تبلغ (هدية) أو (العلا) على تخوم المملكة النبطية ، وكان حراس القوافل والقيمون عليها في الأكثر من أولئك العرب اليمانيين كما رأيتم ، وأما في العلا فقد كان الأنباط يتلقون فيها البضائع ويستوفون المكوس المضروبة عليها ثم يؤذن بها الى « تيماء » وتحملها القوافل من تيماء شمالاً الى بصرى ، وتدمر ، ودمشق ، ومن البضائع ما كان ينقل الى « ايلة » (العقبة) والى « رينوكلورا » (العريش) والى الطرف الشمالي من شبه جزيرة سيناء فيبعث به الى مصر ، ومنها ما كان يصدر الى حائل ثم الى العراق مجتنباً « النفود » وقد كان اولئك القيمون اليمانيون يقطعون الطريق كلها الى العقبة وذلك في فجر المسيحية ، وانما عندما اشتد بأس الأنباط استأثروا بالطرق التي تتخلل بلادهم وكانوا يتولون النقل بأنفسهم من العلا اول مدافعهم اي حدودهم حتى آخر ما لهم من حد ويصيبون من ذلك أموالاً طائلةً .

ايلة (اوالعقبة)

ولقد كانت ايلة (العقبة) في تلك الآونة سوقاً للقوافل حافلة ، واما شهرة الانباط في التجارة فقد ملأت مسامع الدنيا حتى قال عنها ديودوروس الصقلي ان الأنباط بلغوا الاوج في احتكار تجارة آسيا الغربية وكان لهم الإشراف على جميع المتاجر الأخرى) .

سلع — وقد كانت مدينة سلع حاضرة الأنباط مجمع العملاء والصيارفة والسماسرة وارباب المال ، والمثابة التي تتشعب منها طرق التجارة الى سائر الارجاء — فتذهب شمالاً الى البلقاء وسوريا وتدمر ، وشرقاً — الى خليج فارس والعراق ، وغرباً — الى البحر

الأحمر ومصر ثم الى فلسطين وبلاد فينقيا ، ولا يزال المسافرون حتى اليوم يقعون من تلك الطرق على معالم ظاهرة للعيان على ان الرومان وان لم يبتدعوها فلم يألوا جهد في تعهدها وصيانتها من البوار .

ولقد كانت كل قافلة تغشى غير طرق الانباط عرضة للنهب والسلب بأيدي الانباط أنفسهم كما قال ديودوروس واسترابون .

ولما استولى الرومان على ايلة (العقبة) اصبحت منزلاً للجيش العاشر الروماني ، وكانت الرسوم تجبى فيها من قبل عمال الامبراطورية ، وقد شق تراجان طريقاً من ايلة الى فلسطين فأسدى يداً بيضاء الى تجارة البحر الابيض .

لوك كوم (املج) اما ميناء لوك كوم (املج) الواقع شمالي ينبع فكان مرتبطاً بصنعاء ومأرب ، فكانت البضائع تحمل الى ذلك الميناء ثم تشحن منه في البحر الأحمر بعد الوقوف على خصائص الريح الموسمية .

الطريق الشرقيـة

أما الطريق الشرقية فكانت تبدأ من جرها (القطيف) وكانت البضائع الوافدة من الهند تهبط فيها وتحملها القوافل منها فتسلك بها الطريق المطيفة بتخوم عمان مجتنبة اختراق الصحراء الموحشة ثم تلم بظفار آخذة سمتها الى مأرب وصنعاء والى لوك كوم (املج) حتى تتصل بالحجاز مفضية الى مكة .

وظفار مدينة على ساحل جون يخرج من بحر الهند ويطعن في الشمال ، عدة اميال .

ولقد كان بين الهند وساحل حضرموت اتصال مباشر لا يزال قائماً الى اليوم تشق عبابه سفن الاعراب .

يودامون (عدن)

وكان ميناء يودامون (عدن) مثابة للعدد الجم من السفن القادمة من الهند ، ثم تسير القوافل من يودامون هذه تقل البضائع الى مكة ، ويثرب ، وسلع ، وبصرى ، حتى دمشق ، وتدمر ، والعراق ، اما الطرق التي تخترق الشطر الشمالي من البلاد واعني به مكة — اليمامة — جرها ، فانها احدث عهداً .

تيماء وعهدها الناضر

اما اقدم الطرق التجارية المعروفة فهي تلك الطريق التي كانت تمتد من جرها (القطيف) الى تيماء مجتازة اليمامة، وعنيزة، وحائل .

كانت تيماء في عهدها الناضر منتجع القوافل الشمالية للجزيرة العربية قاطبة، ويرجع تاريخها الى زمن الفراعنة والآشوريين، اما الطريق الواقعة بين اليمامة ومكة فالراجح انها نشأت عن انتعاش الطريق الحجازية، وكانت مكة في ذلك الزمن السحيق ليست اكثر من مناخ موقت للاستراحة على طريق اليمن — الحجاز .

اما تيماء فكانت المركز التجاري الأعظم للعالم القديم لا يشق غبارها في ذلك بلد، ولا يباريها قطر، فكانت عروة الوصل بين الحجاز وسورية وبين بابل ومصر لأنها تتصل ببابل عن طريق حائل، وبمصر عن طريق معان، وايلة، وسيناء، وبغزة عن طريق ايلة، وبفلسطين عن طريق تراجان، وبسورية عن طريق الصحراء الذاهبة رأساً الى بصرى .

ولقد كانت تيماء مطمح انظار الأمم المتنافسة فتداولها النفوذ الفرعوني والآشوري ثم احتلها جيش من بابل (سنة ٥٥٢ قبل الميلاد) ولبث فيها بضع سنين حتى ظهر الفرس على البابليين، وفي عهد قمبيز استأذن الفرس العرب في اجتياز ارضهم لفتح مصر ولقد قال هيرودوتس (انه لم يكن في استطاعة الفرس ان يصلوا الى مصر لو ابى العرب عليهم ذلك)

طرق أخرى

وكان هنالك طرق اخرى تسير من حائل مخترقة الجوف وكاف الى بصرى، وفي الجوف تلتقي هذه الطريق بفرع آخر يؤدي الى بابل .

اما الدرب المباشر من تيماء الى بصرى فقد استحدثه الرومان البيزنطيون لاجتناب المدن التي كانت تجبى فيها المكوس .

قبل البعثة

وفي الزمن الذي سبق البعثة النبوية المباركة واحتدم فيه القتال بين الفرس والروم

(٦٠٤ — ٦٠٧) انحطت ملاحة الرومان . ولم يتقدم الاحباش بتجارتهم نحو الشمال بل كانوا يشحنون قسماً كبيراً منها الى اليمن التي كانت بيدهم ثم انه يحمل منهـا الى مكة ، وحتى السلع الهندية الشرقية المنحدرة الى خليج فارس كانت ترد الى مكة ثم توزع منها على العالم الروماني اليوناني ، وكان الفرس كعهدهم يجاهدون لعرقلة التجارة الرومية باستيلائهم على اليمن وجرها (القطيف) .

نهضة مكة التجـارية

وخلاصة القول ان الزعازع السياسية التي طاحت بدولة الانباط ، والصراع الدائم بين الفرس والروم ، وعجز الأحباش عن القيام بما يطلبه الروم في أكثر الأحايين ، واضطراب حبل الأمن في معظم أقطار الجزيرة ، قد ادى كله الى نهضة « مكة » فاقتعدت غارب السيادة في (التجارة العالمية) واصبح الحجازيون يحتكرون مسالكهـا وانصرفوا الى استثمار الأموال ، وغدت مدينتهم « مكة » مركز العمولة ، والتصريف لتجارة غربي آسيا، وقامت مكة في ذلك اجمع مقام تيماء ، وتدمر ، وسلع ، ولقد شاركت مكة في تلك العظمة التجارية مدينة يثرب الا ان يثرب كانت تغص باليهود المرابين .

موقع مكة التجاري — وكانت مكة متصلة بنقطة افتراق الطرق الدائرة حول الطرف الشمالي من (الربع الخالي) عن طريق اليمامة الى جرهـا واصبحت كذلك ملتقى الطرق الذاهبة الى اليمن وسورية والى تيماء والعراق .

عظمة القوافل — اما شأن القوافل فكان عظيماً وقد رأى استرابون قافلة منهـا فشبهها بالجيش اللجب لما كان فيها من الحراس ، والأدلاء ، والمتجسسين ، والحفظة على الحيوانات ، والخدم ، والوكلاء ، واضرابهم من ذوي المصالح ، وقد كان من المألوف في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبعث بقافلتين من مكة الى سورية في كل عام وكانت القافلة تؤم بعض الأسواق في المدن التي تعينها الحكومة الرومانية البيزنطية حتى لا يفوتها استيفاء المكوس .

التجارة الحجازية — كانت التجارة الحجازية تجتاز ايلة (العقبة) الواقعة على حدود الطريق التي أنشأها تراجان من البحر الى فلسطين وكانت تسلكها القوافل الى غزة حتى ساحل البحر الأبيض ، وكانت بصرى التي جعلها ديقلوتيان عاصمة الولاية

العربية احفل سوق على التخم السوري ، ولم تكن بصرى هذه عاصمة عربية شبه مستقلة كالحيرة بل كانت تحت اشراف عمال الامبراطورية ، وكانت القوافل الوافدة من مكة تدفع بسلعها الى ايدي المشترين المفوضين من قبل الدولة ، واصبح كل شاب ذي مِرَّةٍ من أبناء الحجاز يسافر من مكة الى بصرى ولو مَرَّةً في كل عام .

الاستبداد المالي بمكة

ولما استفحل أمر التجارة بمكة استبدَّ مولوها بفقرائها ونشأ نظام الربا الفاحش الذي ثقلت وطأته على النفوس وبلغ من فداحة أمره ان كان الدائن يضطر المدين الى اكراه إمائه على البغاء للحصول على المال قال الله تعالى: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) . وكان اولئك المرابون يرون الربا ضرباً من التجارة ، قال الله تعالى : (وقالوا انما البيع مثل الربا) . واما تلاعبهم بالتجارة وغشهم وتدليسهم فقد ذكره الله تعالى بقوله : (واذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) . ولذلك كثر الناقمون والمملقون واستبد بالأموال الطغاة المسرفون ، فسخروا الأمة لأغراضهم وعبثوا بهاوانصرفوا الى الكسب وحده، لايتورعون عن اقتراف مأثم ، ولاتمسك بحجزاتهم مروءة ، واذا تلوت كتاب الله وجدته يخاطب تلك الامة المنهمكة بالتجارة بالالفاظ التجارية كقوله: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً). وقوله : (الا ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) . وقوله : (واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً) . الى غيرها من امثالها في التنزيل الحكيم .

قريش

امـا قريش فكانت في تلك الحلبة التجارية هي المجلية فقد قبضت على مخنق العرب واحتجنت الأموال ، واستأثرت بالمتاجر او كادت ، وان لاسمها رنيناً في أذني يوسوس اليَّ بانه تصغير تعظيم للقرش وهو دابة عظيمة تكون في البحر المالح تخافها دواب البحر كلها لقوتها وبطشها ولا تزال معروفة حتى اليوم بين العرب وفي الحجاز خاصة باسمها القديم اي القرش ويوجس منها الناس الخوف الشديد ويقال لها قريش كذلك بصفة المصغر . قال الشاعر :

وقريش هي التي تسكن البحـ ـر بهـا سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك فيه لذى جناحين ريشا
هكذا في البلاد شأن قريش يأكلون البلاد أكلا كميشا

اجل ايها السادة : لقد ذكر المؤرخون ان كانت قريشاً في أول امرها قبيلةمتفرقة في البراري حتى جاء قصي بن كلاب من الشام فجمعهم ، وكانت تدعى قبل ذلك النضر بن كنانة وسماها قريشاً من التقريش اي التجميع وقيل غير ذلك وان هنالك نظرة اخرى في أصلها فقد جاء في «لسان العرب» وغيره (ان منشأها من بابل قال محمد بن سيرين : سمعت عبيدة يقول سمعت علياً عليه السلام يقول : من كان سائلاً عن نسبتنا فانا نبط من كوثى) وروي عن ابن الاعرابي انه قال : سأل رجل علياً عليه السلام فقال : اخبرني يا أمير المؤمنين عن اصلكم معاشر قريش فقال : « نحن قوم من كوثى » واختلف الناس في قوله نحن قوم من كوثى فقالت طائفة اراد كوثى العراق — وهي سرة السواد التي ولد بها ابراهيم عليه السلام وقال آخرون أراد بقوله كوثى مكة وذلك ان محلةعبد الدار يقال لها كوثى، فأراد علي عليه السلام انا مكيون أميون من أم القرى قال حسان :

لعن الله منزلا بطن كوثى ورماه بالفقر والامعار
ليس كوثى العراق اعني ولكن كوثة الدار دار عبد الدار

قال ابومنصور : والقول هوالاول لقول علي عليه السلام « فانا نبط من كوثى » ولو أراد كوثى مكة لما قال نبط ، وكوثى العراق هي سرة السواد منمحالّ النبط وانما اراد علي عليه السلام ان ابانا ابراهيم كان من نبط كوثى وان نسبنا انتهى اليه قال ابن عباس نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى .

يثرب وفنحاص — اما يثرب فكانت تشره كذلك الى المكاسب في حرص ونهم وانه ليحسن بي ان أقص عليكم خبر فنحاص احد احبار اليهود فان فيه ما يمثل رأي القوم في التهالك على الحطام ، واستساغة السحت فقد قال فنحاص لأبي بكر رضي الله عنه « والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لأغنياء ،وما هو عنا بغني ، ولو كان غنياً ما استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم

بنها كم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنياً مااعطانا الربا » . فغضب ابو بكر رضي الله عنه فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال : « والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك اي عدو الله »

وقال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوا)

ذلك ما كان عليه العرب في الجاهلية من مرهق البغي الذي استأصل من قلوبهم شأفة الرحمة والشفقة وقطع بينهم دابر التعاون على البر والاحسان ، ولذلك استشرف العالم اجمع متشوقاً الى المصلح الأعظم صلى الله عليه وسلم وازف اوانه ، وحان إبّانه ، لينقذ الانسانية من العدوان ، ويضع عنها عبء الطغيان .

واني لأختم مقالي هذا ببيان الوان التجارة التي تداولتها ايدي العرب في البلاد العربية لانفسهم ولغيرهم من الامم ليكون في ذلك بعض الحجة على صلات العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى ، وسعيهم وراء الربح وعلى انغماسهم في الترف وتكاثرهم بكل حلي وزينة ولقد قال الله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) . واما أنواع تلك المتاجر فهي من الهند الدر والياقوت والمسك والكافور والعود الرطب وأنواع العطر والفلفل ، ومن الصين الحرير والقصب ، ومن اليمن نفسها الذهب من معدن عثم ، والجزع والعقيق من مخاليف اليمن الشرقية ، ومن الشحر النارجيل والتنبل ، ومن الانحاء الاخرى العبيد والبهار والانسجة الفاخرة والوشي والنمارق والنعاج والعسل والصوف والمن والادم والبرود والفحم والحنطة والحجارة الكريمة .

وقال حزقيال في الاصحاح السابع والعشرين عن العرب انهم يتاجرون بالخرفان والكباش والاعتدة والخر انواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب .

وصفوة القول ان العرب كانوا يتجرون مع سورية بالارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت ، ومع فلسطين بالحنطة والحلاوة والعسل والزيت والبيلسان ومع دمشق بالصوف الأبيض والخمر .

اما تجارة البدو الرائجة عند ذوي اليسار منهم فكانت فيما تفتقر معايشهم اليه فالوبر للبجاد ، والصوف للخباء ، والشعر للفسطاط ، والقطن للسرادق ، والأديم للطراف . قال طرفة : رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا اهل ذياك الطراف الممدّد

فؤاد الخطيب

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول

(٤)

(٦٣) الدُّلب له نَور وثمر . — ج ١ ص ١٧٠ حاشية : الدلب شجر يعظم ويتسع ولا نور له ولا ثمر .

قلت هذا التعريف المنقول عن معاجمنا القديمة فيه خطأ علمي واضح . فالدلب من باديات الزهر أي ان له زهراً وثمراً . وفي معاجمنا المذكورة عدد كبير من امثال هذه الغلطات العلمية التي لا تغتفر في أيامنا هذه كجعلهم البط والأوز شيئاً واحداً . وكذا الكرنب والسلق ، وكذا أيضاً اللوز والبندق . وكخلطهم أشجار الفصيلة الصنوبرية بعضها ببعض ، وكتعريفهم الشجرة والحشرة ومئات من الأسماء الاخرى تعريفاً بعيداً كل البعد عن تعريفها العلمي الخ الخ . فليتنبه مجمع مصر الى ذلك وحسنا يفعل اذا تحرى التعريفات العلمية فيما ينشر في مجلته .

(٦٤) تعريف الزَّبَاب . — ج ٢ ص ١٥٦ حاشية : الزباب كسحاب فأر عظيم احمر احمر الشعر او بلا شعر (قاموس) .

قلت هذا التعريف كتعريف الدلب في المادة السابقة ، لا يقره العلم في هذه الأيام . فالزباب ليس فأراً بل ليس من فصيلة الفأريات Muridés بل من فصيلة مستقلة تسمى الزبابيات Soricidés .

(٦٥) المقالع والمقاطع . — ج ٤ ص ٤١ : المحاجر Carrières .

قلت لم ترد المحاجر بهذا المعنى في كتب اللغة . وقد أشار العلامة الأب انستاس الى ذلك في الجزء السابع من هذه المجلة . وأضيف على قوله ان الشاميين جميعاً يستعملون كلتي المقالع والمقاطع ، وانهما تستعملان في كتبنا القانونية ، وانهما فصيحتان يجدهما المرء في طيات بعض الكتب القديمة .

(٦٦) التغذية . — ج ٢ ص ١٦٩ : الاستمراء Nutrition هو الاستفادة من الغذاء ، فالاستمراء الظاهرة النهائية من التغذية .

قلت الكلمة الفرنسية Nutrition معناها التغذية ومطاوعها اي الاغتذاء . وهذا هو معناها من حيث اصلها ومن حيث استعمالها . فهي ليست الظاهرة النهائية من التغذية بل يعرفونها في الكتب الفرنسية بشبيه ما عرفتها به في « معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية » وهو « جملة الظواهر التي تجعل الاحياء النباتية والحيوانية تغتذي وتنمو » . وفي معجم لاروس الصغير ما ترجمته بالحرف : « جملة الظواهر التي تنتهي ، بالتمثل ، الى ازدياد كتلة المادة الحية » . والاستمراء غير التغذية . وقد يغتذي نسيج النبات وجسم الانسان بطعام غير مريء .

(٦٧) الحرارة . — ج ٢ ص ١٨٧ : حال الحرارة Temprature .

قلت الكلمة الاعجمية المذكورة لها معنيان حرارة الجو « وهو ما يسمونه الطقس » ودرجة حرارة الأجسام . وقد الفنا ترجمتها ترجمة صحيحة بكلمة حرارة لا حال الحرارة . وأنت تقول حرارة الجو معتدلة ، ولا تقول حال حرارة الجو معتدلة . واذا اصيب أحد الناس بالحمى تقول حرارته اربعون درجة . ولا تقول حال حرارته اربعون درجة .

(٦٨) النَّدُول . — ج ٢ ص ١٠٦ : النُّدُل Garçon de table .

قلت النُدُل خدم الدعوة ، اي انها تدل على الجمع ، على حين ان الكلمة الفرنسية التي ذكرها جاءت مفردةً . ولم يرد في المعاجم مفرد للندل . وهو نَدُول على القياس . فكان يجب ان يضعوها هي لا كلمة الندل ، امام الكلمة الفرنسية .

(٦٩) التسلط . — ج٣ ص٤٥ : التسلطية (في العهد الحديث) Imperialism .

قلت هو التسلط . و Impérialisme colonial هو التسلط الاستعماري . ولا حاجة الى التسلطية اي الى ايجاد هذا المصدر الصناعي .

(٧٠) المجوفات . — ج ٣ ص ١٧٠ : اللاحشويات Coelenterata .

قلت الاسم العلمي من لفظين يونانيين بمعنى تجويف ومعى . ويريدون بهذه التسمية ابراز أهم صفة لهذه الحيوانات وهي ان جسمها لا يشتمل الا على تجويف داخلي واحد له فتحة واحدة هي فم واست جميعاً . وأصلح كلمة تدل عليها المجوفات او مجوفات البطون بمعنى التي لها تجويف اي نقرة تقوم مقام الأمعاء . ولا لزوم لقولنا لا حشويات اي التي

لا احشاء لها ويستحسن من مجمع مصر عدم استعمال لا النافية في مثل هذه الكلمات الا عند اشد الحاجة الى استعمالها .

(٧١) الأسمانجوني . — ج ٤ ص ٢٣ : أزرق سماوي Bleu de ciel .

قلت لقد وجدت في أحد دفاتري عن القاموس (ولا أدري في اي مادة) ان هذا اللون يسمى الأسمانجوني . وكلمة واحدة في هذا المقام أفضل من كلمتين ، على ما في لفظة اسمانجوني من ثقل وعجمة .

(٧٢) الرّش . — ج ٤ ص ٣٠ الرّشّاش Arrosage .

قلت الكلمة الفرنسيه معناها الإسقاء والرش . وتطلق خاصةً على اسقاء الخضراوات والأزهار باحدى طرائق الاسقاء . على حين ان Irrigation تطلق على اسقاء الارضين الواسعة . وتأتي كلمة Arrosage بمعنى Aspertion اي الرش وهو ما يريدونه . أما الرّشاش والرّشاشة فهما بالفرنسية Arrosoir .

(٧٣) الدّارَة . — ج ٢ ص ٦٦ : الطِّزْر Villa .

قلت لا شك ان مجمع مصر لم يخطيء في وضع الطزر للفيلا ، رغم ما حول الطزر من تشويش في المعاجم . ولكن الطزر عند عامة الشاميين المقعد الذي يجلسون عليه في الغرف والقاعات . وقد اشتهرت منذ القديم بهذا المعنى . ولهذا ثم لأسباب اخرى ارجح الدارة عليها إصطلاحاً وان لم ترد بمعنى البيت الريفي تماماً . وقد بدأت كلمة الدارة تنتشر . فالأديب صاحب(سيد قريش نقش فوق باب بيته(دارة سيد قريش) . ورأيت منقوشاً فوق باب آخر (دارة عبد الوهاب) تنويها باسم المغني الموسيقي المشهور ، مما يدل على ان هذه الكلمة الجميلة اخذت تنتشر بهذا المعنى خلافاً لكلمة الطزر .

(٧٤) . — الزِّقِّيات . ج ٤ص ٥٥ : الزقيات . Balantidae .

قلت لقد وضعت كلمة الزقيات منذ سنين لرتبة الفطور الزقية Ascomycètes وهو اصح اصطلاح لها . وشاع هذا الاصطلاح عندنا ولا سيما عند خريجي المدارس الزراعية . فيجدر بمجمع مصر ان يفتش عن اصطلاح آخر لكلمته المذكورة .

(٧٥) الملكية الشائعة والشيوع . — ج ٤ ص ١٦١ : الملكية على الشيوع Propriété indivise ou indivision

قلت الأصح نعت الملكية بالشائعة كما جاء في المجلة · اما الكلمة الفرنسية الثانية فهي الشيوع

(٧٦) علامات التاجر · — ج ٤ ص ١٦٤ : نيشانات (او علامة التجارة) Marque de fabrique.

قلت لا حاجة الى كلمة نيشانات الأعجمية · ولفظ علامة مشهور بهذا المعنى · وشُهِر النيشان عند العامة بمعنى الوسام وبمعنى الدائرة من دوائر الخيل Epis كالسيامة واللطاة واللاهز والمعوَّذ الخ ·

ملاحظة : جاء في ج ٣ ص ١٧١ حاشية ، شرح لكلمة Actinozoa ادعى الشارح فيه انه هو الذي سماها الشعاعيات · وهذا الادعاء مضحك لأنني استعملت لفظ الشعاعيات قبلهم بسنة على الأقل في بحثي الذي عنوانه (الفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا) المنشور في عدد حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٥ من المقتطف · كما استعملت قبلهم في البحث المذكور الهدبيات Ciliés والسوطيات Flagellés والشوكيات Echinodermes والمفصليات Arthropodes والحلقيات Annélides الخ · الخ وأنا لم يبلغ بي الأمر ان اهتم لاعتراف مجمع فؤاد الأول او غيره بمئات الأسماء التي حققتها والمصطلحات التي اضفتها الى لغة الضاد ضمن اختصاصي ، لكنه لا يستحسن ان ينتحل احد الأفراد في مجمع فؤاد الأول الفاظاً ليست من وضعه · فلعل ادارة المجمع الموقر تلتفت بعد الآن الى عدم السماح بنشر انتحالات كهذه في مجلتها الرسمية ·

مصطفى الشهابي

الاشتيام[1]

— تمهيد —

نشر الصديق العلامة الاستاذ المغربي، مقالة في هذه المجلة (١٧ :٣٤٥) عنوانها (كلمة الاشتيام في شعر البحتري) جال فيها وصال، وأظهر من براعة التحليل والتأويل، ما أدهش كل من وقف عليها. وارتأى أنها من أصل فارسي هو (آشنا) اي سباح، ثم انتقل معناها الى «رئيس المركب الذي لا يمكن الآن يكون خبيراً بالسباحة ذا علم بها». فرأينا هذا التأويل لا يفيد. ولا يوصل محب الحقيقة الى ما يريد. فنحن نستأذن الأستاذ في ابداء رأينا، وعرضه عليه فلعله يرى فيه ما يطمئنه، ويحل العقدة الملتوية المعتاصة.

أ. قدم الاشتيام في العربية

نحن لا نوافق على ان الاشتيام لم تسمع الا في شعر البحتري، وكيف يكون هذا صحيحاً، والبحتري لا يتكلم الا بما يفهمه عامة الناس، وخاصتهم، ولا ينطق الا بما ألفه السامعون من الكلام الجزل، الخفيف على آذانهم، وكيف يكون هو أول من أدخل هذا الحرف في شعره؟ لأنه لو فعل لعيروه ولنقدوه اشد النقد، وهو أكبر شعراء عصره، أي اكبر من المتنبي، وابي تمام، لو صدقنا كلام ابي العلاء المعري.

فقد روى التاريخ ان سأل الناس ابا العلاء المعري اي الثلاثة أشعر؟ — فقال: المتنبي وابو تمام، حكيمان؛ وانما الشاعر البحتري!

---

(١) لما اتممنا هذا البحث، تذكرنا اننا كنا عالجنا هذا الموضوع في المقتبس في المجلد ٦ سنة ١٩١٢ أي قبل ثلاثين سنة بالضبط وعنوانها هناك: «الاشتيام او الاستيام. والتلمذة او المتلمذة»؛ وقد وقعت في ٧ صفحات اي من ص ١١١ الى ١١٨

ومن حسن الحظ اننا كنا قد قيدنا عندنا في كتاب لنا رؤوس الموضوع فتمكنا من ان نستعيده بدون عناء عظيم لكن بتفاصيل احسن من تفاصيلنا الاولى وبأسانيد تزيد على اسانيدنا الاولى ولو كنا ظفرنا بالمجلد المذكور قبل شروعنا في هذه الكتابة الثانية لخف علينا الشغل خفة عظيمة.

فهذه شهادة عظيمة ، بل أعظم شهادة ينطق بها شاعر كبير ، بحق شاعر جليل . وعليه نقول : ان شعر البحتري من أحسن ما أخرجته القريحة العربية ، إذ فيه أصح الألفاظ الضادية ، وأفصحها ، وأحكمها وضعاً ، وأحسنها رصفاً !

اما ان (الاشتيام) قديمة في العربية ، وانها من صدر الإسلام ، بل من عهد نأنأته ، فالشاهد عليه ، ورودها في أقدم معجم عربي وضعه الناطقون بالضاد ، اي أنها وردت في كتاب (العين) لصاحبه الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، وليس للخليل بن احمد كما توهمه قوم . وقد توفي الليث بعد استاذه الخليل ، المتوفى سنة ١٧٠ للهجرة بسنوات قليلة . فيكون الليث صنف كتابه بعد هذه السنة ، اي في أواخر المئة الثانية للهجرة .

اما في اي موضع ورد الاشتيام فهو في الباب الذي سماه (باب الجيم والسين مع الباء) قال : « السيبجي[1] والجمع السيابجة : قوم جلداء في السند ، يكونون مع (اشتيام) السفينة البحرية . — والاشتيام رأس ملاّحي السفينة ، وهو بالنبطية[2] اشتياما اه بحروفه وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٣٧٣ من طبعة الافرنج : « قال فانضم الى الاساورة ، السيابجة ، وكانوا قبل الاسلام بالسواحل » اي بسواحل خليج البصرة .

---

(١) السيبجي : بسين مفتوحة يليها ياء مثناة تحتية ساكنة فباء مفتوحة فجيم مكسورة يليها ياء مشددة نسبة الى (سيبج) لغة في (زابج) او (الزابج) كما يسميها ياقوت وهي جزيرة في اقصى بلاد الهند وراء بحر هركند في حدود الصين . و (سبج) حولت الى (زابج) وهذه الى (جاوة) وصحفت تصحيفات كثيرة ليس هنا موطن ذكرها . — ومن الغريب ان اللغويين قالوا في جمع سيبجي سيابجة بباءين موحدتين تحتيتين مما يدل على ان كتاب (العين) فقد من ايدي الادباء واللغويين من بعد تصنيفه بقليل والا فان موطن ذكره في المعجم الاول يدل دلالة واضحة على انه في باب سبج لا في (س ب ب ج) فجميع دواوين اللغة واهمة في ذكرها بصورة (سبابجة) والصواب (سيابجة) اي بياء مثناة تحتية بعد السين .

(٢) كان العرب يقولون (النبط) في مكان (السريان) وهو الاسم الذي اطلقوه على المتكلمين باللغة الارمية . فالسريان والسريانية خطأ عظيم لأن السريان هم اهل سوريا واصل الكلمة سورياتيون . وكان اهل سورية يتكلمون الارمية واليونانية واللاتينية والعربية .

فالسريانية لغة اهل سورية التي قد تكون احدى تلك اللغات الاربع وليس معناها اللغة الارمية (وزان عنبية) او الأرامية (وزان سحابية) فالنبطية احسن من السريانية لان لغة انباط العراق كانت الارمية بتغييرات طفيفة .

٢ · الاشتيام نبطية أي إرمية

كان النبط ، اي الإرميون ، في صدر الإسلام كثيرين في هذه الديار العربية اللسان ، ولا سيا في العراق ، فالنبط كانوا أهل الفلاحة والحراثة ، واصحاب الرعاية والصناعة ، وأرباب الملاحة والتجارة · وكانوا يتكلمون لغتين او ثلاث لغات ، وربما أربع لغات أو خمساً : اي الإرمية وهي لغة قومهم ، والعربية لغة أهل البلاد ، والفارسية لغة الجيران ، واليونانية لغة العلم واللاتينية لغة السطوة الغاشمة المتسلطة على العالم ، والمناوئة للفرس · ولهذا اذا قال الليث ان الاشتيام في لغة النبط فانه صادق في كلامه ·

فقد جاء في معجم ابن بهلول في مقابل (   ) (اشتياما) النبطية ما يأتي من الكلام الضادي : « اشتيام، صاحب المتاع المحمول في السفينة» - وفي نسخة ثانية مجودة من هذا المعجم ما يأتي : «الاسئيام (اي بسين مهملة) وهو خليفة تاجر الصحراء على الثمرة ، وهو الذي يحمل الفواكه الى دور البطيخ [اي سوق الفواكه والخضروات] ويقبض الحواصل بيلغ الوزن والثمر من البندار » — وورد في معجم القس يعقوب اوجين منّا الكلداني المسمى دليل الراغبين في لغة الآراميين · المطبوع في الموصل سنة ١٩٠٠ للميلاد في ص ٤٤ بازاء الكلمة إشتياما(   ) ما يأتي : (١)صاحب وَسق السفينة (٢) خليفة تاجر الصحراء ووكيله ، يحمل له الأثمار الى الأهراء لوقت الغلاء باجرة معلومة » اه وعندي غير هذين المعجمين باللغة الارمية (النبطية) والعربية وكلها تذكر ان الإشتيام لفظة من لغة اولئك القوم ·

وذكر سجمند فرنكل في كتابه (الألفاظ العربية الارمية الاصل [1]) ان الاشتيا ويسميه العامة الاستيام بالسين المهملة ، من الارمية : (إشتياما) ومعناها الربان وذكرها الجواليقي في كتابه المعرب ص ٨٣ ، وذكرها الطبري في تاريخه ٣ : ١٩٤٨ س ١ وفي المعجم الجغرافي ٢٧١ · · · » الى غير هذه الشواهد فلتراجع في الكتاب المذكور ·

فلم يبق شك في ان الكلمة ليست بفارسية البتة ولا سيا لأننا نحتاج الى تأويلات وتخريجات بعيدة ولا نصل الى المعنى المطلوب · الابعد كد الخاطر وارهاق النفس وشق الصدر ·

(1)S.Fraenkel.—Die Aramaische Fremdworter in Arabischen.— Leiden. — E. J. Brill. 1886 P. 222

٣ً · الذين ذكروا الاشتيام بالشين المعجمة

لم يذكرها صاحب محيط المحيط في اي مادة كانت ، ووردت في ذيل أقرب الموارد نقلاً عن اللسان · قال في مادة (ش ت م) الاشتيام ، بالكسر : رئيس الركاب (اللسان) ، ولم يزد على هذا القدر · ونقلها عن الذيل صاحب (اللسان) الشيخ عبد الله في المادة المذكورة ، وقال : « الاشتيام بالكسر رئيس الركاب · »

واما اصحاب الصحاح ، والمصباح ، والاساس ، والقاموس ، والاوقيانوس ، والبابوس ، ومطلع النيرين وابن الاثير ، والسيوطي ، وغيرهم ، فلم يتعرضوا لها · وقد ذكرها السيد مرتضى في مستدرك مادة (ش ت م) فقال : الاشتيام : رئيس الركاب عن ابن بري » · ولم يفدنا عن أصلها ، ولم يذكر لها شرحاً أوسع من هذا ·

واما الافرنج من مؤلفي الدواوين العربية الاعجمية فلم يذكروها فقد نسيها جيجيو وغوليوس وفريتغ ودوزي ، وقزميرسكي · اما « لين » فقد ذكرها في معجمه (مد القاموس) فقال ما معناه « الاشتيام بالكسر (والظاهر من قوله اي من قول صاحب التاج بالكسر اي ان يقال الاشتيام هو رئيس الركب على ما فسره ابن بري · [والظاهر من قوله رئيس الركاب انه رئيس الركب أي ركبان الخيل (كذا) · لكن من أين أتت هذه الكلمة ؟ — ذلك ما لا أعلمه ؛ اللهم الا ان تكون معربة من الفارسية « أستيام » ان وجد هذا الحرف عند الفرس ، ومعناها رئيس خيل البريد] ·

قلنا هذا كله كلام (لين) اللغوي الانكليزي العارف لأصول العربية وأحكامها ، ودقائقها ، ومبانيها ، الا كلمة قولي (اي من قول صاحب تاج العروس) وقولنا [كذا] فهي منا ، زدناها توجيهاً لنظر القارئ · وأنت ترى ان تأويله هذا بعيد بعد الثريا عن الثرى ·

وليس هذا أول غلط يركب متنه لغوينا الانكليزي « لين » ، ولا هو الأخير ؛ ففي معجمه من الأوهام ما لو تجسمت ، لقامت بين يديك قيام الجبال الشواهق ، وليس هنا موطن ذكرها · هذا فضلاً عن انه فاته ألفاظ ومواد كثيرة جاءت في القاموس وتاج العروس ، بل في أصغر ديوان من دواوين لغويينا ؛ وهي لا توجد فيه ·

قلنا والمراد من كلام ابن بري « رئيس الركاب » رئيس ركاب السفينة لا غير ،

كما يتضح تبيانه في ما يلي من الكلام، وايراد النصوص الآتية؛ كما يظهر معناه من أول وهلة.

٤ً. الذين ذكروا الاستيام بالسين المهملة

اما (الاستيام) بالسين المهملة فقد وردت في تاج العروس. قال في لسان العرب، مصحح طبعه في هامش مادة [م ل ط] : « قوله : والمتلطة ، الخ كذا بالأصل هنا (اى الاشتيام بالشين) وشرح القاموس قال : وسيأتي في [ل م ظ] وقد ذكر الاستيام هناك بالسين المهملة وعزاه للتكملة. وحرّر كتبه مصححه اه.

ووردت أيضاً بالسين في التاج في مادة [م ل ظ] : « وقال ابو عمرو : المتلظة مقعد الاستيام وهو رئيس الركاب والملاحين؛ كما في التكملة. وسبق مثل ذلك في [م ل ط] ولا ادري ايهما اصح. انتهى.

قلنا والاستيام بالسين المهملة وردت في كثير من نسخ كتب التاريخ واللغة، ككتب الطبري؛ والمقدسي؛ والجواليقي، واللسان وغيرها.

ويقول بعض أهل جزائر بني مَزْغنان[1] الى عهدنا هذا : « سَتّمَ السفينة » اي وقفها في الميناء وأرساها هنيهة من الزمن. وقد تلقى دوزي هذه الكلمة من الكتب ورآها فيها مكتوبة بالميم الممدودة، لا بالميم الطويلة، والميم الممدودة تشبه الراء، اي انه رآها مخطوطة « ستـم » فقرأها « ستّر » وأثبتها في معجمه « سَتّرَ » اي بالسين المفتوحة يليها تاء مثناة ساكنة، بعدها ميم مفتوحة فراء وفسرها بقوله :

I. Relâcher Dans un port

ووضع الرقم الروماني T بجانب الفعل الرباعي معناه : انه على وزن دحرج وعزاها في الآخر الى رولان Roland، اي نقلاً عنه فانظر الى هذا النقل وهذا الإسناد.

---

(١) المراد بجزائر مزغنان ما يسميها الفرنسيون Algérie وقد رأيت ياقوت الحموي يسميها في معجم البلدان في كلامه على الجزائر جزيرة بني مزغناي اذ قال : « الجزائر. وتعرف بجزائر بني مزغناي وربما قيل لها جزيرة بني مزغناي. وقال ابوعبيد البكري : جزائر بني مزغناي مدينة وهذه هي المرة الاولى نجد خطأ في ضبط ياقوت لاسم مدينة من مدن العرب لان صاحب تقويم البلدان يضبطها ضبطاً محكماً بالقلم وبالكلام وهذا نصه : جزائر مزغنان الجزائر معروفة. ومزغنان بفتح الميم وسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نونان بينهما الف الاولى مشددة عن الشيخ شعيب. . اه

وقد وقع في مثل هذا الغلط الناشيء من سوء قراءة ، الميم طابع كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني ؛ وهو العلامة دي خويه في ص ٩ قال : « فيه (اي في البحر) سمكة يقال لها إطمر » [هكذا وردت مضبوطة بالوجهين اي على وزن رغفل وزبرج ، مع انها هي كلمة واحدة هي (اطم) كتبت ميمها في الآخر ممدودة اي بشكل راء (اطمر) فظنها القارئ ، او الناسخ ، او الطابع او من تشاء ان تسميه ميماً وراء ، فصارت « اطمر . ونفس الكلمة [اطم] تصحيف [أطوم] فانظر الى هذه اللفظة التي تطورت أطواراً على يد الكتاب . وقالوا فيها أيضاً : لَطوم . ظَلوم . لطيم . لظيم . أُطوم . أُطم . اطمر . الى غيرها ؛ على قدر ما تشاء أهواء النساخ او القراء .

٥ . جمع اشتيام او استيام اشائمة و اسائمة واشتيامون

اما جمع اللفظة فلم يرد في كتب اللغة ، الا انه ورد مكسراً ومصححاً في كتب المؤرخين ، وأصحاب وصف البلدان . فقد جاءت اللفظة مكسرة في كتاب البشاري المسمى بأحسن التقاسيم ص ١٠ من طبعة الافرنج قال : « وصاحبت مشايخ فيه وُلدوا (اي ولدوا في المحيط المندي) ونشأوا من ربانيين وأشائمة » وفي رواية : « واسامه » بدون نقط . وقد جاءت مجموعة جمع تصحيح في تاريخ الطبري في عدة مواطن ، منها في قوله : « حتى اذا استمرت الحرب ؛ أمر الجذافين والاشتيامين ان يحثوا السير » — ومنها في قوله الآخر : « تصكت الشذوات بعضها بعضاً حتى لم يكن للاشتيامين والجذافين فيها حيلة ولا عمل » فاكتف بهذا القدر الآن .

٦ . اختلاف معاني الاشتيام

هذا الحرف كسائر الحروف ، يختلف معناه باختلاف الازمان والبلاد . وقد مرّ بك ان بعض لغويي العرب قالوا ان معنى الاشتيام : رئيس الركاب او الملاحين . ولم يخرجوا عن نطاق هذا المعنى . بيد ان الاصل كان رئيس الملاحين أو رئيس السفن البحرية ؛ الذي كان بيده الأمر والنهي وكل ما يتعلق بسير السفينة ؛ ووقفها ؛ وشحنها ؛ وتفريغها . ويتحصل هذا المعنى من كتاب تاريخ الطبري في عدة مواطن .

فقد قال في حوادث سنة ٢٥١ هـ (=٨٦٥ م) ما نصه: «وخمس بقين من صفر؛ دخل من البصرة [الى بغداد] عشر سفائن بحرية تسمى البوارج؛ في كل سفينة اشتيام؛ وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلاثين رجلاً من الجذافين والمقاتلة». فالاشتيام هنا [وفي نسخة قديمة خطية الاستيام بالمهملة] كبير البارجة البحرية الحربية ويقابله بالفرنسية:

Commandant d'un navire de guerre

وقال في حوادث سنة ٢٦٥ هـ [٨٧٨م]: «واستخلف [الجبّائي] على الشذوات الاشتيام الذي يقال له الزنجيّ بن مهربان» فهنا يراد بالاشتيام امير الشذوات كلها وهي ضرب من السفن البحرية والنهرية التي تتخذ في الحروب؛ فيكون معناها بالفرنسية Amiral

وذكر في حوادث سنة ٢٦٧ هـ (=٨٨٠ م) محمد بن شعيب الاشتيام؛ والمراد به رئيس المراكب البحرية الحربية؛ لأنه يقول بعد ذلك: «خرج الجبائي وسليمان في الشذوات والسميريات؛ وقد كان ابو العباس احسن تعبئة اصحابه فأمر نصيراً المعروف بأبي حمزة ان يبرز للقوم في شذواته؛ ونزل ابو العباس عن فرس كان ركبه، ودعا بشذاة من شذواته قد كان سماها الغزال، وأمر إشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذافين لهذه الشذاة وركبها» — الى آخر الرواية مما يدلّ على ان محمداً هذا كان تحت إمرته عدة شذوات وسميريات.

ومما يزيدنا ثباتاً في هذا الرأي، كلام ابن صاحب الصلاة اذ يقول «تقلد الحكم عليها [اي على السفينة] (اشتيام) ذو تيقظ واستبصار. وعليه فكلمة الاشتيام تدل على ما يقابله في الفرنسية الألفاظ الآتية.

Navarque, Capitaïne, Commandant, Patronde navire. Commandant de vaisseau,. Grand commandant de la flotte, Amiral.

هذا هو المعنى الأصلي للاشتيام في عهد العباسيين؛ لكن لما انقطع العهد بالمحاربة على الشذوات والسميريات وبقي القوم يركبون السفن المذكورة للتجارة او السفر، اصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً؛ وله محل خصوصي في السفينة لا يجلس فيه غيره. وسموا هذا المقعد «المتلظة» او «المتلطة» ولا يمكن ان يكون

محلٌ خصوصي في السفينة الا لرئيسها الكبير ، ليتفرغ فكره لقيادتها او تسييرها ولا يكون مثلا لخازن امتعة السفينة او حافظ أطعمتها كما تخيله بعضهم . فالمقصد الخاص الممتاز يكون للرجل الأكبر الذي في السفينة .

٧ . ما أصل الاشتيام الإرَمي النبطي الذي نُقلَ الى العربية

ليس الاشتيام من أصل فارسي كما قال الاستاذ اللغوي [لين] وانه من (أستايام) ولا من الفارسي [آشنا] او [آشناء] بمعنى السباح ، كما قال العلامة المغربي . فلم يبق لنا إلا القول بانها من الارمية (النبطية اي السريانية) اومن اليونانية .

والقول بأنها من الارمية هو رأي جمهور المستشرقين ؛ كما ذهب الى ذلك فرنكل، ودي خويه، وباين سمث، ولاوي وبكسترف . ومن تلا تلوهم فهي من الاشتياما الذي معناها [الخاتم] اسم فاعل من ختم الشيء اي وضع الختم عليه لأن أول وظيفة هذا الرجل كانت سد الغرائر والمزاود والأكياس ووضع الخاتم عليها لكي لا يسرق ما فيها ويسمى هذا الرجل بالفرنسية Suprécargue والكلمة مشتقة على رأيهم من الفعل [شتم] او [ستم] اي ختم وسدَّ وسَدَم وسطم في لغتنا .

٨ . الاشتيام في العربية من الارمية والارمية من اليونانية

نحن لا نشك في ان (الاشتيام) اقتبسها العرب من الارميين [النبط] منذ نأناة الإسلام . ولا عجب في ذلك ، فان السلف اقتبسوا من اخوانهم الفاظاً كثيرة في الملاحة وفي سائر الصناعات . فقد اقتبسوا منهم في الملاحة : الملاح والنوتي [وهم اقتبسوها من اليونان] والربان والسكان [وهو ذنب السفينة] وهي من سَوْكان والكوثل والدقل والصاري والصارية والسارية الى نظائرها . لكننا لا نظن ان الاشتيام مشتقة من مادة إرمية ، أوأصل نبطي . لأننا بحثنا في دواوين لغة اخواننا ، فلم نجد فيها ما يوجه معنى هذا اللفظ ولهذا نرى أن الأصل من مادة سَبَئية (اي من لغة أهل سومطرة) والا فهي من اللغة اليونانية Istamenos وهو اسم فاعل من فعل Istémi اي أرْمى المركب ووقفه . فالفعل العربي الجزائري (ستم) قديم العهد في لغة اهل تلك الديار ، وقد وصل اليهم من عهد اليونان المشهورين بالسفر على البحار والمحيطات .

والاستيام بالسين؛ لغة في الاشتيام بالشين وبالمجمة أفصح وقد ورد في كلامهم تبادل الشين والسين ألفاظ لا تعد لكثرتها · من ذلك ما ذكره الفيروزابادي في رسالته (تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين) : الاس والاش · البرساء والبرشاء · ابرنسق وابرنشق · المبسرات والمبشرات · البسّ والبشّ الى آخر ما جاء في تلك الرسالة وهي مطبوعة في بيروت سنة ١٣٣٠ هـ ·

٩ً · المتلمظة او المتملطة او السلوقية

ومما يحسن ذكره هنا المتلمظة تأييداً لمن يرى ان الاشتيام هو « صاحب الامتعة المحمولة في السفينة » وهو رأينا المخالف لرأي المستشرقين · ولو لم يكن هذا هو الأصل في المعنى لما افردوا له محلاً في السفينة على ما بيناه فيما سبق من كلامنا لأنه لو كان الاشتيام بمعنى صاحب الامتعة ، يقعد عليها حفظاً لها من السرقة ، أو من سقوطها في البحر عند تلاطم الأمواج أو هيجان البحر · فلم يبق الا القول بأن المتلمظة هي مقام الاشتيام دون غيره فهو خاص به ·

قال في التاج في (ل م ظ) المتلمظة [ولم يضبطها بالقلم ولا بالنص · وصوابها ضبطها بضم الميم ، وفتح التاء المثناة الفوقية وفتح اللام وكسر الميم المشددة وفتح الظاء المشالة ، وفي الآخر هاء] مقعد الاستيام [هكذا وردت فيه بالسين المهملة] وهو رئيس الركاب والملاحين كما في التكملة · وسبق مثل ذلك في (م ل ط) [اي المتملطة بتقديم الميم على اللام ، والضبط واحد] ولا أدري ايها اصح » انتهى ·

قلنا : الأصل هو المتلمظة ، بتقديم اللام على الميم ، وهي مشتقة من تلمظ الحية يقال : تلمظت الحية اذا اخرجت لسانها ، لان الاشتيام يكون في مكان عال يشرف منه على البحر ، ناظراً الى يمينه ويساره ، الى امامه وورائه ، متلفتاً تلفت لسان الحية ، ليتمكن من تسيير سفينته وحفظها من الخطر والاصطدام واجرائها في محل أمين من اليم ، كما هو معلوم من أمر الأشاتمة الى يومنا هذا ، فيفرد له محل خاص به ليتفرغ للرقابة والنظر الكامل ، ولا يلهو بأحاديث الركاب والمسافرين ، او بما يحدث حواليه ، فينصرف ذهنه الى ما لا يهمه · ويقابله بالفرنسية :

Passerelle , Dunette, Place du commandant, ou du capitaine, Siège dans un navire réservé, au commandant , ou à l'amiral

هذا اذا كان المركب لغير الحرب · اما في سفن الحرب فتسمى المتملطة بالفرنسية والانكليزية والألمانية Blockhaus .

ولسان العرب لم يذكر المتلمطة في (ل م ط) الا انه ذكرها في مادة (ر ب ع) قال في ص ٤٥٦ في س ١٧ : «والمتملطة [وقد ضبطها كما سبقنا فضبطناها · والهاء للمبالغة لا للتأنيث على ما يظهر لنا] مقعد الاشتيام ، وهو رئيس الركاب » اهـ ·

اما صاحب التاج فقد ذكرها في كلتا المادتين أي في ملط ولمظ وقد ذكرها اللسان أيضاً في (م ل ط) قال : المتملطة ولم يضبط حركة اللام المشددة] مقعد الاشتيام والاشتيام : رئيس الركاب

قلنا والمتملطة تصحيف المتلمظة ولم يذكر القاموس هاتين اللفظتين ، ولا محيط المحيط ، ولا اقرب الموارد ، ولا البستان ، ولا مد القاموس ، ولا دوزي ، ولا الجوهري ولا ولا ولا ، فياله من إغفال عظيم !

ومثل المتلمظة : السلوقية · قال ابن عباد في كتابه المحيط ، ونقل نصه الصاغاني في العباب ، واورده ايضاً الفيروزابادي في قاموسه : «السلوقية : « مقعد الربان من السفينة » اهـ ·

ولم يزيدوا على هذا القدر ، ولم يذكروا أصل اللفظة · وعندي انها من الارمية في فعل (سلق) والذي اسم مصدره (سلاقا) اي الارتفاع والعلو لأن الربان يكون في اعلى موضع من سفينته ليرقب ما حواليه من متسع البحر على حد ما قلنا على المتلمظة ، وعلى حد ما اشتق الفرنسيون لفظتهم Dunette فانها تصغير Dune اي كُثَيِّب تصغير كَثِيب وهو تل الرمل · كأن السلوقية تكون بعلو الكثيب ليشرف منها الرُّبان على البحر ·

١٠ حاجتنا الى معجم لغوي شامل لجميع المصطلحات

يرى من هذا المقال أن لغتنا في حاجة إلى معجم يجمع المصطلحات والاوضاع العلمية ، والفنية والصناعية ، على اختلاف أنواعها ، وعصورها ، والبلاد العربية اللسان التي نطقت بها ، وأن تدوّن في مظانها ، لا في مادة لا تخطر ببال الباحث ،

ن يثبت لها اختلاف المعاني ، على اختلاف العصور والبلاد ، ليكون ذلك الديوان
ورداً ينتابه الباحث كلما احتاج اليه ؛ فيجد فيه ضالته المنشودة · فلقد رأيت ان العرب
عرفت ألفاظاً ما كان ابن هذا الزمن يحلم بوجودها عند أجداده ، لا سيما وان السلف
يكونوا مشهورين بالملاحة ، على ما أشاعه عنهم أرباب الاغراض والشعوبية ، فلقد
ن لك الآن ان للناطقين بالضاد أوضاعاً ومصطلحات والفاظاً لا تجد لها مقابلاً في
نة الأجانب حتى بعد تبحرهم في الحضارة والعلوم والفنون والصناعات ·

١١ · الخلاصة

الاشتيام · ويقال الاستيام بالمهملة أيضاً ، وبالمعجمة أفصح وأشهر ليس من وضع
بحتري الشاعر المشهور ، بل هي من صدر الاسلام ونأنأته ، بل ربما سبق الاسلام كما
ذكره البلاذري في كلامه على السيابجة وهو ليس من الفارسية لكنه من الارمية ،
كما قال الليث في معجمه البديع الذي سماه الخليل بن أحمد الفراهيدي بكتاب (العين)
للاشتيام عدة معان باختلاف العصور والبلاد ، وكان آخر معانيه في عصر العباسيين
مير المساء (ولا تقل أمير البحر ، لأن فصحاء العرب لم تعرف هذا التعبير ، بل
عوامهم ، بخلاف أمير الماء ، بالفرنسية Amiral d'une flotte وان اريد به رئيس
الملاحين فهو Maître d'équipage وان اردت به رئيس الركاب فهو بلسان الفرنسين
Commissaire de marine وان عنيت به صاحب الأمتعة ؛ فهو ناظر الامتعة أي
Subrécargue

وأما المتاظة والمتلطة فهو مقعد الاشتيام ، اي مقعد الذي يقوم باجراء السفينة
في نوبته لان الاشاتمة يتناوبون على تدبير أمر السفينة وبالفرنسية Banc de quart
وأما السلوقية فهي أرفع مكان في السفينة ويكون مقعداً للربان وهي Dunette —
بالفرنسية وقد شرحوها في معاجمهم بقولهم ما ننقله الى لساننا : « ما يبنى بناية خفيفة
فوق الجسر الأعلى من مؤخر السفينة ، وهي عبارة عن نحو ربع طول المركب ،
ويعلو نحواً من مترين ، ويشرف على نشز المؤخر ، كما تشرف المنظرة على ساحة المدينة ،
وعليها يكون الاشتيام عندقيامه بوظيفته لانه يمكن حينئذمن ان يرقب ماحواليه في البحر »

الاب انستاس ماري الكرملي

جامع التواريخ

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٧ —

حدثني أبو طاهر الحسن بن محمد بن الحسن الجوهري الشيرازي المعروف بابن المقتفي وهو أحد الشهود بمدينة السلام قال قال لي أبو الفضل العباس ابن فسانجس : كسبت في مدة من تصرفي مع السلطان بفارس خمسين الف الف درهم ، وصادرني علي بن بويه في مدة مقامي بشيراز على ستمائة الف دينار متفرقة سوى ما استخرجه من خراج ضيعتي ثم اقتطعها بالحقين ، وأنا أقول : لو لم نعتبر في الزمان الا بهذه الحكاية لكفى ، لان أبا الفضل ماتقلد اكثر من كتابة فارس وخلافة العمال بها عليها أو على بعضها في بعض الأوقات فظفر بهذا المال ، وقد تقلد أبو الفرج محمد بن العباس ابن فسانجس دواوين العراق مجموعة ثماني وعشرين سنة ثم الوزارة ثلاثة عشر شهرا وبلغ المبالغ التي لم يبلغ اليها أبوه قط ، فلما أرهق بالمطالبات في وقت النكبة واستقصي عليه بلغت مصادرته الف الف ومائتي الف درهم تكشف[1] بأدائها .

* * *

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال حدثني بعض المشايخ : ان

---

(١) أي افتضح

لقاسم[1] بن عبيد الله كان يخاف المعتضد ويخفي شربه ولعبه لئلا يتصوره
صورة حدث متوفر على لذاته يخلّ بالعمل فيفسد رأيه فيه ، وكان مع
ذلك بالشباب والحداثة يشتهي اللعب ، فاذا أمكنه أن يخفيه جداً استرق
الليلة أو اليوم من عمره فشرب ، قال فأراد الشراب ليلة من الليالي على الورد
فاحتال في جمع شيء كثير منه وحصله خفياً ، وجمع من المغنيات جمعاً
كثيراً وفيهن واحدة كان يشتهيها ويتحلاها ، وجلس وليس معه غيرهن ،
فشرب وخلط بالورد الدراهم الخفاف ونثر عليه والناس يسمون ذلك
شاذكلي[2] ولبس ثياب قصب مصبغات من ثياب النساء ، وأدخل تلك
المغنية معه لشدة شغفه بها ، ومضت ليلة طيبة فقطع الشرب من نصف الليل
خوفاً من الخمار ونام ، وركب إلى المعتضد من غد وأقام في الخدمة الى حين
وقت انصرافه ، فلما أراد الانصراف دخل ليراه المعتضد وينصرف ،
فاستدناه المعتضد الى ان صار بحيث لا يسمع كلامه غيره ، فقال له : ياقاسم !
لو دعوتنا البارحة فكنا نلعب معك شاذكلي ، ولكنك احتشمت لأجل
المصبغات التي لبستها انت وعشيقتك ، قال فكاد القاسم ان يموت جزعاً ،
فقال له : ما لك قد جزعت واي شيء في هذا ؟ لو علمنا انه يلحقك هذا
ما أخبرناك بشيء ولا آذيت قلبك امض في ودائع الله . قال فعاد القاسم

(١) الفرج بعد الشدة ١ : ١٠٣ مع اختلاف في العبارة

(٢) من كلمتين فارسيتين شاد يعني طري و كل يعني ورد . « كذا يرى الأستاذ مرجليوث وترى أن معنى شاد هنا السرور وكل الورد والاشارة في ذلك تعود الى نثر الورد عليهم في مثل تلك المجالس » (م)

الى داره كئيباً ، وجمع نصحاءه وأخبرهم الخبر وقال : ما أراد المعتضد بهذا الا ليعرّفني ان هذا القدر من أخباري ليس يخفى عليه ، وإذا كان على الحقيقة قد علم هذا القدر ، فكيف يخفى عليه مرافقي وما هو أظهر من هذا من أخباري وكيف يكون عيشي وانه لا ينستر على مثل هذا؟ وما ترون ما صنع ؟ فأخذوا يطيبون قلبه ولا يزداد جزعاً ، إلى أن قال لهم : ان لم أعرف من رقى هذا الخبر انشقت مرارتي وقتلت نفسي ، فقالوا له نحن نبحث ونتعرف ، فابتدر أحدهم وقال : أنا أكفيك أيها الأمير هذا . قال وجعل ذلك الصاحب يطوف حوالي دار الخليفة ليجد من يشبه صاحب خبر فيخمن عليه فما ظفر بشيء يومه ذلك ، فلما كان من الغد طاف الدواوين ومجالس أصحاب البريد والخبر يومه اجمع فما ظفر بشيء ، فلما كان اليوم الثالث طاف دار الوزارة ومقاصيرها فلم يظفر بشيء ، فلما كان في اليوم الرابع وقف على دابته في باب العامة في دار الوزارة متحيراً لا يدري ، ينتظر ان يخرج الوزير راكباً فيركب معه المركب[1] فيتفقد الوجوه اذ كان لم يبق له شيء يجده ، وإذا هو برجل شاب يحبو على ركبتيه زمانةً كما يكون الزمن الذي يتصدق[2] وقد جاء قبل طلوع الشمس بشيء كثير فزحف ودخل على البوابين فلم يمنعوه ، قال الرجل فحين بلغ العتبة وقف مع البوابين يحدثهم ساعة وأنا أصغي اليه ويسألهم عن أخبارهم ويدعو لهم ، وهم على بشاشة إلى أن أخذ بهم في غير ذلك الحديث الى أن قال : من بكر اليوم الى

(١) لعله : في الموكب (٢) أن يسأل الصدقة وهو عامي كانبه على ذلك الجوهري (م)

الدواوين ومن دخل (وحجب)؟ فقالوا له: فلان وفلان ، فحين سمعتُ ذلك علمتُ أنه صاحب خبر ، فأتبعته بصري إلى أن جاز البوابين ودخلتُ وراءه ، فبلغ إلى أصحاب الستور ، فكانت صورته معهم كصورته مع أولئك ، فأخبروه بما لم أكن أعلم مع اختصاصي بخدمة الوزير من وصول الناس اليه وحجبهم عنه ، وتجاوز الى دهليز العامة فنزلتُ عن دابتي وتبعته وهو لا يفطن لي فبلغ الى موضع الحجاب ، فولع به الحجـاب ولم يحدثهم بشيء ولم يحدثوه ، ودعا لهم وتصدق منهم فأعطوه فتجاوزهم الى الصحن وأنا أراه فلم يزل يحبو ويطوف على خزانة خزانة من خزائن الفرش والشرب والكسوة وحجر الغلمان والخدم ويبحث عن الأخبار ويحدث بكل شيء وانا أسمع حتى استفدت ما لم أكن أعرفه من تخبر دار الوزير ، ثم جاء الى باب الحرم فدعا للخادم الموكل بالباب فتصدق عليه وأعطاه وجلس هناك يتطايب ، وكل من دخل وخرج من جارية او خادم يسأله عن خبره ويولع به ويهب له شيئاً ويستخرجهم أخبار الدار وينقل مافيه ويقول : قولوا لستنا فلانة تهب لي ما وعدتني به ، وقولوا لستي فلانة تتصدق عليّ ، وسلوا ستي القهرمانة الفلانية عن خبرها واقرؤها سلامي : وأنا أشاهده وأتعجب منه حتى استنفد من أخبار جواري القاسم ومبيته وعند من بات منهم البارحة وما بين الجواري من السرور والانس وأخبار كسوتهم وأشياء من هذا الجنس كل شيء طريف ، ثم زحف ودخـل دار الخلوة التي يخلو فيها الوزير — وكان يركب منها — فيهش به فراشو الحجرة

والخاصة والخدم والغلمان الأصاغر وضاحكوه ودعا لهم وأخذ من بعضهم برأ ، وسألهم عن خبر الوزير في خلوته تلك وشربه ، وقال له بعضهم : هو مغموم غماً شديداً منذ يومين لا نعرف سببه فما يشرب ولا يأكل ولا نوم ولا خلاو : كل ذلك يظهر في مسائلته التطايب وانه كالمتغير المعتوه ، ويحمل أولئك الفاظه على هـذا ، فيخبره منهم الضعيف العقل والمزّاح والأخرق ، وهو يحتمله الى أن فرغ من أهل حجرة الخلوة ، ثم خرج فزحف أشد زحف على هيئته لا يعرج على شيء حتى جاء إلى مجلس الكاتب ، فأقام هناك طويلاً ففعل كفعله ، ثم خرج عن الباب وقد ملأ زنبيلاً كان معه من الخبز والحلوا والطعام وملأ جيبه من الدراهم فلما صار على باب الدار قلت للبوابين : تعرفون هذا ؟ فقالوا رجل زمن ابله يجيء فيتصدق وخلقه طيب فكل من في الدار يستطيبه ويبره ، قلت قد رحمته واشتهيت آخذ له شيئاً ، ففيكم من يعرف بيته ؟ فقالوا لا ، فركبت واتبعته ولحقت به ووقفت كأنني أحدث غلامي وأسير خلفه على تؤدة ، حتى جاء الى الجسر فعبره زحفاً وأنا وراءه و دخل الخلد ودخلت معه وولج في خان ، فقلت لغلامي : اتبعه فاعرف بيته في الخان ففعل وعاد إليّ فوصفه لي ، (فوقفت) متحيراً لا أدري ما أعمل ولا من أسأل عنه وأخاف أن أنفره فيهرب ، وطال وقوفي وهممت بالانصراف فاذا به قد خرج بريئاً نظيفاً بثياب مَرَوية ولحية بيضاء وطيلسان وعمامة قد جعلها فوق حاجبيه ، فلولا قرب عهدي به وبرؤيته لما عرفته واذا هو يمشي

لا قلبة [1] به ، فتأملت لحيته واذا هي ملبسة فوق لحيته وقد أخفاها بعمامته وانما فطنت لذلك لشدة تأمله وصرف اهتمامي الى ذلك مع قرب عهدي برؤيته ، ومشى فدخلت الى مسجد وغيرت عمامتي وأمرت غلامي أن يأخذ دابتي ويقف لي عند الجسر بها ، ونزعت خفي ولبست تمشك [2] غلامي ومشيت فاتبعته بسرعة مشيته ، ومضى حتى أتى دار ابن طاهر فخرج اليه الخادم فما منهما من كلم صاحبه بأكثر من أنه أخرج رقعة لطيفة فسلمها إلى الخادم ، ودخل الخادم ورجع هو ، فلم أتبعه وامتدبت الى درجة يعقوب فركبت في سميرية وصعدت الى دار الوزير فدخلت اليه وهو يطلبني للاكل ، فأكلت معه وقام الناس فجلست ، فقال لي : قل ، فقلت : فعلت البارحة كذا وكذا ، وجرى في دار حرمك كذا ، وقالت فلانة كذا ، وقالت جاريتك الفلانية وخاطبتك بكذا ، وفلان الخادم الصغير فعل كذا ، قال وكنت قد سمعت في خلال ذلك أخبار الحاشية بعضهم في بعض ، لا أظن صاحب الخبر عرفها ، ولكن كما انجرت الأحاديث فأخبرته بذلك كله ، فقال لي : ويحك ايش تقول من أين لك هذه الأحاديث ؟ فقلت : من حيث خرج حديث الشاذكلي ، فقال اخبرني فقلت الجائزة ، فقال احتكم ، فأخبرته بخبر الزمن على جهته ، فجذبني

(١) القلبة الداء (٢) التمشك نوع من المداس ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٢ : ١٦٤ (أراد ابن الصلاح أن يستعمل له تمشكاً بغدادياً فدل على رجل يقال له سعدان الاسكاف فاستعمل التمشك عنده ولما فرغ منه وجده ضيق الصدر زائد الطول رديء الصنعة)

وقبل بين عينيَّ وأمر لي بمال جليل ، وقال : أريد أن تحصله من حيث لا يعرف خبره ، فقلت أنا على ذلك ، فتقدمْ الى بعض الغلمان الخاصة أن يطيعني ، فجمع بيني وبين غلام منهم وتقدم اليه بذلك ، فلما كان من الغد باكرت الدار وجلست (انتظر) الرجل ، فاذا به قد جاء على زي أمس في البزه والزمانة ، ودخل ، ولم أعرض له حتى دخل حجرة الخلوة فاتبعته ، وقلت للغلام : خذ هذا ، فأخذه وقفلنا عليه باباً من الحجرة ، فاضطرب وبكى ، ونزل الوزير فأسررت اليه الخبر ، فرفض شغله ودخل الحجرة واستدعى به ، فجاء يزحف فوكزت عنقه وقلت له: قم ياعاض ... فامش مشياً صحيحاً كما رأيتك تمشي بالامس ، فقال : أنا رجل زمن ، فأحضرت له مقارع ، فلما رأى المصدوقة قال [1] فمشى ، فقال له القاسم : اصدقني عن خبرك والا قتلتك الساعة ، فقال : أنا صاحب خبر المعتضد عليك منذ كذا وكذا شهراً أفعل كذا واصنع كذا ، وذكر مثل ما أخبرته به ومتر [2] وانه يجمع الاخبار ويكتب بها في كل نصف نهار من كل يوم ، ويوصل رقعة لطيفة بذلك الى الخادم الموكل بدار ابن طاهر ، فيمضي به ذلك الخادم الى المعتضد ، فان الخادم هو الواسطة بينهما ، وانه اذا كان في رأس كل شهر سلم اليه الخادم ثلاثين ديناراً عيناً ، قال فعرفني أي شيء أنهيت من أخباري طول هذه المدة ؟ فذكر له أشياء كثيره منها خبر الشاذكلي ، فحبسه القاسم في ذلك البيت ، فلما كان في الليل قتل [3] ودفن

(١) الصواب : قام (٢) الكلمة مطموسة ولعله : منزعه أي أساويه

(٣) وفي الفرج بعد الشدة ان لم يقتله فأمره المعتضد بإطلاقه .

فانقطع خبره عن المعتضد ، فلما كان بعد شهر وا كثر قال لي القاسم : استرحت من ذلك الكلب ، ما أرى عند المعتضد من خبري شيئاً ، ولا أرى عليه أثراً يدل على وقوفه على شيء من امري .

* * *

حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم ، قال حدثني أبي قال كان أبو بكر بن رائق شديد الاعجاب بغناء أبي القاسم بن طرخان وكان اهلاً لذلك ، وكان أطيب الناس حلقاً وأحسنهم صنعة ، وكان يجس الطنبور جساً أطيب من الضرب ، تكاد القلوب اذا سمعته ان تخرج من اضلاعها استطابة له ، وكان اذا ابتدأ يجس ابتدأ ابن رائق يشرب أقداحاً [1] الى ان يجيء [2] الغناء ، فقال له [3] يوماً : يا ابا الحسن ماترى هذا الجس الذي ليس على وجه الأرض اطيب منه اي شيء يشبه عندك ؟ فقلت ايها الأمير يشبه رسول الحبيب يستأذن لزيارته فأعجبه ذلك ، ثم حدث بهذا الحديث عبيد الله بن محمد الصوري فعمل بحضرتي في ذلك شعراً وانشدنيه :

قامت تذود كرى المحِـ ـبّ وقد غفا عن مقلتيه
وتجس قبل الصوت مثـ ـنى عودها شوقاً اليه
فكأنه في قلبه اذ نبهته ومسمعيه
نغم الرسول مبشراً بقدوم من يهوى عليه

* * *

وحدثني ابو الفتح قال : كنت بحضرة أبي وبحضرته مغنّ يغني ،

(١) كلمة أو كلمات مطموسة . (٢) لعله : يختم (٣) لعله : لي

فمرّ في بعض لحنه بميم فبيّنها ، فقال له ابي : اذا مررت في الجانك بميم او نون فزمّها واعصرها ، وانا ضامن لك طيبة ذلك غارم لك كلما يجنى عليك ، قال فأعاد الصوت وزم الميم زمّاً شديداً فتضاعفت طيبته .

* * *

سمعت (الوزير ابا) محمد المهلبي يتحدث يوماً في مجلس أنس حضرته قال : كنت قد خرجت من الاهواز مع ابي جعفر الصيمري نريد السوس وهو اذ ذاك عاملها لمعز الدولة وكانت والدة ابي الغنائم اذ ذاك بالسوس وانا في عنفوان اشتهاري بها وقد اشتد شوقي اليها (يعني تجني جاريته) فلما صرنا في الرمل الذي في الطريق هاجت ريح عظيمة فسفت علينا تلك الرمال فذكرت بيتي الفرزدق وهما :

وركب كأنّ الريح تطلب عندهم لها سلباً[1] من جذبها بالعصائب

نصبت لها نفسي وانصبت صاحبي إلى ان نزلنا في ديار الحبائب[2]

فعملت :

وريح تقيم[3] الحر مما تثيره وتستلب الركبان دون[4] العصائب

نصبت لها نفسي وانصبت صاحبي الى ان نزلنا في ديار الحبائب

(قال وأنشدني لنفسه) :

(١) المشهور ترةً كما في الديوان (٢) هذا البيت من شعر المهلبي الآتي لا من شعر الفرزدق (٣) لعله تغيم الجو (٤) لعله ربط أو هدب أو مافي معناهما على أن في البيت رواية أخرى وهي :

وريح تفل الروح عن مستقره وتستلب الركبان فوق الركائب

يحسب[1] العين أنها طرحت على فؤادي ثقلاً من الشعف
ما أبله العين في توهمهـا [2] ضرب من التلف

* * *

أخبرني ابو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الايذجي وكان يخلف ابي على القضاء بايذج وعلى رامهرمز ثم لم يزل على الحكم ونادم أبا محمد المهلبي في وزارته فغلب عليه وعلا محله عنده وتخالع وتهتك بما لا يجوز للقضاة وكان يدعى بالقضاء ويخاطبه أبو محمد في الوزارة في كتبه بسيدي القاضي وكان له محل مكين من الادب قال وردت البصرة وانا حديث السن لأكتب العلم وأتأدب فلزمني أبو عبد الله المفجع وكنت اقتصر عليه فكتب إليّ يوماً وقد قرص الهواء :

يا يهذا الفتى وأنت فتى الدهـ ـر اذا عز أن يقال فتى
طوبى لمن كان في الشتاء له كاس وكيس وكسرة وكسا[3]

وكتب في الرقعة قد بقيت كاف أخرى لولا اني أحب تقليل المؤونة عليك لذكرتها يعني . . . فبعث[4] اليه بجميع ما التمسه

وحدثني صديق لأبي وعمي أيام وفد[5] الى كور الأهواز في فتنة الزنج فلما قدمت الى البصرة قدمها[6] مع أبي فأنزلنا ابو خليفة داره واكرمنا

(١) لعله : أتحسب (٢) الكلمات مطموسة ولعل الأصل : لما عليه
(٣) راجع المقامة الـ ٢٥ للحريري التي ذكر فيها كافات ابن سكرة
(٤) لعله : فبعثت (٥) لعله : وفدا ويظهر من الحكاية ان المحدث هو الايذجي ولعل الجملة ناقصة والصواب : وحدثني قال كان أبو خليفة صديقاً الخ (٦) لعله : قدمتها

ومكنني من كتبه فكنت اقرأ عليه كلما أريد وأسمع كيف شئت وأحب وأكتب وأنسخ لنفسي أصوله فاذا كان الليل جلسنا وتحادثنا فربما رُمت القراءة عليه فيجيبني فاذا اضجرته بكثرة القراءة عليه يقول يا بني روّحني فأقطع القراءة واذا استراح اخرج من كمه دفتراً في ورق اصفر من الورق العتق فيقول أقرأ علي من هذا فانه خطي وما تقرأه علي فهو غير خطي فكنت اقرأ عليه منه وكان فيه ديوان عمران بن حطان وكان يبكي على مواضع منه فأنشدته ليلةً القصيدة التي فيها :

(يا ضربة من كريم ما[1] ارادبها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لأذكره يوماً فأحسبه أحظى البرية عند الله ميزانا

فبكى عليهما لما انتهيت اليهما حتى كاد أن يغمي عليه فاستطرفت ذلك وعجبت منه فلما كان من الغد اجتمعت مع المفجع فحدثته بذلك واغتررت به للادب واستكتمته اياه لمشاغه[2] وعمل :

ابو خليفة مطوي على دخن للهاشميين في سر واعلان
مازلت أعرف مايخفي وانكره حتى اصطفى شعر عمران بن حطان

وانشدنيها لنفسه وانشدتها غيري فكتبها عنه بعض أهل الادب في رقعة لطيفة وجعلها في مقلمته وحضرنا عند ابي خليفة في مجلس عام فقبض الرجل مقلمته ليرى مافيها فسقطت الرقعة فانصرف (الرجل) فوجدها

(١) الكلمات مطموسة في الأصل فأتينا بها من كتاب الاغاني ١٦ :١٥٣ والشاعر يمدح قاتل علي بن أبي طالب . (٢)لعله صوابه خشية المشاغبة

ابو خليفة وقرأها[1] ان الابذجي قبحه الله وترحه بدمي علي[2] بأبي العباس الشاهد يعني والدي فجاءه فحدثه الحديث فوقعتُ في ورطة وكادت الحال أن تنفرج بيني وبين أبي ومنعني ابو خليفة القراءة واحتشمت فحملت اليه ثياباً لها قدر واهديت اليه من مال كل الجند واعتذرت اليه فرجع وقبل عذري وعاد[3] تدريسي ومكنني من القراءة عليه فقرأت كتاب الطبقات[4] وغيره مما كان عنده وقال : فلاأظهر الرضى عنك او تكذب نفسك ففعلت ذلك وأعطيت المفجع ثوباً دبيقياً حتى كف عن انشاد الابيات وجحدها واعتذر الى أبي خليفة وقال لي ابو علي عقيب هذا اكثر رواة علم العرب فيما بلغني عنهم ، اما خوارج او شعوبية كابي حاتم السجستاني وابي عبيدة معمر بن المثنى وفلان وفلان وعدد جماعة

انتهى الجزء الثاني

---

(١) كلمات مطموسة معناها فاستشاط غضباً فقال (٢) يريد يسعى على دمي ولعل العبارة محرفة (٣) لعله سقط : الى (٤) طبقات الشعراء الجاهليين

مخطوطات ومطبوعات

السيد محسن الأمين

وهديته إلى المجمع

السيد محسن الأمين الحسني العاملي أكبر مجتهدي الشيعة الامامية في بلادنا الشامية ، يدلك على ذلك مصنفاته الممتعة . ومناظراته المسهبة التي كانت تقع بينه وبين علماء المذاهب الأخرى . ومن تصفح آثاره هذه أدرك ان السيد العلامة جبل راسخ في العلوم الدينية والتاريخية والجدلية . وأكبر مصنف له دل على فضل وسعة اطلاع كتابه الذي سماه (اعيان الشيعة) وقد بلغ بضعة عشر مجلداً ولم يكمل بعد . أهدى نسخة من هذا الكتاب الى مكتبة المجمع العلمي ، وطائفة من مصنفاته الأخرى : منها كتاب (معادن الجواهر في علوم الأوائل والأواخر) و (كشف الارتياب) في الرد على الفرقة المنتسبة الى محمد بن عبد الوهاب . و (لواعج الأشجان) في حادثة سيدنا الحسين و (المجالس السنية) في ذكر مصائب العترة النبوية . و (رسالة التنزيه لأعمال الشبيه) وهي رسالة نعى فيها على أبناء مذهبه ما يعملونه يوم عاشوراء من التمثيل بأنفسهم واستعمال الحديد في قرع صدورهم وتهشيم جسومهم . وقد أحسن صنعاً في وضع هذا التصنيف . وإنَّ فيه أثراً بيناً من صحة يقينه ، في فهم دينه ، ودقة نظره ، في معرفة روح عصره . وله غير ذلك من التصانيف في العلوم الدينية والجدلية ، ولما لم تكن موضوعاتها من موضوعات مجلة مجمعنا تركنا التعرّض لتقريظها . ووصف مضامينها : فلم ننقل منها الى القراء شيئاً تفادياً من المناقشة والجدل المقفوتين لدينا .

وفي الحق ان سعة اطلاع السيد محسن في علوم الثقافة الإسلامية الدينية ليست بأقل من سعة اطلاعه في علوم اللغة العربية وتاريخ آدابها . دلنا على ذلك مصنفه في سيرة أبي فراس الحمداني ومصنفه أو ديوانه الذي سماه (الرحيق المختوم في

المنثور والمنظوم) وقد ضمنه طائفة كبيرة من شعره. وطائفة قليلة من نثره. وهو قسمان: الأول طبع سنة ١٣٣٣ هـ في ٤٠٠ صفحة. والثاني طبع سنة ١٣٤٨ هـ في ١٦١ صفحة وقد تبين لنا منها أيضاً أن السيد محسن مقل في النثر. لكنه مكثر من النظم. وهو في نثره وفي إيراد معانيه ومناحي تفكيره أقرب الى أساليب الشيوخ المحافظين منه الى أساليب الكتاب المجددين. على أن نثره إن لم يدخله في عداد المجيدين من كتابنا فان نظمه يضمه الى طائفة المجيدين من شعرائنا. ولم يتيسر لنا أن نتصفح من ديوانه سوى القسم الثاني. فرأينا أن ننقل منه الى القراء ما فيه دلالة على ما قلنا من بصارة السيد محسن في صناعة النظم. ثم نعمد الى ذكر بعض المؤاخذات اللغوية، يتخللها شيء من المعاتبات (العاطفية) التي أردنا من ذكرها جمع الشمل. لا نكث الحبل، والحض على العمل، لا المناقشة والجدل، ولما حاولنا نقل شيء من (الرحيق المختوم) للدلالة على شاعرية السيد محسن وبصارته في نظم الشعر البليغ انهالت علينا الأمثلة والشواهد من كل فصل من فصول الديوان. فاكتفينا بقوله الآتي من القصيدة الأولى التي ضمنها مدح سيدنا الرسول وآله صلوات الله عليهم:

أيا راكباً زيّافةً شدنية تلفّ وهادالأرض في السهل والربى
اذا ما قضيت الفرض من حج مكة وحاولت اتماماً له فانحُ يثربا
فلست ترى ماء المكارم ناضباً هناك ولا برق الأماني خلبا
أنخها اذا لاحت لعينيك طيبة وحيِّ ديار الحي من جانبي قبا
وقف والثم الأعتاب فيها تذللا وعفّر بها الخدين والوجه تربا
فثمّ ضريح لا الضراح يناله ولا النجم يرجو منه أن يتقربا

الى آخر ما قال، ومثله كثير في الدلالة على الجزالة وحسن السبك واستنهاج سبيل الافحاح من شعراء العرب. وقد لاحظنا على السيد المؤلف تتبعه الرخص والضعيف من لغات العرب. من ذلك قوله: في ص ٢ [من نظم ونثر الفقير الى عفو ربه] والأفصح أن يقول [من نظم الفقير ونثره] وما قاله انما يجوز لضرورة الشعر على حد قول القائل [بين ذراعي وجبهة الأسد] وجعله بعضهم لغة ضعيفة لا ضرورة

شعرية . وقوله ص ٤ [وقد كاد في مسراه أن يسبق الصبا] أدخل أن على خبر كاد المضارع وهو ضعيف، بخلاف خبر عسى اذا كان مضارعاً . وقوله في ص ٥ وص ١٨ و ص ٤٨ و ص ٤٩ و ص ١١٧ [يسمونه أهلُ الزمان][واشتبهن القدودُ بالأغصان] [وسبين فيه عيانُه] [ثبين رحانُه] [وطبن خصانُه][مذ كن أزواجُ النبي] كل ذلك جاء به على حدما يسميه النحاة [لغة البراغيث] وهي لغة ترتكب مرة لضرورة شعرية وارتكابها مراراً في ديوان شعر صغير بل في قصيدة واحدة أحياناً يدل على رقق الشاعر بلغة ممقوتة هي والبراغيث التي نسبت اليهن . ولو وقع هذا في قول غير الأستاذ لما انتقدناه ولكن للأستاذ شأنه . وفي ص ٥ [مبغوض التوحش] الأفصح مبغض . أما مبغوض فهي لغة رديئة من كلام الحشو ، ومما لم يعجبنا في كلام الأستاذ قوله :

ص ٣ [بيد انه نعرضه - أي الشعر - المقبحات كغيره من الكمالات] عدى فعل [عرض] بنفسه وهو انما يعدى باللام فصوابه [تعرض له المقبحات] أي تصيبه وتلحقه وتطرأ عليه .

ص ٤ كما أن منعه عليه الصلاة والسلام من الخط لحكمة لا يدل على ذم الخط] قوله [منعه] يشعر بأن سيدنا الرسول لا يجهل الخط وانما هو ممنوع منه منعاً . ونعيذ الأستاذ أن يكون رأيه في هذه المسألة رأي بعض أهل مذهبه الذين احتجوا برواية عن بعضهم لا تصلح بحال من الأحوال أن تقيد أو تخصص صريح آية [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون] .

ص ٦ كتبت [الشئام] و [رنى] هكذا وصوابهما الشآم ورنا ، وهذا من خطأ المطابع أو المصححين في غالب الظن .

ص ٧ (وقد أجنب الخيل العتاق أمامه) في القاموس وشرحه [جنب الفرس قاده الى جنبه فهو جنيب ومجنوب ومجنب كمعظم] ا ه ملخصاً فيفهم من هذا ومن اللسان والصحاح أن قود الفرس الى جنب الراكب يقال فيه [جنب] ثلاثياً فقط ولم يجيء منه أجنب ولا جنب بالتشديد، اللهم الا مجنب اسم مفعول فانه شذ مع عدم ورود فعل له ، فيكون الأستاذ سها في هذا الشطر سهوين : استعماله فعل اجنب مزيداً وهو

لم يرد الا ثلاثياً ، وقوله [أمامه] والجنوب لا يكون أمام الراكب وانما يكون في جنبه . والجنب شق الإنسان، ويسمى المكان الواقع الى شقه جنباً .

ص ١١ [وبالشرعة السمحاء] صواب تأنيث هذا الوصف أن يقال السمحة لأن مذكره سمح ولو كان مذكره اسمح لقيل في تأنيثه سمحاء . وهذا الغلط فاش بين الكتاب ولم تنفع فيه كثرة النهي عنه والتنبيه اليه .

ص ١٠ وص ١٢ وصف الشاعر المحسن سيدنا علياً فقال .

يقول سلوني قبل ماتنقدونني أنبئكم ما بالغيوب تحجبا

وقال: أيضاً مدينة علم أحمد وهو بابها أحاط بما يأتي وما هو سالف

هذا القول في الإمام علي يذكرنا بقول ابن هاني الأندلسي :

حاضر عند علمه كل شيء فطوال الدهور مثل فواق

ومن يقرأ هذا الشعر يشم منه القتار اعني رائحة اللحم المشوي [في حادثة حرق ابن سبأ] ولعمري انه لم تقم عقيدة في البشر أضر على البشر من تأليه البشر .

وان التساهل في وصف الامام بما ذكر هو الذي جعل فرق التشيع خصبة بقيام الآلهة من البشر الواحد تلو الآخر . ولا تقول آخرهم [البهاء] لأننا لاندري من يأتي بعده !!

ص ٥١ وبكى السيد المحسن سيدنا الحسين وافتتح مرارة البكاء بحلاوة الغزل فقال في وصف الأوانس :

بعيد سناؤهن الليل صبحاً ويمسي الصبح ليلاً بالجعود

أراد بالجعود الشعور المجعدة ، وهو جمع جعد، وقد كرر هذا الجمع في غزله عدة مرات ولم نسمع هذا الجمع في لغة الغزل قط كما أننا لانعلم اذا كان الذوق الشعري يستسيغه أو لا، اللهم الا اذا كان هذا الجمع مما يستعمله اخواننا شعراء الشيعة في غزلهم وقد ألفته اسماعهم

ص ٢٣ قال : ومنسهم بناظره مراش لاتقي جنه

راش السهم الزق به الريش فالسهم مريش لا مراش كما قال الاستاذ :

ص ٤٦ وص ٦٠ قال في رثاء الحسين رضي الله عنه

(يا أمة السوء ما هذا الجزاء له) . وقال (أم يالقومي في الورى خير أمة ؟!!)

وقال (شاهت وجوه المسلمين أهكذا ؟ الخ

أمة السوء هذه التي أنكر عليها أن تكون خير أمة هي التي خاطبها الوحي الآلهي بقوله تعالى [كنتم خير أمة أخرجت للناس] وهذه الأمة التي هي خير أمة بشهادة خالقها تقول للأستاذ الجليل كما قالت تلك العجوز للملك الضليل [امرء القيس] [عندما أغار على قومها ظاناً أنهم هم بنو أسد الذين قتلوا أباه] — لسنا بثأرك أيها الملك إنما ثأرك بنو فلان . وهكذا المسلمون يقولون للسيد المجتهد لسنا معشر المسلمين نحن الذين ارتكبنا فضيحة الحسين — وبلاه من تلك الفضيحة التي لا تكاد تطوى حتى تنشر — وانما هم فئة ضالة شريرة نبرأ الى الله منها كما يرىء منها ذاك الذي زعمت تلك الفئة أنها فعلت ما فعلت باسمه ، على ما حقق بعضهم . وقد انقرضت تلك الفئة وكادت تنقرض الأمة بشؤمها ولم تزل سكين التعيير بها تفري قلوب المسلمين والمعيّرون عن سوء نتائجها جدُّ غافلين .

ص ٥٤ لأنت فعلت بالإسلام بغياً كما فعلت ثمود قوم هود

هذا ذهول من الشاعر والا فان ثموداً ليسوا قوم هود وانما هم قوم صالح . وكأنهم سموا بثمود لقلة مائهم التي كانت ترده ناقة صالح وفصيلها . والثمد الماء القليل ، اما قوم النبي هود فهم عاد لاثمود (راجع آيات القرآن)

ص ٥٥ تجوب مع النسائم كل أرض وتسري في التهائم والنجود

النسيم الريح الطيبة جمعها أنسام كما في اللسان . على أنني قلما سمعتهم يستعملون جمعاً للنسيم . ولم ترد نسيمة بمعنى النسيم حتى تجمع على نسائم . أما شاهد الأنسام فهو قول شاعر العرب يصف ابله وقد تعبت من السير وجعلت أنفاسها تهب في وجه الذي يستقبلها هبوباً ناعماً قال :

وجعلت تنضح من أنسامها نضح العلوج الحمر في حمّامها

أراد الأعرابي أن يشبه هبوب نسيم انفاس إبله التي أعياها السير وحر الهجير فشبهه بشيء لا يخطر في بال أحد حتى ولا في بال شيطان الشعر نفسه : ذلك أنه رأى أو أنه أخبر ان علوج العجم يدخلون الحمامات فيغتسلون ويترفون ويدلكون بأنواع الطيب ويهب من معاطسهم وهم في تلك الحالة أنفاس كألطف ما يكون من النسيم فقال الأعرابي إن أنفاس إبله في الديايم . كأنفاس اولئك العلوج في الديماس .

ص ٦٦ [رزؤه شك في حشي (كذا) الدين سهما] الشك أصله من الشق ففعله يتعدى الى المشكوك أي المشقوق بنفسه ويؤتى بحرف الباء على آلة الشك فيقال شككت صدره بسهم . وشككت يده بإبرة . وقال عنترة [فشككت بالرمح الأصم ثيابه] . ثم توسع العامة في معنى [الشك] حتى قالوا شك صدره بوردة أي غرزها وأدخلها وشك الأرض بعود أي أدخله فيها وأثبته . ثم عادوا فتصرفوا في هذا التركيب بالقلب فقالوا شك وردة بصدره او في صدره . وشك عوداً بالأرض او في الأرض . وعليه جرى السيد محسن فقال [شك سهماً في حشا الدين] فهذا التعبير إذن عامي لا صلة له بكلام البلغاء . ومن تصرف العامة في فعل [شك] هذا انهم قلبوا كافه الثانية لاماً فقالوا : [شكل وردةً في عروة ثوبه اي أدخلها واثبتها ومنه شكول النساء وهي الورود يغرزنها في صدورهن او عقاص شعورهن .

ص ١٣٤ ندمان ما ملأً حديثي وصحبتي وان هي طالت لا ولا جفياني

جفا يجفو فعل واوي قال القاموس وشارحه [جفاه جفواً وجفاء فهو مجفو ولا تقل جفيت] فصواب جفياني جفواني ، ولا داعي لقلب الواو ياء كما لا داعي لذلك في قوله تعالى [دعوا الله ربهما] نعم اذا وقعت الواو رابعة او اكثر قلبت ياء فتقول من جفا (تجافيت عني) لا تجافوت . ومن فعل علا [تعاليت ياذا الجلال والاكرام] لا تعالوت .

ص ١٠٩ [وبقبر حواء وهدم ضريحها] الخ : في هذه الأبيات من القصيدة يعير الشاعر النجديين بهدم قبر جدتنا [حواء] أم البشر وقال انهم بهذا الصنيع يكونون قد عقوها وساؤوا نسلها وبعلها آدم عليه السلام . أصحيح أننا معشر الآدميين أُهنّا في كرامتنا بهدم ذلك الرجم المنسوب الى جدتنا حواء ؟ وما هي الصلة التي تربط ديننا وكرامتنا بكوم حجارة زعموا أنها قبر حواء . واي خبر صحيح ورد بذلك ؟ وهل وصل بنا التعلق بأحجار القبور الى هذا الحد ؟ اذا حسن هذا بكل احد فانه لا يحسن ممن عرف بكونه المحسن الى أمته ، الأمين على عقائدها ؟

ص ١٠٠ وللغزل في ديوان شيخنا الجليل نصيب وافر ، وله فيه ابيات كثيرة ، زيّنها حسن الصنعة ، وحلاها فرط التدله ، ولو ترك شيخنا الغزل في موطن من المواطن لتركه

في يوم النفر من عرفات [ص ٧ و ٨١] ولتركه في اشد المواقف غضباً ونعرة: حينما كان يرد على [مروان ابن أبي حفصة] الذي غلا في نصرة العباسيين والحط من كرامة الطالبيين: فقد افتتح شيخنا الجليل رده عليه بقوله:

أعاذلتي مهلاً لقد زدت في عذلي ... وما نافع قول العواذل في مثلي
ومن يك من حب خلياً فانني ... اسير القدود الهيف والأعين النجل
وبيضاء غراء الجبين غريرة ... أطالت عذاب القلب بالغنج والدل

فقارئ ديوان السيد يراه قد ضرب بسهم وافر في جميع الفنون الأدبية، كما ضرب بسهم أوفر في جميع المطالب الدينية، فنسأل الله أن يزيد في توفيقه، ليزيد أمته من واسع علمه ووافر تحقيقه

المغربي

مخطوطات نادرة

ليس في الشرق القريب فيما أحسب أعظم من مجموعة المخطوطات العربية التي جمعها العثمانيون في القسطنطينية منذ افتتحها محمد الفاتح، عهدي بها وهي اربع واربعون خزانة يزيد مجموعها على مئة وعشرين الف مخطوط منها ما وقفه السلاطين ومنها ماوقفه رجال الدولة وأهل الخير من الناس. وآخر خزانة أسست فيها خزانة علي أميري افندي رحمه الله، انشأها قبل الحرب العامة وكان جمعها طول حياته وطاف كثيراً من الولايات بحكم وظيفته ووظيفته «دفتردار» اي صاحب السجل أو مدير مالية. وا كثرها مما اقتناه من الشام واليمن وقد بلغت ثلاثة عشر الف مجلد، يوم زرتها في سنة ١٩١٥ م. نزل عنها فجعلتها حكومة تلك الأيام في مدرسة فيض الله افندي قرب جامع الفاتح. وكان في خزانة المدرسة من قبل نحو سبعة آلاف مجلد منها الفان من وقف فيض الله صاحب المدرسة والفان من خزانة حكيم اوغلي علي باشا وخزانة راشد افندي ومنها الفان وخمسمائة من كتب جاد الله افندي وستمائة وخمسة وخمسون مجلداً من وقف پرتو باشا وستمائة من وقف عموجه حسين باشا.

وعلي أميري افندي كان مجرداً طول حياته فابتاع بكل ما رزقه من مال كتباً قال لي إنني لم أسئ استعمال عملي سوى مرة واحدة . كنت في اليمن دفتردارا فعلمت ان عند احدى القبائل جزءاً من كتاب الاكليل للهمداني فبعثت الى رئيسها أرجوه ان يمكنني من استنساخ هذا الجزء لأتم به نسختي وكان عندي بعض أجزائه وانني أكافيء صاحب الكتاب بعشرة جنيهات عثمانية وأعيد اليه نسخته فلم يقبل اقتراحي واتفق ان تغيب الوالي عن ولايته وعهد الي بالوكالة عنه فأصدرت حالاً امري الى القائد العام ان يرسل حملة على تلك القبيلة تحيط بها وتأخذ الكتاب المطلوب ففعل واسرعت في استنساخ الجزء الناقص عندي من الإكليل واعدته الى صاحبه مشفوعاً بعشرة جنيهات . فهذا ما ارتكبته واسأل الله ان يكفر لي هذه السيئة !

ومن اجمل ما في مجموعة علي أميري افندي دواوين الشعر التي كان يطالع فيها بعض سلاطين بني عثمان ومنها ما وشحوه بخطوطهم وأوراق كثيرة من خطوط ملوكهم وكبار وزرائهم المشهورين . وجملة صالحة من أنواع النقوش والتذهيب والتصوير والتجليد القديم النفيس .

وبلغت الكتب التي ابتاعها من اليمن فقط نحو الف مجلد فيها كثير من التواريخ المفيدة مثل « النفس اليماني والروح الريحاني » لعبد الرحمن بن سليمان الأهدل و « طبقات فقهاء جبال اليمن لعمر بن علي بن سمرة بن الحسن بن الهيثم و « قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون » لربيع الزبيدي و « اخبار ملوك اليمن » لقاسم بن حسن الجرموزي و « تاريخ صنعاء للرازي و « إتحاف الأكابر باسناد الدفاتر » لمحمد بن علي الشوكاني و « الروض الباسم في معرفة الإمام القائم » لعماد الدين بن يحيى بن المطهر بن اسمعيل و « الاحسان في دخول مملكة اليمن آل عثمان » لعبد الصمد بن اسمعيل و « اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية » لبدر الدين محمد بن اسمعيل و « كتاب الاكليل في محافد اليمن » لسليمان الهمداني (المجلد الثامن فقط) و « جماهير الأنساب » لأبي محمد علي بن غالب الأندلسي و « غاية الأماني في اخبار القطر اليماني » ليحيى بن حسين (بخط المؤلف) و « ذوب الذهب » لمحسن بن حسن المنصور و « نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر » ليوسف بن يحيى بن حسين بن المؤيد (بخط المؤلف) و « طرف الأخبار من نتائج

الأسفار » لشرف الدين حسين بن أحمد الحسيمي و « تاريخ دولة الأتراك » لحسين بن عمر المعروف بابن حبيب الحلبي و « نفحات العنبر في القرن الثاني عشر » لابراهيم الحومي . وكان صاحب الخزانة يضع فهرساً لخزانته ولا أعلم إذا كان تم .

بحث أستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله في قوائم كتب الاستانة فاختار منها ما رآه جديراً بالطبع ، وكان من أعلم العلماء بالكتب ومؤلفيها كما كان من أعلم العلماء بالعلوم المختلفه . فما اختاره من خزانة اللالهلي في الاستانة (١) شرح الإشارات لابن كمونة وشرحها لسيف الدين الآمدي (٢) المعارف العقلية للغزالي . ومن خزانة اياصوفيا (٣) الحكمة المشرقية لابن سينا (٤) كتاب في الحكمة الجديدة لابن كمونة اليهودي (٥) كتاب في المناظر للحسن بن الهيثم (٦) العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا البعلبكي (٧) تحرير أقليدس لمحي الدين المغربي (٨) مجموعة الرئيس ابن سينا فيها رسالة في معرفة الله وصفاته وأفعاله وأخرى في قصائد الشيخ وغيرها في مسائل دارت بينه وبين بعض المتكلمين ورابعة في خطبة الشيخ وخامسة في المهدي (٩) ومجموع آخر للرئيس أيضاً فيه رسالة في الأرزاق وفي ايراد البراهين على مسائل عويصة وثالثة في إثبات النبوة ورابعة في أقسام العلوم العقلية وخامسة في حل مشكلات في الهيئة . وفي خزانة نور عثمانية (١٠) ترجمة كتب ارسطو لأسعد اليانيوي وفي خزانة الفاتح (١١) مختصر صوان الحكمة لحجة الحق عمر بن سهلان . وفي خزانة راغب باشا (١٢) شرح النجاة للشيرازي و [١٣] المدخل في الموسيقى للفارابي . وفي خزانة بني جامع [١٤] نهاية الادراك للقطب الشيرازي . وفي خزانة الكوبرلي [١٥] الكاشف لابن كمونة و [١٦] المنتخب من صوان الحكمة لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني

وفي خزانة بشيرآغا [١٧] منتخب تاريخ الحكماء ويسمى صوان الحكماء لأبي القاسم البيهقي . وفي خزانة الكوبرلي [١٨] إنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ بن حجر و [١٩] تاريخ مصر ودمشق للعلم البرزالي و [٢٠] كتاب الخراج لأبي الفرج بن قدامة و [٢١] الذيل على الروضتين لابي شامة و [٢٢] ذيل تاريخ الذهبي لعبد الرحمن العراقي

و[٢٣] شذور العقود في تاريخ العهود لابن الجوزي و [٢٤] عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران للبقاعي و [٢٥] مختصر تاريخ دمشق لصاحب لسان العرب · وفي خزانة الفاتح [٢٦] سيرة الملك الظاهر لمحي الدين بن عبد الظاهر [٢٧] فتوح مصر والمغرب لعبد الرحمن القرشي · وفي خزانة اللالهلي [٢٨] مختصر تاريخ الطبري لابن العميد [٦٧٢] · وفي خزانة اياصوفيا [٢٩] أعيان العصر للصفدي [٣٠] تاريخ حلب لابن العديم [٣١] العبر للذهبي مع ذيله لتلميذه الحسيني [٣٢] المنتظم لابن الجوزي ج ٨ [٣٣] تجارب الامم لابن مسكويه ج ٦ [٣٤] ذيل مرآة الزمان لموسى البعلبكي [٧٢٦] [٣٥] الدر الثمين في سيرة نور الدين للبدر ابن شهبة · في خزانة راغب باشا [٣٦] تاريخ الحكماء للشهرزوري · في خزانة يني جامع [٣٧] طبقات الفقهاء لابي اسحق الفيروزابادي

في خزانة الكوبرلي [٣٨] سحر البيان للجاحظ [٣٩] الزاهر في تفسير غريب الفاظ الامام الشافعي للازهري [٤٠] كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه [٤١] تاريخ ابي مسلم الخراساني [٤٢] رسالة في أول كتاب صنف في الإسلام في خزانة الفاتح [٤٣] البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي نسخة ٥ [٤٤] رسالة في مدح العلوم وذمها للجاحظ · في خزانة اسعد افندي [٤٥] شرح نهج البلاغة لحسين الاردبيلي · خزانة اياصوفيا [٤٦] مكاتبات الغزالي · خزانة عاشر افندي [٤٧] كتاب التيجان لابن هشام [٤٨] مدح الكتب والحث على جمعها للجاحظ · في خزانة يني جامع [٤٩] التوسل الى الترسل لمحمد بن مؤيد البغدادي · في خزانة حسام الدين [٥٠] ترسل القاضي الفاضل ·

في خزانة اياصوفيا [٥١] الأخلاق لابي الليث السمرقندي [٥٢] تقويم سياسة الملوك للفارابي [٥٣] نهج السلوك في سياسة الملوك لعبد الرحمن بن نصر [٥٤] السياسة في تدبير الرياسة للفرغاني في خزانة نور عثمانية [٥٥] رسالة في الأخلاق لابن المقفع [٥٦] كنز العلوم لابن تومرت · في خزانة الداماد ابراهيم باشا [٥٧] سر الصناعة لابي علي الحاتمي في خزانة الكوبرلي [٥٨] في آلات الساعات والعمل بها لرضوان الخراساني [٥٩] كتاب المناظر للحسن بن الهيثم [٦٠] كتاب المغازي لمحمد بن اسحق [٦١] كتاب في نسب

قريش للزبير بن بكار [٦٢] مختار الاغاني لجمال بن مكرم [٦٣] قانون الأدب للتفليسي [٦٤] مجموع رسائل لابن سينا [٦٥] فيما نقل الكندي من الفاظ سقراط في خزانة الفاتح [٦٦] نزهة الملوك في الطب والسياسة للرازي في سنة ٣١١ [٦٧] انموذج العلوم للفخر الرازي [٦٨] مختصر حلية الآداب للعماد الكاتب . في خزانة اياصوفيا [٦٩] مجموع في الرسائل التي دارت بين النصير الطوسي والصدر القونوي .

محمد كرد علي

تاريخ خليج الاسكندرية القديم

وترعة المحمودية

للأمير عمر طوسون طبع بمطبعة العدل بالاسكندرية سنة ١٣٦١ — ١٩٤٢

نقل سمو الأمير المؤلف هذه النبذة من المجلد الثامن من مؤلفه الفرنسي [تاريخ النيل] الذى تكلمنا عليه [في المجلد السابع من مجلة المجمع العلمي العربي ص ٢٣١] وذلك على ما كان كتبه منها ما كتبه المؤرخون في هذا الشأن مزيناً بالمصورات والخرائط والرسوم ومن الوثائق ما كان بالتركية ومنها ما كان بالفرنسية ومنها وثائق سراي عابدين ووثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة . وهو عمل علمي جدير بالثقة ويخدم تاريخ العمران في مصر المحبوبة خدمة جلي لا ينهض بها غير سمو الأمير وقد أثبت فيما نشره حتى الآن في تاريخ مصر بالعربية والفرنسية كيف يقترن العلم بالعمل وإخلاص القصد الى الوطنية التي تنطق عن نفسها لا صخب فيها ولا جلبة

م . ك

النهضة الأوربية

تأليف سدني دارك وترجمة محمد بدران طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤١ ص ٢٢٣ بالقطع الصغير بعناية بيت المغرب

قدم الأستاذ أحمد امين بك لهذا الكتاب الجميل وقال ان عصر النهضة في الغرب كان فيه خير وشر فصنفه المؤلف بخيره وشره وزهره وشوكه . وقد اجاد في الوصف في هذه الصفحات القليلة بالقياس الى جلالة الموضوع . وأجاد الأستاذ المترجم ايضاً في النقل حتى لتكاد تحس انه أنشأه مباشرة «فكان الكتاب في ثوبه العربي لا يقل شأناً عنه في ثوبه الانجليزي ، بل هو عربياً أصلح منه لقراء العربية انكليزياً وقد رأينا قليلاً من الأعلام عمد المترجم في نقلها الى غير المألوف مثل قوله : (ص ٣٩ وما بعدها) البحر الأبيض المتوسط وإطلاق الابيض على هذا البحر هو من مواضعات الترك فالأولى الاكتفاء بالمتوسط وكان يقال له بحر الروم او البحر الشامي . واستعمل لها تارة الأراضي الوطيئة وتارة الأراضي المخفضة (ص ٤٨ وما بعدها) ترجمة لبلاد Le Pays bas وقد اصطلحنا على ترجمتها ببلاد القاع واظن هذه التسمية من وضع العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي ونقل فلرانس وأحياناً فلرنس بدون الف والمشهور فلورنسا او فلورنته كما جاءت في العقود والعهود التي عقدت بين بلاد المسلمين وجمهوريات بيزة وطسقانة والبندقية .

وأطلق الدوق وجمعها على أدواق على كلمة Duc والعرب اصطلحت على رسمها بالجيم الدوج والجمع الدوجات . وقال تادز Tadiz وهي قادس ووضع «سنت برثليو» لوقعة سنت بارتلي هكذا بلفظها الفرنسيس .

محمد كرد علي

تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك

تأليف الأستاذ قدري حافظ طوقان

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤١ فجاء في ٢٥٢ صفحة من القطع المتوسط

كنت اقرأ في اجزاء المقتطف بعض ابحاث هذا الكتاب فأُسر لما اشتملت عليه من تحقيق دقيق يثبت فضل العرب على العلوم الرياضية . وقد علق بذهني ان السيد حافظ طوقان «وهو أستاذ الرياضيات في كلية النجاح في نابلس، وعضو في جمعيات العلوم الرياضية في انكلترا و اميركا» يعالج هذه الموضوعات معالجة الاختصاصي القادر على تمييز الغث من السمين فيما بقي سالماً من كتب الأجداد وأبحاثهم الرياضية والفلكية .

ويشتمل الكتاب على قسمين، قسم يبحث عن العلوم الرياضية قبل الإسلام، وعن مآثر العرب في الحساب والجبر والهندسة والمثلثات والفلك، وعن طغيان الشعر على الرياضيات . وقسم ثان يبحث عن نوابغ العرب في الرياضيات والفلك، تكلم فيه المؤلف على نحو ١٣٥ عالماً عربياً وإسلامياً (كالخوارزمي والكندي وابن الهيثم والبتاني والكاشي والقلصادي الخ .) مرتبين على حسب العصور التي عاشوا فيها، ومترجماً لهم على حسب اقدارهم، أو على حسب ما أبقته الأيام من آثارهم وما حفظه التاريخ من أعمالهم .

ومما يقرؤه المطالع في القسم الأول اخذ العرب لنظام الترقيم عن الهنود . واستعمالهم للصفر، وانتقال هذا النظام الى أوربا عن طريق الأندلس، وكون العرب أول من ألف في الجبر بصورة علمية منظمة، وأول من أطلق كلمة الجبر على هذا العلم، وانهم استعملوا الرموز ومهدوا للكشف عن اللوغارتمات كما مهدوا لإيجاد التكامل والتفاضل .

وقد ترجموا كتاب اقليدس في الهندسة وزادوا نظرياته، ووضعوا علم المثلثات في قالب علمي منظم، وأضافوا اليه إضافات هامة حتى صار بعض العلماء يعده علماً عربياً كما عدت الهندسة علماً يونانياً .

أما في الفلك فقد نقل العرب كتب الأجيال القديمة فصححوا بعضها وأضافوا اليها وأتقنوا صنع الأسطرلابات، ووضعوا الأزياج الدقيقة، وابعدوا هذا العلم عن

التنجيم، واستخرجوا بطريقة عملية طول درجة من خط نصف النهار . وقد أخذ الأوربيون علم الفلك عن العرب لأن كتب الأقدمين فقدت ولم يبق غير ترجمانها العربية ، ولهذا نجد أن عدداً كبيراً من أسماء النجوم عند الفرنج يمتّ إلى أصل عربي أو معرب .

ومن الأبحاث الطلية ما نظمته العرب من الأشعار في موضوعات رياضية . فالأدب عند أجدادنا كان يطغى على جميع العلوم لا على الرياضيات وحدها .

والكتاب مهدى إلى جلالة الملك فاروق . وقد قدمه الدكتور علي مصطفى بك مشرفه عميد كلية العلوم في مصر الى القراء بكلمة بليغة .

وبعد لقد سد هذا الكتاب الثمين فراغاً مهماً في خزانة كتب السلف . فخليق بكل عربي مثقف أن يقرأه ، وان يطلع فيه على مآثر أجداده في هذه الناحية من المعارف البشرية .

مصطفى الشهابي

تاريخ الأندلس

في عهد المرابطين والموحدين

تأليف المؤرخ الألماني يوسف اشباخ نقله الى العربية وعلق عليه

الاستاذ محمد عبد الله عنان

جزآن في نحو ٥٤٤ ص طبعا بعناية المعهد الخليفي بتطوان

في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة .

كتب صاحب هذا الكتاب مؤلفه منذ زهاء مئة سنة مستنداً إلى المصادر العربية التي ظفر بها في أيامه واعتمد أيضاً مؤلفه فيه على النصوص النصرانية باحثاً في تاريخ اسبانيا في عهد دولتي المرابطين والموحدين اللتين بعثت الأندلس بعد موتها . والناقل من أساتذة مصر المنجبين في التأليف والترجمة واكثر تآليفه في الموضوعات الإسلامية وقد حلى هذه الترجمة بالتعليق على النص الأصلي عند اللزوم ووضع ثبتاً بالاعلام الاندلسية اعلام المدن والاشخاص وغيرها مع ما يقابلها بالافرنجية .

محمد كرد علي

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي الجزء الثاني — القسم الاول

طبع في القاهرة بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤١

أفضت في فاتحة المجلد السابع عشر من هذه المجلة بالكلام على هذا التاريخ المفيد الذي أحيته بالطبع لجنة التأليف بعناية ناشره الأستاذ مصطفى زيادة وها هو القسم الأول من الجزء الثاني يصدر بمثل ذاك التحقيق والعناية وليس عليه من ملاحظات الا ما عرضته عند صدور الجزء الأول . ويتناول هذا الجزء تاريخ مصر والشام في عهد المماليك من أربع وسبعمائة الى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وهو عهد ازدهار لا بأس به في القطرين موحدة حكومتها وسلطان مصر قويٌّ عظيم تخطب الدول المجاورة في الشرق وده وتخشى بأسه وله مكانة في دول الغرب يومئذ ولا سيا في مثل أيام الملك محمد بن قلاوون . وقد دون المقريزي في هذا التاريخ اليومي أموراً كثيرة تدل على سعة الثروة في ذاك العهد منها أن الأمير سلار نائب السلطنة (ص ٩٧) كان دخله في اليوم مئة الف درهم أي زيادة على خمسة آلاف دينار مصرية واشتملت تركته على ثلاثمائة الف الف دينار وزيادة . وذكر (ص ١٢٩) ان مقداد بن شماس من مشايخ العربان عظم ماله حتى بلغ عدد جواريه اربعمائة جارية وعدة أولاده ثمانون ولداً . ودون تاريخ حج السلطان وما أتاه من التقادم من جميع الأمراء وقال ان كريم الدين الكبير تولى بنفسه تجهيز ما يحتاج اليه وعمل عدة قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البخاتي ويطبخ فيها وأحضر الخولة لعمل مباقل ورياحين في احواض من خشب تحمل على الجمال فتصير مزروعة وتسقى ويحصد منها ما تدعو الحاجة اليه فيها من البقل والكراث والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شيء كثير الخ .

وقد وقعت للناشر بعض تحريفات قليلة جداً منها قوله (ص ١٣٧ و ٢٠٧) قلعة مصياب والصواب مصياف (بالفاء) ومنها استعماله لفظ الزيجة (٢٠٥) وليست من الصيغ العربية الصحيحة وهي مولدة .

محمد كرد علي

مذكرات عن الثورة العربية

للأستاذ فائز الغصين طبعت في مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٣٩ (ص ٢٧٢)

أحسن صاحب هذه المذكرات بنشر القسم الأول من مذكراته التي أملاها صدق وطنيته وفيها صورة صحيحة مما وقع له وما هو بغريب في زمن الحرب العامة وما كان فيها من أهوال في جميع الأحوال فان وصفه لهربه من ديار بكر إلى البصرة في تلك الحقبة المشؤومة من اغرب المآسي . وقد قال (ص ٣٧) انه تألفت بعد الدستور العثماني وحرب ايطاليا في طرابلس الغرب آخر أيام العثمانيين فيها ثلاث جمعيات حربية سرية الأولى جمعية العهد الفها الضباط العرب مثل سليم الجزائري وعزيز علي ونوري السعيد وامين لطفي فدخل فيها اكثر ضباط العرب والثانية ألفها طلاب العرب في الاستانة وعلى رأسهم عبد الكريم الخليل والثالثة ألفها عبد الغني العريسي وهذه قويت جداً في الحرب وقتل الترك بعض رؤساء تلك الجمعيات الثلاث .

ومما وصف به البدو وصفة خاطفة قوله (ص ١٠٤) ان أعراب البادية ونساءهم يدخنون جميعهم الا ما ندر وقد رأيت نساء العقيدات يدخن التبغ الا قليل منهن والبدويات يستعملن الوشم في أيديهن وأرجلهن ووجوههن وشفاههن ويعدون الوشم من أسباب الزينة وقد رأيت نساء العقيدات لا يسرفن بالوشم كثيراً منهن يضعن وشمة خضراء على رؤوس انوفهن وأخرى على رؤوس خدودهن وثالثة على رأس ذقنهن . والمهور غالية عند العقيدات فمهر الفقيرة ثلاثمائة غازي وأما نقد الغنية أو بنت أحد الوجوه وشيوخ العشيرة فغال جداً يقدر بثلاثمائة شاة واكثر ، هذا عدا ما يدفعونه من الدراهم ويعطون فوق كل ذلك فرساً وبعيراً وبندقية وهبات للأقارب وأبناء العم مما يكلف العريس مقدار نصف المهر واكثر .

قال والعرب الرحل أقسام واصناف فمنهم من هم عرب رحل بما لهذه الكلمة من معنى وهم البدو الذين لا يقتنون غير الابل وهم عرب عنزة كالرولة وولد علي والمجل والفدعان والعمارات وشمر وقد أخذ هؤلاء أيضاً بتربية الغنم والماعز في الأيام الأخيرة وهم من العرب الرحل الحقيقيين إذ أنهم ينتجعون المرعى بإبلهم أين ما كان ويسيرون

في طلبه مسافات بعيدة ولهم رحلات في الشتاء والصيف يفتشون فيها عن الكلاء والمورد لأباعرهم والقسم الثاني هم سكان الخيام الذين يسمونهم في جهات دمشق بالرعية لأنهم يرعون الأغنام ويربونها وهم وإن كان لهم رحلات في الشتاء والصيف الا أنهم لا يتوغلون في البادية مثل عنزة وشمر وهم رعاة اغنام لأنفسهم ولأصحاب الأغنام من أهل المدن ومنهم النعيم والجملان والبوخميس واللهيب وأمثالهم . والقسم الثالث من العشائر ما كان لهم ماشية يرعونها وأرض يزرعونها وهم عشائر دير الزور وقسم من منطقة حلب ويدعون بالشوايا لانهم من أهل (الشاء) ويسمونهم في العراق بالمعدان ولا اعلم وجه التسمية .

وعامة البدو سواء كانوا من عنزة وشمر أو من الرعية والشوايا لا يستقرون في محل ولا يطيلون الإقامة في أرض فهم دائماً متنقلون من أرض الى أخرى ومن دار إلى دار يرتادون الكلأ ويفتشون عن مراع لمواشيهم وموارد لإبلهم . والماء والأعشاب أهم ما يفتشون عليه ثم انهم يرحلون من منازلهم لأسباب أخرى منها تراكم الأوساخ حول المحلات التي يقيمون فيها فيتركونها ليتخلصوا من هذه الأقذار والروائح المنبعثة منها وهكذا تراهم دوماً يتنقلون في الشتاء والصيف لا يهدأون ولا يقرون على قرار اه .

وحبذا لو أفاض صديقنا صاحب هذه المذكرات في مثل هذه الموضوعات فانه ابن بجدتها ويحسن معالجتها أكثر من غيره ونشكر له عنايته فيما نشر ونتمنى أن يتم له ما يريد من نشر هذه المذكرات المفيدة لتكون مادة في المستقبل لمن أراد كتابة تاريخنا الحديث .

محمد كرد علي

الإمتاع والمؤانسة

تأليف أبي حيان التوحيدي — الجزء الثاني ص ٢٠٥ عدا الفهارس

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٩٤٢

نشره الاستاذان أحمد أمين بك وأحمد الزين

تكلمنا هنا بإسهاب على هذا الكتاب النفيس لما صدر الجزء الأول منه (م ١٦ ج ٨ ص ٣٦٣) وهذا الجزء لا يقل عن اخيه البكر امتاعاً حوى ما جرى من

الأحاديث في مجلس الوزير ابي عبد الله العارضي وذلك في الليلة السابعة عشرة الى الواحدة والثلاثين . ومن أهم ما فيه الكلام على الفلاسفة في ذاك العهد وعلى اخوان الصفا ورسائلهم ورأي الفلاسفة فيها وفيه من جيد الشعر القديم والنثر المرسل والحوادث المستملحة والنكات والافاكيه شيء كثير . وقد أحسن الناشران بالإبقاء على كلام المؤلف في المجون وما احبا ان يتفلسفا ويحذفا منه شيئاً معتذرين بأنه لولا الأمانة العلمية والاخلاص للتاريخ لحذفا اكثرها واكتفيا بما لطف ورق ولم ينبُ عنه الذوق على ان المؤلف قد اعتذر عن ذلك في آخر الليلة ص ٦٠ مستنداً الى أقوال بعض الصحابة . وهذا الجزء أقل من سالفه اغلاطاً لعثور الناشرين على مراجع جديدة للمعارضة وان كانت جزئية . والمأمول إتمام الجزء الثالث عن قريب لتظفر الخزانة العربية بكتاب من أجمل كتب الأدب القديم حمل اشياء باهرة من فن التوحيدي وجميل ادبه وواسع علمه ونكتفي هنا بنقل حكايات قليلة منه نروح بها عن القراء .

قال نصلة : مررت بكناسين احدهما في البئر والآخر على رأس البئر واذا ضجة فقال الذي في البئر : ما الخبر ؟ فقال : قبض على علي بن عيسى . فقال : من اقعدوا بدله ؟ قال: ابن الفرات . قال قاتلهم الله اخذوا المصحف ووضعوا بدله الطنبور .

قال الرشيد للحجاز : كيف مائدة محمد بن يحيى ، يعني البرمكي . قال شبر في شبر وصحفته من قشر الخشخاش . وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة . وبين اللون واللون فترة نبي . قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكاتبون ، فضحك وقال : لحاك الله من رجل .

قال مالك بن عمارة اللخمي : كنت أجالس في ظل الكعبة ايام الموسم عبد الملك ابن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير . وكنا نخوض في الفقه مرة ، وفي الذكر مرة ، وفي أشعار العرب وآثار الناس مرة ، فكنت لا أجد عند أحد منهم ما اجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة ، والتصرف في فنون العلم والفصاحة والبلاغة . وحسن استماعه اذا حدث ، وحلاوة لفظه اذا حدث ، وخلوت

معه ذات ليلة فقلت : والله اني لمسرور بك لما اشاهده من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك فقال انك ان تعش قليلاً فسترى العيون طامحة اليّ والاعناق قاصدة نحوي ، فلا عليك ان تعمل اليّ ركابك . فلما افضت اليه الخلافة شخصت أريده فوافيته يوم جمعة وهو يخطب .

(وهنا ذكر صورة اتصاله به واكرامه له وبعد ان أضافه أياماً عرض عليه المقام عنده او الرجوع الى أهله ولما تقررت عودته اليهم امر له بعشرين الف دينار وكسوة الخ) وسأل الوزير محدثه أبا حيان عن بني أمية وبني مروان كيف تطاولوا الى هذا الأمر مع بعدهم من رحم رسول الله وقرب بني هاشم منه ، فقال له لا خلاف بين الرواة واصحاب التاريخ ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وعتاب بن أسيد على مكة ، وخالد بن سعيد على صنعاء ، وابوسفيان بن حرب على نجران ، وأبان بن سعيد ابن العاص على البحرين ، وسعيد بن القشب حليف بني أمية على جرش ونحوها ، والمهاجر بن أبي امية المخزومي على كندة والصدف ، وعمرو بن العاص على عمان ، وعثمان بن أبي العاص على الطائف ، فاذا كان النبي اسس هذا الأساس ، وأظهر امرهم لجميع الناس كيف لا يقوى ظنهم ، ولا ينبسط رجاؤهم ولا يمتد في الولاية املهم ؟ وفي مقابلة هذا ، كيف لا يضعف طمع بني هاشم ، ولا ينقبض رجاؤهم ، ولا يقصر أملهم ، وهي الدنيا ، والدين عارض فيها والعاجلة محبوبة . . .

حكى لنا ابوسليمان (محمد بن بهرام السجستاني استاذ أبي حيان) في هذه الأيام ان ثيودوسيوس ملك اليونان كتب الى إبقوس الشاعر ان يزوده بما عنده من كتب فلسفية ، فجمع ماله في عيبة ضخمة ، وارتحل قاصداً نحوه ، فلقي في تلك البادية فوجاً من قطاع الطريق ، فطمعوا في ماله وهموا بقتله ، فناشدهم ألا يقتلوه ، وان يأخذوا ماله ويخلوه ، فأبوا . فتحير ونظر يميناً وشمالاً يلتمس معيناً وناصراً فلم يجد ، فرفع رأسه الى السماء ومدّ طرفه في الهواء ، فرأى كراكي تطير في الجوّ محلقة . فصاح : أيتها الكراكي الطائرة قد اعجزني المعين والناصر ، فكوني الطالبة بدمي ، والآخذة بثأري ، فضحك اللصوص ، وقال بعضهم لبعض : هذا أنقص الناس عقلاً ، ومن

لا عقل له لا جناح في قتله ، ثم قتلوه وأخذوا ماله واقتسموه وعادوا إلى اماكنهم ،
فلما اتصل الحديث بأهل مدينته حزنوا واعظموا ذلك ، وتبعوا أثر قاتله واجتهدوا
فلم يغنوا شيئاً ولم يقفوا على شيء ، وحضر اليونانيون وأهل مدينته الى هيكلهم ،
لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحكمة والعظة ، وحضر الناس من كل قطر وأوب ، وجاء
القتلة واختلطوا بالجمع ، وجلسوا عند بعض اساطين الهيكل ، فهم على ذلك اذ مرت
بهم كراكي تناغى وتصيح ، فرفع اللصوص اعينهم ووجوههم الى الهواء ينظرون
مافيه فاذا كراكيّ تصيح وتطير ، وتسدّ الجو فتضاحكوا ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء
طالبو دم إيقوس الجاهل — على طريق الاستهزاء — فسمع كلامهم بعض من كان
قريباً منهم فأخبر السلطان فأخذهم وشدد عليهم ، وطالبهم فأقروا بقتله ، فقتلهم .
فكانت الكراكي المطالبة بدمه ، لو كانوا يعقلون ان الطالب لهم بالمرصاد .

وقال لنا ابوسليمان : ان إيقوس وان كان خاطب الكراكي فانه أشار به إلى
رب الكراكي وخالقها ، ولم يُطلّ الله دمه ، ولا سدّ عنه باب إجابته ، فسبحانه
كيف يهيئ الأسباب ويفتح الأبواب ، ويرفع الحجاب بعد الحجاب اه .

م . ك

Textes Kurdes
par
Roger Lescot
Institut Français de Damas
Collection des textes oriantaux , t. i

عنوان كتاب تضمن نصوصاً كردية نشر منها الأستاذ الفاضل (روجيه لسكو)
مجلدين : حوى الأول منها أقاصيص وامثالا والغازاً في ٢٥٧ صفحة وتضمن الآخر
في ٣٨٣ صفحة ملحمةً اسمها (ماميه الان Mamé Alan) يتغنى بها الاكراد ويعدونها
ملحمتهم القومية . وقد شفع الاستاذ الناشر هذه النصوص بترجمتها الى الافرنسية :
وما قدمه لها قوله : « آثرت حين شروعي في هذا العمل ان اجمع نصوصاً لمضمونها

أولاً سلوبها قيمة على ان أجمع نماذج من اللهجات يتسع الوقت لدرسها في الأعوام المقبلة ...
فالساعة قد ازفت لتدوين آثار وتقاليد كهذه النصوص اعرض الناس عن نقلها .»
ولا جرم انه أصاب الرشد في رأيه فقد حفظها من الضياع وافاد بها .

يوسف الدبس

(إنجيل طِطيانُس)

الاب ا . س . مرمرجي الدومنكي احد اساتذة المدرسة الكتابية والآثارية الفرنسية في القدس : الدياطسَّرون اي الرباعي — وهو الانجيل الذي جمعه طَطيانُس من المبشرين الأربعة . يحوي نصه العربي مصححاً ، مستخرجاً الى الافرنسية ، مُعارضاً بالترجمات السريانية القديمة ، مذيلاً بأناجيلية دياطسَّرية سريانية ، مضافاً اليه أربعة رواميز خارج النص . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٣٥ .

ها كم مؤلفاً جديداً بنشره أحد اساتذة المدرسة الكتابية والآثارية الافرنسية في القدس وهي مبرّة تشكر لهمة هؤلاء الأساتذة الأفاضل الذين لا يزالون يخدمون العلوم الكتابية بكل اندفاع ونشاط . فهو يعطينا دياطسرون ططيانس ، المعروف لدى مفسري كتاب العهد الجديد حسب اصول النقد الحديث . لقد وصل الينا هذا الدياطسرون مترجماً الى العربية ، ترجمة نقلت عن السريانية من أصل يوناني كما يعتقد أغلب العلماء اليوم . أما النص الاسامي الذي اتبعه حضرة الناشر ، مستنداً عليه في كتابه ، فهو صور فوتغرافية عن مخطوط في المكتبة القبطية الارثوذكسية في القاهرة ، ولا يفوت حضرة الأب ان يبين الفروق بين نسختين من المكتبة الفاتيكانية ترجع الأولى الى الجيل الثالث او الرابع عشر والثانية الى الجيل الرابع عشر .

والناشر في مقدمته للكتاب يعطينا في بادئ الامر ، لمحة عن ططيانس ومؤلفاته ، ثم يتبسط في نقد النسخة العربية ، واحاطته احاطة عميقة باللغة العربية والسريانية اهلته لتبيان سائر الخطيئات التي وقع فيها المؤلف لغوية كانت او مناقضة للمعنى ، او تعبيرات سريانية خالصة الخ ؛ ثم يبرهن ان الترجمة العربية ، للدياطسرون لم تنقل عن الأصل

السرياني او عن نسخة ططيانس كما اعتقد بعضهم ، بل عن البسيطة . وليست هذه الوقفة الاولى التي يقف فيها الناشر الكريم معترضاً على من سبقه . فالرأي العام يقول بان معرب الكتاب هو ابو الفرج عبد الله بن الطيب ، كاتب من كتاب القرن الحادي عشر ، يطري في مدحه ابن العبري وابو البركات . وهذا الرأي مستمد من المخطوط الذي ينشره الاستاذ الكريم نفسه — فهو يخالف بصراحة هذا الرأي ويؤكد ان المعرب هو آرامي نسطوري ، آشوري او عراقي ، اما اسمه فلا يزال حتى الآن مجهولاً ولكنه يأمل الوقوف عليه يوماً ما . وهو يؤكد هذا الرأي الثلاثي ايجابياً وسلبياً ومن جملة براهينه انه لا يحتمل ان يكون الناقل هو ابن الطيب لأن كثيراً من الكتاب الدينيين الذين يتبسطون في الكلام على هذا المؤلف ومؤلفاته لا يذكرون البتة هذه الترجمة . ثم ان ابن الطيب كاتب عربي مجيد في مؤلفاته — ويعطينا الناشر نتفا عديدة من كتبه — بيد ان نصوص الدياطسرون ملأى بخطيئات الإنشاء واللغة .

وبعد هذه المقدمة الطويلة ، يعرض حضرة الاب — النص العربي في صفحة ، وترجمة افرنسية دقيقة له في صفحة مقابلة وهي الترجمة الافرنسية الاولى للدياطسرون اما الترجمات الاخرى السابقة فكانت في اللاتينية والالمانية والانكليزية .

فالنص في الكتاب واضح ومنسق احسن تنسيق رغم الصعوبات التي تقوم في وجه من ينشر امثال هذه النصوص .

ولما لم يكن ططيانس الكاتب الوحيد الذي كتب في الموضوع فان حضرة الأب الناشر ذيل كتابه بمنتخبات لاربعين من الاناجيل الدياطسرية السريانية .

الخوري

يوسف نصر الله

آراء وأنباء

اعضاء للمجمع جدد

فجع مجمعنا العلمي العربي بطائفة من أعضائه العاملين بدمشق وطائفة من أعضائه المراسلين خارجها ومرت عليه بضع سنوات معطلاً عن العمل فلم يشعر بفقد من فقد من هؤلاء وأولئك ، حتى اذا عاود عمله وجمع الله شمله كان من أول ما فكر فيه في جلساته (الجلسة التاسعة ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ و ٧ آذار سنة ١٩٤٢) ان ينتخب اعضاء جددا يتجمل بهم ، ويفيد من مكنون علمهم ، وعظيم مواهبهم ، فوقع الاختيار من بين المرشحين — وكل المرشحين موضع للاختيار — على السادة :

(١) السيد محسن الأمين

(٢) الدكتور جميل الخاني

(٣) الامير جعفر الحسني

(٤) الدكتور جميل صليبا

(٥) الاستاذ أديب التقي

(٦) الاستاذ محمد البزم

هؤلاء السادة انتخبوا ليكونوا اعضاء عاملين للمجمع في دمشق

أما الذين وقع عليهم الاختيار ليكونوا أعضاء مراسلين خارج دمشق فهم السادة :

(١) الامير عمر طوسون	مصر
(٢) الامير يوسف كمال	«
(٣) الدكتور طه حسين	«
(٤) الدكتور عبد الوهاب عزام	«
(٥) الفريق طه الهاشمي باشا	بغداد
(٦) الاستاذ محمد سعيد العرفي	دير الزور — سورية

(٧) الاستاذ بشاره الخوري بيروت

(٨) المستشرق الافرنسي هنري لاوست (المقيم بدمشق)

ولا حاجة الى تحليتهم ووصف ما أوتوا من علم وفضل وثقافة ونبل فــان ذلك أشهر من نار على علم وقد جرى انتخابهم وتبليغهم بمعرفة حكومة الجمهورية السورية ووزارة معارفها حسب الأصول وجاءت منهم الأجوبة مفعمة بكلمات الرضا والارتياح والشكر لرئاسة المجمع وأعضائه على هذا الانتخاب ولا نكون مذيعين سراً واجب الكتمان اذا قلنا ان بعض المنتخبين للعضوية (المراسلة) بل هو من أبرز (شخصياتهم) قد ارتابوا في أن يكونوا صالحين لهذه العضوية من حيث انها تقتضي الجهد والدأب على مراسلة المجمع . وحالتهم لا تساعدهم على ذلك . حتى اذا علموا ان وصف العضو بالمراسل وصف اصطلاحي للمجمع لم يرد منه قط ان يلزم ذلك العضو بالمراسلة المتواصلة هدأ بالهم من هذه الجهة وقبلوا مرتاحين . على ان ما قلناه في تفسير معنى (المراسلة) انما هو بالنسبة الى غير من تساعده حالته على المراسلة القلمية اما الآخرون الذين نعرفهم ويعرفون أنفسهم فلا يستغني المجمع عن آثار قلمهم ومجهود قرائحهم

(انتخاب مكتب إداري للمجمع)

نختم اعمال سنتنا هذه بذكر ما يتعلق بمجمعنا العلمي من شؤونه الخاصه فقد كان سبق للحكومة السورية وتمت أن أعادت المجمع الى سابق عمله أن أمرت اعضاءه بالاجتماع في دار مجمعهم وان ينتخبوا جماعة منهم بصفة هيأة مكتب اداري تنظر في أعمال المجمع وتشرف على ترتيب جلساته ومواد مذاكراته وطبع مجلته وتنظيم حفلات محاضراته فاجتمعوا حسب الامر وانتخبوا بالاجماع لرئاسة المجمع الأستاذ محمد كرد علي ونائباً للرئاسة الأستاذ عبد القادر المغربي واميناً للسر العام الأستاذ خليل بك مردم بك (معالي وزير المعارف اليوم) وكتبوا بذلك لحكومة الجمهورية السورية فصدرت مراسيم ثلاثة بهذا الشأن وبلغت للمراجع الإيجابية حسب الأصول ونشرت في الجريدة الرسمية

والمجمع يغتبط بما وفق اليه من هذا التجديد شاكراً لله توفيقه وللحكومة السورية عنايتها به واهتمامها ويسأل الله ان يهديه الى سواء السبيل في خدمة اللغة العربية وآدابها وتاريخها .

مشكلة طال عهدها

طُلب منا ان نقول كلمة علها تكون مجزئة في موضوع الخلاف الذي طال عهده بين العلامة الكرملي وبين مخالفيه في شأن نعت جمع التكسير بوصفٍ على وزن [فعلاء] مؤنث [أفعل] هل يجوز أو لا ؟ فرأيت ان أقول كلمتي التالية :

نحن نرى ان قواعد اللغة العربية والقوانين التي قررها النحاة لاستعمال ألفاظها وتأليف جملها لا تأبى ان يقال كربات بيضاء ولا أيام سوداء . لكن هذا الاستعمال إن جاز لغة فهو لا يجوز فصاحة : فالفصيح المضروب على غرار كلام البلغاء ان يقال كربات بيض . وأيام سود . وهذا الاستعمال هو ما ورد في القرآن الكريم واستفاضت به أقوال الفصحاء . ويوصي مجمعنا العلمي ناشئة الكتّاب ومتأدبي الصحافيين أن يراعوا الاستعمال الفصيح في ما يكتبون وينظمون ولا يجوز العدول عنه الا لضرورة أو داعية دعت اليه . وهذه الضرورة او الداعية ترجع الى ذوق الكاتب ولباقته فقد يكون موفقاً في ذوقه وربما لا يكون . ومن الضرورات التي تجيز استعمال اللغة الضعيفة ارادة المزاوجة بين الكلمات او مراعاة السجع . ومن الضرورات أيضاً مراعاة الوزن والقافية كقول حنظلة بن سليم :

أغدو على كورها في لاحبٍ تَرِبٍ تخال أسوُقَها في السير سوْداء

ومعنى البيت أسير على رَحل ناقتي في طريق كثير التراب حتى أنك لتظن سيقان الناقة سوداً من كثرة ما لصق بها من ذلك التراب . وليس من العدل ان يقال ان صواب [سوداء] بفتح السين ان تقرأ [سُوداء] بضم السين ذهاباً الى ان أصلها [أسوقاً سُودا] بمقتضى الاستعمال الفصيح لكن الشاعر مدَّ الهمزة للضرورة الشعرية — لا يحسن هذا القول لأن فيه تكلفاً بيناً ونكون بهذا التكلف قد هربنا من لغة ضعيفة الى ضرورة متكلفة غير مألوفة . ويمكننا ان نقول زيادةً في ايضاح هذه المسألة النحوية اي مسألة جواز وصف الجمع المكسر بفعلاء مفرداً مؤنثاً ما يلي :

ان [جماعة] لفظ مفرد مؤنث فاذا وُصفتْ وصفت بالمفرد المؤنث أو أعيد عليها ضمير كان الضمير مفرداً مؤنثاً : فيقال مثلاً : رأيت جماعةً من الطير بيضاء سابحةً في

الفضاء ولها صياح وزقاء . ورأيت جماعة من الناس منطية خيولها ولها زجل بالتهليل والتكبير .

وهذه الكلمة اي [كلمة جماعة] تلاحظ في صيغة جمع التكسير : فجمع التكسير في لغة العرب او في [ذهنية] المتكلمين بها مأول بكلمة [جماعة] أو يقال هو مضمن معنى كلمة [جماعة] فاذا قلنا مثلاً جبال ورمال ووجوه وأيادي أولت بجماعة جبال وجماعة رمال وجماعة وجوه وجماعة أيادي : فاذا وصفت هذه الجموع صح أن تصفها بالمفرد المؤنث أو إذا أعيد عليها الضمير صح ان يعاد اليها مفرداً مؤنثاً : مثال ذلك من آيات القرآن « وجوه يومئذ ناضرة » « وجوه يومئذ باسرة » « وجوه يومئذ مسفرة » « وجوه يومئذ خاشعة » « وجوه يومئذ ناعمة » « وجوههم مسودّة » - كل ذلك على تأويل جماعةُ وجوهٍ صفتها انها ناضرة باسرة مسودة الخ وهي كما وصفت بالمفرد المؤنث يصح بالطبع ان توصف بالجمع المؤنث فيقال وجوهٌ ناضرات ونواضر وباسرات وبواسر ومسودّات الخ على أن النعت بالمفرد في مثل ما ذكر أفصح من النعت بالجمع لموافقة القرآن . ومثال إعادة الضمير مفرداً مؤنثاً على جمع التكسير قوله تعالى : « وجوه يومئذ عليها غبرة » بتأويل جماعة وجوه عليها غبرة كما يصح أن يقال عليهن غبرة . وعلى هذا ورد قول ابي تمام:

عطاؤك لا يفنى ويستغرق المنى وتبقى وجوه الراغبين بمائها

فقوله [بمائها] اعاد الضمير مفرداً مؤنثاً على كلمة [وجوه] باعتبار تضمنها معنى [جماعة وجوه] المؤنث . والحاصل ان لفظ [جماعة] الصريح كما يوصف بالمفرد المؤنث كذلك لفظ جماعة المأول يصح وصفه بالمفرد المؤنث . ثم إن التأنيث كما يكون بالتاء يكون بالألف الممدودة فكما تقول : امرأة عاقلة فاضلة شاعرة سافرة الخ تقول امرأة حمقاء ، أو بلهاء ، أو بيضاء او سوداء او حمراء ، وتقول جماعة كبيرة من الطير وجماعة بيضاء من الحجارة وجماعة سوداء من الجبال وجماعة حمراء من الرمال وجماعة بيضاء من الوجوه وجماعة سوداء من الزنج . ويقال في لفظ [جماعة] المأول: الجبال الشماء والرمال الحمراء والوجوه البيضاء والايادي البيضاء والعيون العوراء او النجلاء او الكحلاء — كل ذلك على تأويل جماعة الجبال الشماء وجماعة الوجوه البيضاء وجماعة العيون العوراء وجماعة العيون النجلاء . لكن الأفصح في

الالوان والعيوب أن يوصف جمع التكسير منها بصيغة الجمع [فُعل] لا بصيغة المفرد المؤنث [فعلاء]فتقول في كل مامرّ مثلاً جبال شمّ وحمروسود وبيض ونساءعور وعيون نجل وكحل الخ . مراعاة للاستعمال الأفصح في كلام العرب عامة وفي القرآن خاصة . وهذا كفعل [استحوذ] الوارد من دون إعلال فانه افصح استعمالاً من فعل [استحاذ] بالإعلال وان كان هو الأصل : لأن [استحوذ] هو الذي ورد في القرآن وفي كلام فصحاء العرب .

وهذه المسألة اي مسألة وصف جمع التكسير من الألوان والعيوب بصيغة الجمع [فُعل] من المسائل التي جاهد في سبيلها ووجوب مراعاتها ولفت نظر الكتاب اليها منذ سنين صديقنا العلامة الأب انستاس الكرملي ونحن نرى رأيه في ذلك ونُكبر همته في خدمة اللغة الفصحى . لكننا لا نخطئ من وصف جمع التكسير بالمفرد لما ذكرنا من أن قواعد اللغة العربية ومقاييس تأليف جملها لا تأباه وخاصة عند وجود داع يدعو الى الوصف بالمفرد : مثل مزاوجة الكلمات او إرادة السجع او إقامة وزن الشعر كما مر فنقول عند ارادة السجع مثلاً اصابت الناس من هذه الحرب لأواء ، وداهية نكراء ، وفتن سوداء . فقولنا سَوْدَاء بالإفراد مكان [سُود] بضم السين مخالف لكلام الفصحاء لكن إرادة السجع والمزاوجة بين [نكراء] و [سوداء] هي التي روّجت هذه المخالفة ولا سيا في وقت يكون الكلام المسجع مألوفاً في النفوس . ومحبباً الى الأذواق .

المغربي

– الفند –

قرأت في هذه المجلة (١٧ : ٥٧ — ٦٢ ثم في ٢٨٧) بحثاً طريفاً في هذه الكلمة وأصلها . فكان من رأي الأستاذ المغربي ان (الفند) في اللغة يعني الغصن من أغصان الشجر ، وفند الشمع او شمعاته شبيهة بأغصان تغرس ليلاً في المجالس ، فيُجنى منها بدل الثمار نور يطرد الحنادس (ص ٥٩) .

لكن جاء الدكتور الكواكبي ، فقال لنا (في ص ٢٨٧) أن منشأ كلمة (فند)

جلي، لا يحتاج الى هذا التأويل والتوجيه المتكلف (كذا) . — الأمر بسيط جداً : ان كلة (فند) معربة عن كلة [بند] الفارسية [بالباء الموحدة التحتية] ومعناها : [الربطة، الرباط، السلسلة، القيد . . .] واستبدال العرب الفاء بالباء الموحدة او المثلثة التحتية أمر لا يحتاج الى تدليل» [كذا . ولعل ذلك من غلط الطبع وهو يريد : « الى دليل »

قلنا : الفند ، بكسر الاول ، معروفة بهذا المعنى الى يومنا هذا في العراق كله ، من شماليه الى جنوبيه ، ومن شرقيه الى جنوبيه اي ما يشبه فنن الشجرة مما يتخذ من الشمع ، فهو دقيق الحجم . وقد قلّ اليوم استعماله بظهور نور الكهرباء ، ولعله يزول وشيكاً من ديارنا ، لاستغناء الناس عنه فلا يبقى له أثر ، وربما يزول اسمه نفسه لزوال المسمى . ويسمي عوام الفرنسيين هذا الضرب من الشمعة بما معناه ذنب الجرذ اي Kueue de Rat ، لأنه يصنع على شكله ، وكما ان الافرنج نقلوا لفظهم من ذنب الجرذ الحقيقي الى ما يشبهه من مصنوع الشمع على شكله ، نقل الاسم المذكور من باب المشابهة او من باب المجاز الى ما اشتهر به .

وهناك سبب ثانٍ : ان العراقيين يستعملون الكلمة الدخيلة في لغتهم كما ينطق بها اهلها ، فان كانت انكليزية نطقوا بها كالانكليز ، وان كانت فارسية يتلفظون بها كالفرس . فيقولون مثلاً تازه ورَنْدَه وطارمه ولا يقولون طازج ورندج وتارمه . فلو كانت الفند من البند ، لقالوا [بند] . وهم يسمون [بنداً] لعشر دستجات من الورق . والبند عندهم أيضاً :الحيلة ، او الأسلوب الدقيق في الحيلة ، الى معانٍ معروفة في الفارسية ومدونة في معاجمهم . اما بمعنى الربطة ، والرباط ، والسلسلة ، والقيد . فلم ترد في كلامهم .

ومن الاسباب التي تمنعنا من القول بعجمتها : ان المستشرقين بحثوا عن هذه الكلمة في معاجمهم العصرية ، ولم يدر في خلدهم ان الكلمة فارسية الأصل ، مع انهم أقرّوا بفارسية ألفاظ جمة لم يهتد اليها العرب .

وعندنا سبب آخر يمنعنا من قبول رأي الأستاذ الكواكبي : ان العرب لا تحدث معنىً جديداً للكلمة الدخيلة، ما لم يكن الأعاجم قد سبقوهم إلى وضعه ، والفرس لا تعرف للفند معنى الشمعة ، فكيف يجوز للعرب أن يضعوه لها . فليعذرنا اذن حضرة

الدكتور عن قبول رأيه وليسمح لنا ان نعترف بعروبتها، فلدخول الألفاظ في لغة من لغة أخرى سنن وأحكام لا يرى أثرها في هذه الكلمة ، فهي عربية كما قال الاستاذ المغربي ، وليس للاجانب فيها أدنى حصة .

الاب انستاس ماري الكرملي

— فند شمع —

وصلت اليّ الأجزاء الأربعة الاولى من المجلد السابع عشر من مجلة المجمع العلمي الأغر فاذا جل مقالاتها ممتع مفيد ولاسيما بعض مباحثها اللغوية مثل بحث الاستاذ المغربي الذي موضوعه « فند شمع » ثم إني بينما كنت أتصفح نسخة مخطوطة في خزانة كتبي من ديوان الأمير سيف الدين علي بن عمر الشاعر الدمشقي المصري الملقب بالمشد ويدعى ديوان شعره « ديوان المشد » عثرت للشاعر المذكور على قوله في شمعة كافور

بيضاء كالكافور يسعى بها مهفهف أرشق من قدها
كأنما توقد من أضلعي ومهجتي مارثّ من فندها

ومن ذلك يستفاد أن الكلمة من الكلمات الشائعة المألوفة في الشام وفي مصر أيضاً منذ القديم وان تاريخ استعمالها في الشام يرتقي الى المائة السابعة ان لم يكن الى ما قبل ذلك لان الأمير المشد صاحب البيتين من شعراء المائة السابعة توفي سنة ٦٥٦ هـ في دمشق كما أنه ولد ونشأ ونظم شطراً من شعره في البلاد المصرية .

وعلينا ان نلاحظ ان شعراء العصور المذكورة يكثرون من استعمال المولد سواء أكان من المفردات ام المركبات .

أبعث اليكم بهذه الكلمة لعلها تجدي نفعاً في البحث عن أصل الكلمة وتأريخ استعمالها في الشام وفي غيرها من البلاد .

بغداد محمد رضا الشبيبي

الأيوبيون في حصن كيفا

أحسن الاستاذ محمد أحمد دهمان في كلامه على السلالة الايوبية الحاكمة بحصن كيفا (الجزء ٧ و ٨ سنة ١٩٤١ من هذه المجلة) وهناك اخبار لا توجد في التواريخ المتداولة ويراجع من يقصد اجمال هذه الأخبار إما كتاباً تركياً واما كتاباً فرنسياً فاسم الكتاب التركي (دول اسلامية) لمؤلفه الأستاذ خليل أدهم الذي نشره سنة ١٩٢٧ — ١٣٤٥ وكان قبل وفاته منهمكاً بتهيئة طبع ثان بحروف افرنجية فما أتمه وفي كتابه المطبوع (ص ١٠٠) جدول ملوك بني ايوب في حصن كيفا من سنة ٦٢٩ الى ٩٣٠ ﻫ وفي (ص ١٠١) شجرة البيت المالك الايوبي بحصن كيفا ·

ذكر الاستاذ دهمان ان السلالة انقرضت سنة ٨٦٦ على يد اوزون حسن ويقول الاستاذ خليل ادهم ان السلالة بقيت حتى سنة ٩٣٠ﻫ الى عهد السلطان سليمان القانوني ·

اما المرجع الثاني وهو بالفرنسية فمؤلفه الكولونيل النمساوي E . de Zambaur واسم كتابه Manuel de Chronologie et de Généalogie pour l'histoire de l'Islam , Hanovre 1927 .

وقد وردت في أخبار السلالة الأيوبية (ص ٩٩) ·

وتاريخ حصن كيفا على عهد الأيوبيين غريب ومؤامراتهم دموية مدهشة وعلى ما بدا من اجتهاد الاساتذة دهمان وأدهم وزامباور لا يزال كثير من أخبارهم وقسم من اسماء ملوكهم مستوراً تحت غبار الرفوف في خزائن الكتب ·

استانبول كارل سوسهيم

حفلة تكريم

على اسم المحاضرين والمحاضرات في دار المجمع

كان لموسم المحاضرات في سنتنا هذه (١٩٤٢ م) شأن عظيم من حيث وفرة المحاضرات، وتنوع موضوعاتها، وافتنان المحاضرين في إيراد أبحاثها. وفي ختام الموسم أقام المجمع في داره حفلة لتكريم المحاضرين والمحاضرات شهدها بعض الوزراء والكبراء من رجال الحكومة وطائفة من علماء دمشق وأعيانها وأدبائها وتجارها. وبعد أن التأم عقد اجتماعهم نهض الأستاذ رئيس المجمع العلمي فرحب بهم وألقى الخطاب التالي:

سادتي وسيداتي:

منذ أيام كان ختام موسم المحاضرات الذي استمر نحواً من ثمانية اشهر، القي فيه من على منبر المجمع العلمي سبع وثلاثون محاضرة في أنواع من العلم والادب لجمهرة من أهل الفضل رجالاً ونساء وبينهم طائفة من أعضاء المجمع العلمي وهاكم ايها السادة جريدة اسمائهم وعناوين محاضراتهم.

١	محمد كرد علي	ارشاد العامة
٢	عبد القادر المغربي	غريب اللغة في البرشان
٣	صلاح الدين المنجد	الظرفاء والمتظرفات
٤	الدكتور أحمد السمان	من حكومة الفلاسفة الى حكومة الفنيين
٥	فلك طرزي	المرأة والطفل
٦	سعيد الأفغاني	المرأة العربية في نشأة الإسلام
٧	جواد المرابط	كلمة الى النشء الجديد على هامش كتاب قديم
٨	منيرة علي المحايري	خطرات في المرأة
٩	الدكتور فريد الخاني	تكون الأسعار وسياستها
١٠	وداد سكاكيني	مجالس الادب عند نساء العرب
١١	زكي المحاسني	أدب التمثيل
١٢	جمال الفرا	حول بعض الحقائق الاساسية في العلم الحديث حقائق ولا كالخيال

١٣	مقبولة شلق	المرأة العربية قبل الحرب العامة وبعدها
١٤	الدكتورشوكةموفق الشطي	الوراثة والزواج
١٥	رشيد الملوحي	هل كتبت السيرة النبوية ؟
١٦	الدكتور جميل سلطان	اقدم الرحلات الى الفردوس المفقود
١٧	محمد بهجة البيطار	آداب الإسلام في أخلاق النساء
١٨	عبد الوهاب المالكي	التنظيم العلمي للعمل
١٩	الدكتورنجيب ارمنازي	القيصر وامرؤ القيس
٢٠	عبد القادر المغربي	بين الأدبين : القديم والحديث
٢١	الدكتور فؤاد شباط	القوانين السورية
٢٢	يوسف العش	التوفيق بين الأدبين القديم والحديث
٢٣	رفيق السيوفي	ألاقتصاد الموجّه
٢٤	عبد الغني الدقر	الشباب في عهد الرسول
٢٥	ثريا حافظ	خواطر في التربية والتعليم
٢٦	أديب التقي	ابوفراس في عواطفه
٢٧	فلك دياب	سر انحطاط المرأة الشرقية
٢٨	الأمير مصطفى الشهابي	العلم والأدب والأساطير في كتب السلف
٢٩	جهان الموصلي	عبقرية المرأة تكشف عن اعظم سر من اسرار الكيمياء
٣٠	الدكتور أسعد طلس	مساجد دمشق لابن عبد الهادي
٣١	عفيفة الحصني	التربية السورية ومبادئ التربية الحديثة
٣٢	الأمير جعفر الحسني	زنوبيا ملكة تدمر
٣٣	ابراهيم كيلاني	دمشق في نظر بعض رحالي الافرنج في القرن الماضي
٣٤	عبد القادر المغربي	المحاضر المجهول
٣٥	فؤاد الخطيب	صلة الجاهلية بالعالم القديم
٣٦	فؤاد الخطيب	صلة الجاهلية بالعالم القديم (تتمة)
٣٧	الدكتور جميل صليبا	الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية
٣٨	الاستاذعبدالعزيزأحمد	النهضة الثقافية بعصر العربية مظاهرها وأهدافها .

فكان هذا الموسم أخصب مواسم المجمع عدد محاضرين و كثرة حاضرين ، كما كان أول موسم ساهمت فيه المرأة في القاء المحاضرات على السيدات باستمرار واطراد · وتلك ظاهرة في حياتنا الثقافية الحاضرة تقرُّ بها عين العلم والفضيلة وتذكرنا بفضليات السلف من عالمات ومحدثات وأديبات اخذ الرجال عنهن فضلاً عن النساء ·

لذلك رأى المجمع ان يسديهم شكره على مشهد من هذا الحفل الكريم ويعلن بأنه فخور بتكريم هذه النخبة الصالحة ، شاكر لها عملها المجيد في خدمة العلم وتيسير الثقافة · وسيقوم المجمع بطبع هذه المحاضرات في جزء خاص يضاف الى الجزء الاول الذي طبع من محاضراته ·

ان أمة تمد حكومتها هذا المعهد بما يضمن له اطراد العمل ، ويلبي فضلاؤها دعوته في كل ما يطلبه اليهم ، ويقبل طلابها ومحبو العلم والأدب على استماع ما يلقى فيه — وليس حظ المرأة في كل ذلك بأقل من حظ الرجل — ان امة هذا شأنها حكومة وشعباً في مثل الأيام العبوسة العصيبة ، لجديرة بالحياة الطيبة إن شاء الله ·

روي عن الملك العظيم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أنه كان يحضر دروس الحافظ بن عساكر ، وليس في ذلك ما يدعو للعجب فقد سبقه الى الحفاوة بالعلماء وحضور دروسهم كثير من الملوك والخلفاء في الشرق والغرب ، ولكن الذي انفرد به ذلك الرجل العظيم انه كان يتلقى الحديث حتى في مواطن الجهاد وبين صفوف المقاتلين قال القاضي بن شداد احد رجال السلطان في كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في سيرة صلاح الدين ص ١٥ (ولقد قرئ على السلطان جزآن من الحديث بين الصفين وذلك اني قلت له : قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة ولم ينقل انه سمع بين الصفين فان رأى المولى ان يؤثر عنه ذلك كان حسناً فأذن في ذلك فأحضر جزؤه كما أحضر من له به سماع فقرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشي تارة ونقف أخرى) اهـ والأسوة الحسنة في ذلك ان يعتبر العلم حاجة ضرورية لا يستغنى عنه في حال من الأحوال ·

وفي ما شاهدناه ونشاهده من عناية الحكومة بالعلم والأدب ورغبة أولي الفضل في نشر الثقافة واقبال النشء على ارتياد مناهل العلم وتأييد الجميع لهذا المعهد في سعيه وعمله دليل على ان الخلف اخذ يتقيّل سيرة السلف مع مراعاته مقتضيات العصر ٠

وان المجمع ليرجو ان تنسق بقية أعماله التي يعني بها من نشر آثار السلف ، وتعزيز شأن اللغة ، وتمحيص مصطلحاتها ، وتحرير بحوثها ، وخدمة الثقافة العربية في بعث ماضيها ، وتوجيه حاضرها وتشجيع النهضة الأدبية ، على رسمه المعهود من مجانبة الاهواء السياسية والمذهبية ، كما اتسق عمله في إصدار مجلته وتتابع محاضراته منذ أعيد جمع شمله في السنة الماضية ٠ والله المستعان ، وفي تأييد هذا الحفل الكريم لما من محتفين ومحتفى بهم ما يمهد السبيل ، ويشحذ الهمم ، فتقبلوا ايها السادات والسيدات جميعكم ثناءنا وشكرنا حفظكم الله وأدام النفع بكم ٠

* * *

وبعد أن أتم معالي رئيس المجمع خطابه قام على أثره الدكتور شوكت موفق الشطي فألقى بالنيابة عن رفاقه المحاضرين خطاباً ممتعاً افتتحه بالثناء على المجمع وأعضائه ٠ واشار الى انه هو ورفاقه المحاضرون إن كانوا اجادوا في محاضراتهم فانما ذاك لكونهم حذوا حذو رجال المجمع ومشوا على آثارهم ٠ وعطف على رفيقاته المحاضرات فأثنى على يراعتهن في ابحاثهن وأعمل المقارنة بينهن وبين النساء العربيات اللواتي شاركن ازواجهن في صدر الاسلام في مساعيهم الجليلة في خدمة الأمة العربية ٠ ثم عاد الى الثناء على معالي رئيس المجمع بما وفق اليه من إقامة موسم المحاضرات فكان أشبه بسوق عكاظ او هو مدرسة لتخريج المحاضرين والمحاضرات في فن المحاضرات وبذلك كشف عن استعداد المستعدين لهذا الفن الذي بواسطته تشيع أصول الثقافة العربية في الوطن السوري ٠

وبعد ان أكمل الدكتور الشطي خطابه انبرت المربية الفاضلة السيدة منيرة المحايري فألقت كلمة بالنيابة عن رفيقاتها المحاضرات احسنت فيها كل الاحسان وقد رأينا ان نقتصر من كلمتها على ما خلاصته :

نوهت الخطيبة بما للمجمع العلمي من أياد بيض في إقامة المحاضرات النسائية قديماً وحديثاً ووصفت ما كان لهذه المحاضرات من أثر بين في رفع مستوى الثقافة النسائية في دمشق ولم يكتف المجمع بهذا بل انه ألف من النساء لجنة دعاها (لجنة المحاضرات النسائية) ففسح بذلك المجال امام المرأة الدمشقية كي تتلافى اسباب تأخرها، وتذلل الصعوبات التي تعترضها، ولا غرو فان نهضة الرجال لا تؤتي أكلها ما لم تؤيدها النساء (فمثلها مثل القلب والدماغ وإذا جاز للجسد ان يستغني عن أحد أعضائه جاز للرجل والمرأة ان يستغني احدهما عن الآخر) الخ

وبعد ذلك أديرت على المدعوين اقراص الحلوى واكواب المبردات ثم انفض الجمع شاكرين للمجمع مثنين على جهوده في خدمة العلم ونشر الثقافة بين الجمهور .

نُغبٌ من مناهل الأَدب

— ٣ —

النغبة مقدار ما يتناوله الطائر بمنقاره من الماء . ويضرب بالنغبة المثل في القلة . ونُغبنا هذه قطع صغيرة من روائع أقوال الأُدباء، ومُلح أخبارهم واشعارهم . يتخللها أحياناً من الشرح ما يوضح معناها، ويزيل الغموض عنها، وفي تقطيع المقال الى موضوعات قصيرة على هذه الصورة استجمام وراحة للنفس :

أدوية الأَعراب

حدث ابن مناذر عن سفيان قال سمعت اعرابية تنادي : من يشتري مني الحزاة ؟ فقلت لها : وما الحزاةُ ؟ قالت تشتريها النساء : للطشّة . والخافية . والإِقلات . فسئل ابن مناذر عن تفسير ذلك : فقال :

(الطشة) وجع يصيب الصبيان في رؤوسهم كالزكام . و(الخافية) ما خفي من الأمراض المنسوبة الى أذى الجن . و(الاقلات) قلة أولاد المرأة، وامرأة مقلات من ذلك اه

أقول : في القاموس وشرحه (الحزاة) نبتة تشبه الكرفس وهي من احرار البقول وقال اللغويون في بيان منافعها نحواً مما قالته الاعرابية .

قاعدة في تمحيص كل خبر

قال ابن خلدون في أول مقدمته في الفصل الذي عنوانه (الكتاب الأول في طبيعة العمران الخ) ما نصه : (وتمحيص الخبر إنما هو بمعرفة طبائع العمران . وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة ، ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يُعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن اوممتنع . واما اذا كان الخبر مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح ا ه)

فابن خلدون يعلمنا اذا عُرض علينا خبر من اخبار البشر ان ننظر اول الأمر في إمكان حدوثه فاذا كان ممكن الحدوث نظرنا اذ ذاك في ان راوي الخبر ممن اشتهر بالصدق اولا

وقدعقد هذا القول (نامق كمال) شاعر الترك في بيتين من الشعر فقال :

أوله مغرور أو قدر سامعه وباصره يه أولور أنلرده نيچه سهو وخطايه مظهر
إيكي خاصيت ايدر باطل وحق تمييز بري تدقيق خبردر، بري تعميق نظر

يقول لا تغتر بما تسمع او تبصر فكثيراً ما كان السمع والبصر عرضتين للخطأ والسهو : هناك خاصيتان (او محكّان) للتمييز بين الحق والباطل: احداهما ان تدقق نظرك في رواية الخبر وسنده ،وثانيهما ان تعمق نظرك في امكان الخبر وحدوثه .واشترط ابن خلدون ان يقدم الثاني على الأول .وهذان المحكان هما مايعبر عنهما المحدثون بالرواية والدراية .

من حكم اكثم

اول المعرفة الاختيار . كثرة الصياح من الفشل . إنما انتم اخبار فطيبوا أخباركم . لا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم . لا تقتعدوا البخل فتعجلوا الفقر ا ه اقتعاد البخل ركوبه كما يركب الفرس .

(قعد الحظ به حتى اقتعد غارب المجد ، ومن جد وجد)

ومن ركب جواد البخل عجل به واوصله الى الفقر : اي انه يصبح فقيراً وان كان ذا سعة من الرزق . على حدّ قول المتنبي :

(ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي صنع الفقر)

صبي عربي يصف ما رأى وما سمع

حدث بحير بن زاخر المعافري قال : رحت انا ووالدي إلى صلاة الجمعة تهجيراً . وذلك في آخر الشتاء بعد حميم النصارى (عيدالغطاس) بأيام يسيرة . إذ اقبل الرجال بأيديهم السياط . يزجرون الناس . فذُعرت . فقلت : يا أبت ! من هؤلاء ؟ قال : يا بني هؤلاء الشرَط . وقام عمرو بن العاص على المنبر . فرأيت رجلاً قصدَ القامة (اي ربعة) وافر الهامة . ادعج . ابلج . عليه ثياب موشية . كأن به العقيان (الذهب الخالص) يأتلق . عليه حلة وعمامة وجبة . فسمعته يأمر بالاقتصاد . وينهى عن الفضول . وكثرة العيال . وقال في ذلك : يا معشر الناس . اياكم وخلالاً اربعة : فانها تدعو الى النصَب بعد الراحة . والى الضيق بعد السعة ، والى المذلة بعد العزة : اياكم وكثرة العيال وانخفاض الحال (اي جعل العيش لينا وادعا) . وتضييع المال . والقيل بعد القال . في غير درك ولا نوال . ثم أنه لا بد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه ، والتدبير لشأنه . وتخليته بين نفسه وبين شهواتها . ومن صار الى ذلك ، فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل . ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه ، فيحور من الخير عاطلاً . وعن حلال الله وحرامه غافلاً . (ثم اشار الى قدوم فصل الربيع ووجوب الاستعداد له فقال) وها قد اقلعت السماء وطاب المرعى . وعلى الراعي بإسامة رعيته (مواشيه) حسن النظر : فحيَّ لكم على بركة الله إلى ريفكم : فنالوا من خيره ولبنه . وخرافه وصيده . وأربعوا خيلكم ، وأسمنوها ، وصونوها ، واكرموها . فانها جنتكم من عدوكم . وبها مغانمكم وانفالكم . واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً . واياكم والمشمومات والمعسولات : فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم اه (والغرض من تقليل العيال ان يكون العربي خفيف الحركة نشيطاً اذا دُعي الى الجهاد) .

اللؤلؤ المتنخّل

أبو اسحق الصابي يُثني على جليس له :

(لك في المجالس منطق يشفي الجوى ويسوغ في أذن الأديب سُلافُه)

(فكأن لفظك لؤلؤ متنخل وكأنما آذاننا أصدافُه)

ليس هذا كله للوطن !

قال ابراهيم بن اليزيدي : كنت مع المأمون في بلاد الروم . فبتنا في ليلة مظلمة شاتية وكان الى جانبي قبة . فبرقت برقة في السماء . واذا في القبة (عريب) المغنية المحسنة المشهورة . قالت : ابراهيم ؟ ! قلت لبيك قالت : قل في هذا البرق أبياتاً ملاحاً لأغني بها . فقلت :

ماذا بقلبي من ألم الخفق اذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأردن او دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق
فارقته وهو أعز الخلق ذاك الذي يملك مني رقي
ولست أبغي ما حييت عتقي

قال ابراهيم :ثم تنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها . قلت: ويحك !على من هذا ؟ فضحكت ثم قالت :على الوطن . فقلت : هيهات ! ليس هذا كله للوطن . فقالت : ويلك ! أفتراك ظننت انك تستفزني (لأبوح بمن أحب) والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس . فادعاها اكثر من ثلاثين رئيساً . والله ما علم احد منهم لمن كانت (نظرتي) إلى هذا اليوم .

ذنب الوزغة

خطب الأشعث بن قيس يحض قومه على الحرب فقال : «أيها الناس إنه ما بقي من عدوكم إلا كما بقي من ذنب الوزغة : يضرب به يميناً وشمالاً ثم لا يلبث ان يموت» فمرّ به رجل من بني قشير فسمع كلامه فقال : قبح الله هذا ورأيه : يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ، وترك الاستعداد .

حسن اعتذار الطرماح

بلغ ذا الرمة ان الطرماح عاب شعره فعتب عليه فاعتذر الطرماح اليه قائلاً : (معذرةً لك . إن عنان الشعر لفي كفك . فارجع "معتبا") اي كن راضياً . و (معتب) اسم مفعول من أعتبه إذا ازال عتبه وشكواه . فهمزته للازالة كهمزة أشكاه، واسم المصدر من أعتبه (عتبى) يقال لك العتبى حتى ترضى . اي انني لا أزال اعمل على إزالة عتبك حتى يزول وترضى .

الفهرس العام

(لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء)

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الجيم)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

فهرست الأعلام

(أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الألف)

(حرف الجيم)

(حرف الخاء)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف الكاف)

(حرف الميم)

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد السابع عشر

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء